



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

السماء بين القرآن الكريم والعلم: دراسة تحليلية

سماح فارس ياسين صلاح الدين

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1433 هـ / 2012 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا^I﴾

قال العماد الأصفهاني:

(إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تركت هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)

¹ سورة الإسراء، الآية [85].

"السماء بين القرآن الكريم والعلم: دراسة تحليلية"

إعداد الطالبة

سماح فارس ياسين صلاح الدين

بكالوريوس (دعوة وأصول دين) من جامعة القدس - فلسطين

مشرف أول: أ.د. عماد أحمد حامد البرغوثي

مشرف مشارك: د. حسين أحمد علي الدراويش

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات

الإسلامية المعاصرة من كلية الآداب - جامعة القدس - فلسطين

القدس - فلسطين

1433 هـ / 2012 م



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

"السماء بين القرآن الكريم والعلم: دراسة تحليلية"

اسم الطالبة: سماح فارس ياسين صلاح الدين

الرقم الجامعي: 20611008

المشرف الأول: أ.د. عماد أحمد حامد البرغوثي

المشرف المشارك: د. حسين أحمد علي الدراويش

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2012/7/28 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم

وتواقيعهم:

1- الأستاذ الدكتور عماد أحمد حامد البرغوثي: مشرفاً ورئيساً للجنة المناقشة

2- الدكتور حسين أحمد علي الدراويش: عضواً ومشرفاً مشاركاً

3- الدكتور أحمد عبد الجواد: ممتحناً داخلياً

4- الدكتور خالد خليل علوان: ممتحناً خارجياً

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

القدس - فلسطين

1433 هـ / 2012 م

الإقرار

أقر أنا مقدم هذه الرسالة أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

الاسم: سماح فارس ياسين صلاح الدين

التوقيع:

التاريخ: 2012 / 7 / 28

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى سيد البشرية ومعلمها الأول وهاديها وقدوتها نبينا محمد -
صلى الله عليه وسلم - صاحب الخلق العظيم والهدي الشريف خير من علم وخير
من تعامل مع الناس

إلى من ربياني صغيراً ... وتعودا الاعتزاز بتعليمي وتعليم أشقائي

إلى من أتيا بي إلى هذه الدنيا، فتشرفت بهم

إلى حضرة أمي وحضرة أبي الأستاذ فارس صلاح الدين أطال الله عمريهما

وأحسن عاقبتهم، ونفع الله بهما

إلى أخوتي وأخواتي، وأخص بالذكر أختي بشرى أم ليث،

إلى المتخصصين في العلوم الدينية والدينية الذين يبحثون عن آيات الله في

الأنفس والآفاق

إلى أستاذي الجليلين أ. د. عماد البرغوثي و د. حسين الدراويش

وإلى الأساتذتين المناقشتين - الدكتور خالد خليل علوان والدكتور أحمد عبد الجواد

أقدم هذا الجهد المتواضع عسى أن يكون مقدماً لخطوة علمية نحو الأمام

راجيةً من الله القبول والسداد

الطالبة: سماح فارس صلاح الدين

القدس: 2012/5/1 م

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والشكر له أولاً وأخراً على منّهِ وفضله وجوده وكرمه؛ أن وفقني لإتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على إمام المرابين، وقادة القادة المخلصين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"¹؛ فالشكر لكل يد كانت ذات فضل في إنجاز هذا العمل، ومتابعته، والإعانة عليه، وأخص بالذكر مشرفي الفاضلين الأستاذ الدكتور عماد أحمد حامد البرغوثي، والدكتور حسين أحمد علي أبو كثة الدراويش اللذين كانا مُعينين لي؛ بأن أمدًا هذا العمل بتوجيهاتهما الكريمة، وتابعاه حتى وصل إلى صورته الحالية، كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين الدكتور: خالد خليل علوان والدكتور أحمد عبد الجواد لتفضلهما بقبول قراءة هذه الرسالة، ومناقشتها وإبداء الملاحظات القيمة عليها فجزاهما الله خير الجزاء، وبارك فيهما، ونفع المسلمين بعلمهما.

وأشكر الدكتور المهندس داود نجم لما بذله من جهد في سبيل إنجاز هذه الرسالة، والدكتور عودة عبد الله لملاحظاته القيمة، وأشكر زملائي في المهنة، وأخص بالذكر المعلم جمال صقر، والمعلمة إيمان زيدان، والمعلمة لمياء حديدون، وأشكر إدارة جامعة القدس، والعمادة، والهيئة التدريسية، في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة، وأخص بالذكر الدكتور مشهور الحبازي، والدكتور سعيد سليمان الفيق جزاهم الله عني كل خير وآتاهم كل سؤل، وصرف عنهم كل ضرير.

الطالبة: سماح فارس ياسين صلاح الدين

¹ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث (1954)، ص445، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، (د.ت)، قال الألباني: الحديث صحيح.

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الإقرار
ب	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
د	قائمة المحتويات
ح	الملخص باللغة العربية
ي	الملخص باللغة الإنجليزية
ل-خ	المقدمة:
	الفصل الأول: مفهوم السماء في السياق القرآني والتفسير العلمي
2-1	التمهيد
4-3	المبحث الأول: مفهوم السماء في اللغة العربية
5	المبحث الثاني: مفهوم السماء في القرآن الكريم
6-5	المطلب الأول: السماء بمعنى السحاب
12-6	المطلب الثاني: السماء بمعنى المطر
17-13	المطلب الثالث: السماء بمعنى مصدر الرزق من المطر
23-17	المطلب الرابع: السماء بمعنى المجموعة الشمسية
28-23	المطلب الخامس: السماء بمعنى الحيز الداخلي والقريب من البناء السماوي الأول
29-28	المطلب السادس: معان أخرى للسماء
36-30	المبحث الثالث: التفسير العلمي للسماء
37	نتائج الفصل الأول
	الفصل الثاني: البناء السماوي في القرآن الكريم والعلم
40-39	المقدمة

41	المبحث الأول: السماء بناء
50-41	المطلب الأول: مادة البناء السماوي في القرآن الكريم
62-50	المطلب الثاني: أصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم
69-63	المطلب الثالث: بناء السماء في القرآن الكريم
80-69	المطلب الرابع: البناء السماوي في العلم
81	المبحث الثاني: البناء السماوي واسع ومتوسع
83-81	المطلب الأول: البناء السماوي الواسع في القرآن الكريم
90-84	المطلب الثاني: البناء السماوي الواسع في العلم
91	المبحث الثالث: السماء سقف محفوظ
91	المطلب الأول: السقف في اللغة
96-91	المطلب الثاني: السقف المحفوظ في القرآن الكريم والعلم
97	المبحث الرابع: السماء سقف مرفوع بغير عمد
99-98	المطلب الأول: مفهوم العمدة في اللغة
106-99	المطلب الثاني: السقف المرفوع بغير عمد في القرآن الكريم والعلم
107	المبحث الخامس: مفهوم السماوات السبع
127-107	المطلب الأول: السماوات السبع في القرآن الكريم
135-127	المطلب الثاني: مفهوم السماوات السبع في العلم
138-136	نتائج الفصل الثاني
	الفصل الثالث: أوصاف سماوية مرفوقة ورد فيها العدد (7)
141	المبحث الأول: السماء سبع طرائق
143-141	المطلب الأول: السبع طرائق في اللغة
146-143	المطلب الثاني: الطرائق السبع في القرآن الكريم
151-146	المطلب الثالث: الطرائق السبع في العلم
152	المبحث الثاني: السماوات سبع طباق
154-152	المطلب الأول: السبع طباق في القرآن الكريم

157-154	المطلب الثاني: السبع طباق في العلم
159-158	المبحث الثالث: السبع الشداد في القرآن الكريم والعلم
161-160	المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في آيات السماء في القرآن الكريم
161	المطلب الأول: السماء ذات البروج
163-161	الفرع الأول: البروج في اللغة
165-164	الفرع الثاني: البروج عند المفسرين
167-166	الفرع الثالث: البروج في علوم الفلك
168-167	الفرع الرابع: وصف العلماء للبروج
170-168	الفرع الخامس: البروج تجمعات
170	المطلب الثاني: السماء ذات الحبك
172-170	الفرع الأول: الحبك في اللغة
174-173	الفرع الثاني: الحبك في أقوال المفسرين
178-174	الفرع الثالث: مفهوم الحبك في سياق النظريات العلمية
179	خلاصة المبحث
180	المطلب الثالث: السماء ذات الرجع
181-180	الفرع الأول: مفهوم ذات الرجع عند اللغويين
182-181	الفرع الثاني: مفهوم ذات الرجع عند المفسرين
184-182	الفرع الثالث: مفهوم ذات الرجع في العلم
187-185	نتائج الفصل الثالث
188	النتائج النهائية
189-188	الفصل الأول
192-190	الفصل الثاني
195-193	الفصل الثالث
200-196	الخاتمة و النتائج و التوصيات
209-201	الملاحق

229-210	المراجع
238-230	مسرد الآيات
239	مسرد الأحاديث والآثار
240	مسرد الأعلام
241	مسرد المصطلحات العلمية

المخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار مدى انسجام التفسير العلمي للظواهر الفلكية والكونية، مع القرآن الكريم؛ الأمر الذي من شأنه أن يشكل إشارات ومؤشرات إضافية على إعجاز القرآن الكريم، ومخاطبة العقول به، لا سيما تلك العقول التي تأبى إلا العلم والتفسيرات الكونية والنظريات المثبتة.

ولتحقيق أهداف الدراسة تقصّت الباحثة واستقرأت الألفاظ كافة التي وردت في القرآن الكريم لمفردة "السماء"، وما يتصل به من نصوص وعبارات قرآنية أخرى. وتفسير هذه النصوص القرآنية من خلال العودة إلى أشهر كتب التفسير، وكتب السنة النبوية ومعاجم اللغة العربية والمصادر الحديثة كما حاولت إظهار التفسير القرآني للظواهر الفلكية والكونية والطبيعية، بما تكشفه النصوص القرآنية، وتتطوي عليه من دلالات وبأسلوب سهل، كما ينبثق عن تلك النصوص الكريمة.

ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، مكنة بلورة التفسيرات القرآنية للظواهر الفلكية والكونية والطبيعية، بعد بيان تلك الظواهر بالاستناد إلى القرآن الكريم ونصوصه، ثم مقارنتها بآخر النظريات العلمية الحديثة. وبينت الدراسة أنّ التعمق في تفسير القرآن الكريم وفي اللغة العربية في موضوع دلالة "السماء" ومتعلقاته يشكل أمراً مهماً في توضيح تلك المصطلحات القرآنية، والجمع بين معانيها، وتوضيحها للناس.

وكان من اليسير اكتشاف مدى التطابق والتشابه بين الحقائق القرآنية والنظريات العلمية للظواهر الفلكية نفسها فيما اتصل بدال "السماء" وما يتصل به من دوال

قرآنية أخرى. وبينت الدراسة أن إجراء مقارنات ومفاضلات بين الظواهر الطبيعية والكونية والفلكية الواردة في القرآن الكريم مع النظريات العلمية الحديثة، والجديدة لا يقصد منه البحث إلى أدلة لتأكيد أن هذا القرآن الكريم كلام الله فأعجازه لكل البشر على مر العصور ثابت بشهود التواتر، وإنما المقصود استخدام الإشارات والمؤشرات القرآنية في الدعوة للإسلام.

وبناءً على النتائج يمكن أن يشكل هذا البحث تشجيعاً للقيام بأبحاث أكثر عمقاً وشمولية من هذا البحث، خصوصاً على صعيد إجراء المقارنات بين النص القرآني والقانون العلمي، فلا خلاف - فعلاً - بين قطعي النقل وقطعي العقل. ويأتي ذلك في خدمة هذا القرآن العظيم مستمراً، والدافع الذاتي موجوداً، فإن استخراج كنوز هذا الكتاب لن تنقطع أبداً، وإن استمرار الحاجة إلى مفسرين وباحثين سيبقى أمراً ملحاً حتى قيام الساعة.

Heaven between the Holy Quran and Science: An Analatical Study

Prepared by: Samah Faris Yaseen Salah Eddin

Supervised by: Prof. Emad Ahmad Hamed barghouthi

Dr. Hussain Ahmad Ali Daraweesh

ABSTRACT

This study aims to show the greatness of the Holy Quran through showing the compatibility of the Holy Quran with the scientific explanation of the astronomical phenomena in the cosmos, an approach different than showing the miracles of the Holy Quran through its rhetoric miracles as well as the Sharia rules it provides. Eventually, this would constitute evidence on the miracles of the Holy Quran while encouraging thoughtfulness, particularly for those who believe in science and the scientific proofs.

To accomplish this goal, the study delves into the meanings and explanations of the term “Heaven” and the Holly scripts and Quranic phrases that are linked to this term. In which an interpretation of the Holly Qurnaic scripts is provided by returning to the main references of exegesis (Tafsir) as well as the original references in both the Arabic language and Sunnah. Therefore, this thesis aims to: First, crystallize the Quranic interpretation regarding the astronomical and natural phenomena in the cosmos, which the Holly Quranic script reveals in smooth and simple style. Second, stating of the scientific explanations for the similar astronomical and natural phenomena in the Quran. Third, providing a comparison between the explanation of astronomical and natural phenomena in science as explained in scientific theories and the script of the Holy Quran. Fourth, draw conclusions on the compatibility and coherence between the meanings of the script in the Holy Quran and the scientific explanations and facts.

The study concludes that there are consensus between the natural and scientific phenomena and the presentation and interpretation of the Holy Quran to these phenomena and scientific facts. The study also shows that delving into the meanings of the Arabic language and the exegesis of the Holy Quran regarding the term

“Heaven” and its related terms is crucial for clarifying these terms in the Holy Quran and compiling all their meaning for people. Further, the study demonstrates how easy it is to show the extent of congruence and similarity of the scientific facts between the Holy Quran and the scientific theories regarding similar astronomical and scientific phenomena of the term “Heaven” and its connected terms in the Holy Quran.

Meanwhile, the study shows that the comparison analysis for the natural and scientific phenomena in the Holy Quran and the scientific facts does not necessarily intended to seek evidence that confirms that the Holy Quran is the Words of God, as miracles of the Holly Quran are obvious for all human beings throughout the ages. However, the study intended to highlight these signals and indicators for the call for Islam (Da’awa).

Based on the conclusions of this study, this research may spark and encourages researchers to carry out deeper and more inclusive researches in this topic, particularly on the comparison the script of the Holy Quran and the scientific facts, indeed there is no dispute between the explicit knowledge in the Holy script in Quran and the explicit knowledge of the scientific facts. Eventually, this serves the understanding of the Holy Quran because the self-motivation of researchers is continuous, and the extraction of the treasures of this book is ongoing, while the need for scholars in explaining and interpreting this Holy script remains exigent until the Day of Judgment.

المقدمة

لم ينفك القرآن الكريم، كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، المعجز للبشر، والمتعبد بتلاوته، يقدم كنوزه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، **فلا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد**¹، ونظراً لقداسة القرآن الكريم وأهميته ومركزيته في حياة المسلمين، لم ينقطع المفكرون المسلمون، ومنذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم بالعناية بهذا الكتاب العظيم؛ حفظاً، وتلاوة، وتفسيراً، وتأويلاً، وبحثاً، وتصنيفاً، ودراسةً، وتحليلاً، وتجويداً. وهو جهد لم ينقطع، ولن ينقطع أبداً فهو كتاب المسلمين الأول، شديد الارتباط بعقيدتهم وأحكام شريعتهم. لذلك انصرفت الجهود للعناية بهذا الكتاب العظيم، كل حسب منهجه ومدرسته وحاجته، سواء بشكل ذاتي على نفقة الشخص الخاصة، دافعه التقوى والتقرب إلى الله في هذا العمل، وهو ما ظهر بوضوح في تلك المؤلفات والكتب والدراسات، أم برعاية من جهات حكومية، وبتشجيع من حكام المسلمين، أو مراكز أبحاث وجمعيات ومؤسسات في العصر الحديث.

وعليه فقد ارتأيت أن أبحث في موضوع السماء في القرآن الكريم والعلم مساهمة في خدمة كتاب الله تعالى، وحاولت استقراء النصوص القرآنية المتعلقة بلفظة السماء من أجل بيان مضمونها، ومعانيها ومدلولاتها القريبة طبقاً لمنطوق الألفاظ والبعيدة من مفهوم الألفاظ². ثم مقارنة تلك المضامين بالحقائق والآراء العلمية والتفسيرات لتلك الظواهر الفلكية والطبيعية والكونية التي يتناولها النص القرآني في مفردة "السماء" وما يتصل بها من مفردات أخرى.

¹ الترمذي، سنن الترمذي [42] كتاب ثواب القرآن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، (14) باب ما جاء في

فضل القرآن الكريم، حديث رقم (2906) ص650.

² أي المفهوم من النطق يختلف عما يقصده الناطق.

(إن معظم الدراسات حول القرآن) تتجه إلى كتب التفسير والتأويل القديمة والحديثة المبينة على تفسير القرآن بالقرآن وباللسنة النبوية وباللغة العربية، إلا أن محاولة إجراء دراسات وأبحاث حتى ولو كانت جزئية على أساس منهجية إجراء مقارنة بين النصوص القرآنية في مواضيع "كونية وفلكية وطبيعية" محددة، مع التفسيرات العلمية، هو أمر لم يصل بعد إلى تلك الدرجة من الإحكام والانتشار مثلما هو الأمر مع المنحى "التقليدي" في التفسير. مع أن ذلك وربما يكون بعداً إضافياً في تبيان عظمة كلام الله، وإشارات لإعجازه، ومؤشرات إضافية تساعد في الدعوة إلى الإسلام.

سؤال الدراسة الرئيس:

ينهض سؤال الدراسة الرئيس على: ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين مدلولات ومعاني مفردة "السماء" في القرآن الكريم مقارنة مع تفسير الحقائق والتفسيرات العلمية لنفس تلك المظاهر الكونية والفلكية؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى منها:

- ما هي الآيات القرآنية التي تتحدث عن السماء وما هي الإشارات العلمية المتعلقة بها؟
- ما هو التفسير العلمي لتلك المظاهر الفلكية والكونية التي يتضمنها النص القرآني؟
- ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين النص القرآني والتفسيرات العلمية لما تنطوي عليه المظاهر الفلكية التي تناولها مفردات ونصوص القرآن الكريم؟

فرضية الدراسة:

تقوم الدراسة على فرضية مفادها: أن مدلول وتفسير النصوص القرآنية المتصلة بلفظة "السماء" توضح ظواهر فلكية وطبيعية وكونية تتطابق ولا تتعارض مع الحقائق العلمية، فلا تعارض بين صحيح النقل وصريح العقل.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من جملة من الأمور يمكن توضيحها على النحو الآتي:

- المسار غير التقليدي لهذه الدراسة التي تعالج المفردات والنصوص والسياقات القرآنية، وتفسيرها، وبيان وتوضيح مدلولاتها، والمفاهيم المتضمنة لها، ثم مقارنتها مع التفسيرات العلمية، واكتشاف أوجه التوافق والتغاير بينهما، فكثيراً من الأبحاث والدراسات التي تهتم بالقرآن تقليدية، تركّز على المعاني البلاغية وهو أمر غاية في الأهمية. هذه الدراسة تحاول الغوص في مدلولات الألفاظ والنصوص، وعدم الاكتفاء ببيان ما تنطوي عليه من بيان المظاهر الفلكية والكونية، ولكنها من جهة أخرى - تقارن ذلك مع التفسيرات العلمية، وهي منهجية مستخدمة - وإن كانت محصورة قياساً على المسار التقليدي.
- تكمن في عمق هذه الدراسة محاولة كشف أوجه أو لطائف، إشارات، أو مؤشرات على أن هذا الكتاب من عند الله وهي أوجه جديدة في الإعجاز.
- محاولة تتبع جهود المفسرين للقرآن الكريم عبر الزمن، ومن خلال ملاحظة أثر التطور العلمي والمكتشفات والتفسيرات العلمية، ومدى تأثر المفسرين بهذا التطور العلمي.

- الأمل في أن تشكّل هذه الدراسة مثالاً ونموذجاً لدراسات أخرى على المنهجية نفسها.

مشكلة الدراسة:

وأما مشكلة الدراسة التي حاولتُ التوصل إلى حلّها تكمن في السؤال التالي:
هل يمكن تحديد مفهوم السماء والسموات السبع في القرآن الكريم وفي العلم؟

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف يمكن إجمالها كالآتي:
 - القيام بهذه الدراسة بحد ذاته يعدُّ اشتغالاً وتنقيباً في القرآن الكريم؛ حيث الأجر والثواب العظيم لمن يتصل عمله بالقرآن العظيم. ويزيد الأمر أهمية نظراً لكون هذا العمل ينحو إلى التركيز على عقد مقارنة بين النص القرآني والتفسير العلمي لظاهرة فلكية وطبيعية وكونية.
 - اظهار عظمة القرآن الكريم عن طريق غير البلاغة والأحكام الشرعية، بل بإظهار مدى انسجام القرآن الكريم مع التفسير العلمي للظواهر الفلكية والكونية، الأمر الذي من شأنه أن يشكل إشارات ومؤشرات إضافية على إعجاز القرآن الكريم، ومخاطبة العقول به لا سيما تلك العقول التي تأبى إلا العلم والتفسيرات الكونية والحقائق المثبتة.
 - محاولة دعم هذه المنهجية التي تتخذ من كتب التفسير مرجعية لتبيان المعاني. ومن كتب اللغة والمعاجم اللغوية التي تعد عنصراً مساعداً في الكشف العلمي، وهي من روافد أي دارس للقرآن الكريم ونصوصه وآياته مهما كان دافعه أو منطلقه.

- توضيح وتفسير المفردات القرآنية فيما يخص دال "السماء" ومفردات أخرى تتصل بها يجهلها كثيرون.

منهجية إجراء الدراسة:

تقوم منهجية هذه الدراسة على عدة خطوات:

1. تقصي واستقراء كافة الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم لدال "السماء" وما يتصل بها من نصوص وعبارات قرآنية أخرى.
2. تفسير هذه النصوص القرآنية من خلال العودة إلى أمهات كتب التفسير والسنة النبوية واللغة العربية.
3. محاولة إظهار التفسير القرآني للظواهر الفلكية والكونية والطبيعية بما تكشفه النصوص القرآنية، وتتطوي عليه من تجلات وبأسلوب سلس ومبسط، كما ينبثق عن تلك النصوص الكريمة.
4. تثبيت التفسيرات العلمية للظواهر الفلكية والكونية نفسها، وبأسلوب سلس مبسط.
5. إجراء مقارنة ودراسة للظاهرة الفلكية والكونية من النصوص القرآنية والنظريات والحقائق والتفسيرات العلمية.
6. الخروج باستنتاجات حول الموضوع قيد المقارنة لمعرفة مدى التطابق والتقارب بين مدلول النصوص القرآنية والتفسيرات العلمية.

أدبيات الدراسة:

ثمة عدد كبير من الدراسات والأبحاث قارنت بين نظريات علمية في صدد ظواهر فلكية وكونية وطبيعية وبين النصوص القرآنية حول الموضوع. وكانت النتيجة في معظم تلك الدراسات وجود تشابه إن لم يكن تطابقاً كاملاً بين الجهتين؛ ما يعطي هذا القرآن الكريم بعداً آخر تكشفه نصوصه المقدسة حول ما يحويه من إشارات علمية منذ زمن بعيد مقارنة بتاريخ النظريات العلمية الحديثة والمعاصرة. وهناك تفاصيل مثيرة وكثيرة على صفحات "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" التي مقرها السعودية خاصة موسوعة أبحاث الإعجاز العلمي وعشرات الكتب والمؤلفات والدراسات العربية والمترجمة، خصوصاً أن للهيئة موقعاً إلكترونياً بعدة لغات. وعلى الرغم من أن هناك وجود لدراسات تناولت جوانب معينة من هذه الدراسة مثل دراسة زغول النجار/ السماء في القرآن الكريم (2007)، فانصبت الدراسة على موضوع "السماء في القرآن الكريم من جوانب عدة، كخلقها ومادتها، وخصائصها، وصفاتها، ومواضيع أخرى مرتبطة بها. بينما تناول حسين راشد عمري في دراسته "خلق السموات والأرض في ستة أيام" (2003) معاني السماء ومضامينها في القرآن الكريم، وتطرق إلى دراسة النجوم ومواقعها، والمسافات بينها، وارتباطها بسر قسم الله سبحانه وتعالى بمواقع النجوم، فيما أشار الغمراوي (دون تاريخ) في دراسته "الإسلام في عصر العلم" إلى الحقائق التي توصل إليها العلماء وتنبأ بها القرآن الكريم، وأورد أمثلة كثيرة على ذلك. بينما توصلت دراسة عبيد عمرو (2009) "الكون والإنسان" إلى أن الكون مرادف للسماء؛ فالسماء هي الكون، أما دراسة عبد الدايم كحيل (2009) "روائع الإعجاز

في الكون فقد عرض فيها مفهوم (الحبك) في سياق العلم وفق ما اطلع عليه من أخبار حول الاكتشافات الجديدة عن "البنية النسيجية المحبوكة وقدّم صوراً توضح هذا النسيج الكوني المحبوك والذي استدل عليه من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) "Nasa" وتكلم عن المادة المظلمة وقارنها بآيات السماء وخرج بنتيجة وهي أن المادة المظلمة هي جزء من السماء.

لكن دراستي هذه تميّزت بأنها منفردة متكاملة، وشاملة وبمراحل متأخرة، فهي دراسة قرآنية مقارنة بالعلم استطعت بها؛ أن أصل إلى حقائق أكثر دقة من السابق بناء على المراجع العلمية والدينية والتي أعطتني صورة أوضح فيها فتح باب للدارسين من بعدي سواء طلاب علم أو أساتذة علم.

صعوبات الدراسة

واجهت الباحثة صعوبات متعلقة بالموضوع من ناحية التقبل النفسي؛ إذ شكل لها مواجهة لموضوع صعبٍ ومتشعب الأطراف ومهم في الوقت نفسه، وكانت تلك الصعوبة في سبر غور بعض الآيات القرآنية التي تضمنت مصطلحات ليست مألوفة تقتضي العيش في رحاب الآيات القرآنية لفهمها، أما الصعوبة الأخرى فهي في الوصول إلى النظريات، وآخر ما توصل إليه البحث العلمي. وصعوبة ثالثة في الوصول إلى المراجع الحديثة؛ إذ لم تعتمد الباحثة شبكة المعلومات وذلك لعدم مصداقية المادة فيها، ولوجود الأخطاء، ولصعوبة الموضوع مرّت الباحثة بمراحل شعرت في بعضها بالحيرة من أمرها، وفي بعضها بالإحباط التام، ولكن الأمل المرجو هو أن تكون هذه الدراسة مفيدة لكل من يقرأها وأن يعيش وقتاً في ضيافة كتاب الله، وتفسير آياته، وبناء الظواهر الفلكية التي يتناولها دال "السماء" وما يتصل به من آيات ونصوص قرآنية ومقارنتها مع التفسيرات العلمية.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وهي على النحو

التالي:

الفصل الأول:

وقد تحدثت فيه عن مفهوم السماء في السياق القرآني والتفسير العلمي وفيه ثلاثة مباحث

التمهيد

المبحث الأول: مفهوم السماء في اللغة العربية

المبحث الثاني: مفهوم السماء في القرآن الكريم

المطلب الأول: السماء بمعنى السحاب

المطلب الثاني: السماء بمعنى المطر

المطلب الثالث: السماء بمعنى مصدر الرزق من المطر

المطلب الرابع: السماء بمعنى المجموعة الشمسية

المطلب الخامس: السماء بمعنى الحيز الداخلي والقريب من البناء السماوي الأول

المطلب السادس: معان أخرى للسماء

المبحث الثالث: التفسير العلمي للسماء

الفصل الثاني:

وتحدثت فيه عن البناء السماوي في القرآن الكريم والعلم ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: السماء بناء

المطلب الأول: مادة البناء السماوي في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم

المطلب الثالث: بناء السماء في القرآن الكريم

المطلب الرابع: البناء السماوي في العلم

المبحث الثاني: البناء السماوي واسع ومتوسع

المطلب الأول: البناء السماوي الواسع في القرآن الكريم

المطلب الثاني: البناء السماوي الواسع في العلم

المبحث الثالث: السماء سقف محفوظ

المطلب الأول: السقف في اللغة

المطلب الثاني: السقف المحفوظ في القرآن الكريم والعلم

المبحث الرابع: السماء سقف مرفوع بغير عمد

المطلب الأول: مفهوم العمدة في اللغة

المطلب الثاني: السقف المرفوع بغير عمد في القرآن الكريم والعلم

المبحث الخامس: مفهوم السماوات السبع

المطلب الأول: السماوات السبع في القرآن الكريم

المطلب الثاني: مفهوم السماوات السبع في العلم

الفصل الثالث:

وتحدثت فيه عن أوصاف سماوية مرفوقة ورد فيها العدد (7) واشتمل الفصل على أربعة

مباحث:

المبحث الأول: السماء سبع طرائق

المطلب الأول: السبع طرائق في اللغة

المطلب الثاني: الطرائق السبع في القرآن الكريم

المطلب الثالث: الطرائق السبع في العلم

المبحث الثاني: السماوات سبع طباق

المطلب الأول: السبع طباق في القرآن الكريم

المطلب الثاني: السبع طباق في العلم

المبحث الثالث: السبع الشداد في القرآن والعلم

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في آيات السماء في القرآن الكريم

المطلب الأول: السماء ذات البروج

الفرع الأول: البروج في اللغة

الفرع الثاني: البروج عند المفسرين

الفرع الثالث: البروج في علوم الفلك

الفرع الرابع: وصف العلماء للبروج

الفرع الخامس: البروج تجمعات

المطلب الثاني: السماء ذات الحبك

الفرع الأول: الحبك في اللغة

الفرع الثاني: الحبك في أقوال المفسرين

الفرع الثالث: مفهوم الحبك في سياق النظريات العلمية

المطلب الثالث: السماء ذات الرجع

الفرع الأول: مفهوم ذات الرجع عند اللغويين

الفرع الثاني: مفهوم ذات الرجع عند المفسرين

الفرع الثالث: مفهوم ذات الرجوع في العلم

الخاتمة و النتائج و التوصيات

الملاحق

المراجع

مسرد الآيات

مسرد الأحاديث والآثار

مسرد الأعلام

مسرد المصطلحات العلمية

أما الخاتمة فتحدثت فيها عن أهم نتائج البحث والتوصيات المقترحة

وبعد فهذه الدراسة (السماء بين القرآن الكريم والعلم) قد بذلت في سبيل إخراجها على هذه الصورة كل ما في الوسع والطاقة، فما من سبيل رأيت فيه ما يفيدني في كتابتها إلا سلكته، وما من سبب غلب على ظني أنه يوصلني إلى غايتي ويحقق مقصدي إلا أخذت به، مواصلاً العمل آناء الليل وأطراف النهار بعد الاستعانة بالله عز وجل - ثم بتوجيهات مشرفي على هذه الرسالة، وأستغفر الله أن أكون مدعيًا الكمال، فإن الكمال لله وحده.

وأخيراً فهذا جهدي وعملي في هذه الرسالة - وهو جهد المقل ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأسأله أن يقبل مني هذا العمل المتواضع، وأن ينفعني به في الدارين، وينفع به المسلمين. فإن أصبت فمن توفيق الله - عز وجل - ثم من توجيه مشرفي الكريمين، وإن أخطأت فمن عند نفسي، والله من وراء القصد، وهو حسبي نعم المولى ونعم الوكيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول: مفهوم السماء في السياق القرآني والتفسير العلمي

المبحث الأول: مفهوم السماء في اللغة العربية

المبحث الثاني: مفهوم السماء في القرآن الكريم

المطلب الأول: السماء بمعنى السحاب

المطلب الثاني: السماء بمعنى المطر

المطلب الثالث: السماء بمعنى مصدر الرزق من المطر

المطلب الرابع: السماء بمعنى المجموعة الشمسية

المطلب الخامس: السماء بمعنى الحيز الداخلي والقريب من البناء

الساوي الأول

المطلب السادس: معانٍ أخرى للسماء

المبحث الثالث: التفسير العلمي للسماء

تمهيد

من الواضح أن القرآن الكريم هو كتاب عقيدة وإيمان، ونصوص تشريعية، وأوامر ونواهٍ. ومن غير الدقة بحال من الأحوال أن يتم تحويل القرآن الكريم إلى كتاب "طب" أو "فلك". كما أنه من الواضح - أيضاً - أن اللغة العربية هي الأداة الأهم في فهم نصوص الكتاب العظيم. وفهم ظواهر الكون باعتبارها الوسيلة لذلك، بل هي مفتاح حصري في فهم مدلولات القرآن الكريم.

ومنذ القرون الإسلامية الأولى، نشط المفسرون والدارسون للقرآن الكريم. وبدأ يظهر علم التفسير والتأويل. ورغم أن عدداً من العلماء لا يرون فرقا بين التفسير والتأويل، إلا أن عدداً آخر يقر بوجود فروق بينهما منها ما يقوله الراغب الأصفهاني بأن التفسير أكثر استعماله في توضيح معاني الألفاظ والمفردات، بينما يختص التأويل في الجمل والمعاني. وهو قريب من بعض الآراء التي تقول بأن التفسير يختص في بيان معاني المفردات التي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً. وبالمقابل، فإن التأويل يكون في المعاني المختلفة للمفردات والجمل التي تحتمل معاني متعددة¹.

¹ السيوطي، جلال الدين الشافعي، (ت 911 هـ) الاتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق سعيد المنذوه، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1416 هـ - 1996م، ج3، ص460. وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: الإتقان في علوم القرآن.

أما تعريف العلم فهو أيضاً مفهوم غير متفق عليه، وإنما يقترب العلماء من تعريف له بأنه طريقة معينة في البحث والتفكير تتم وفقاً لقواعد معينة¹. أما النظرية العلمية، فهي إجابات وتفسيرات لظاهرة وأحداث معينة؛ أي هي: "تصور ذهني مفترض ومتكامل يفسر ويوضح ظاهرة ما"².

والسماوية آية من آيات الله، ورد ذكرها في القرآن مائة وعشرين مرة، وبمعانٍ مختلفة، وفي مواضع مختلفة، وهناك دلالات ومعانٍ للسماوية منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، ومنها ما هو مجازي.

وعليه، فإن محاولة الباحثة في هذه الدراسة هو فهم وتحديد معنى السماوية لغتياً، عبر تناول الموضوع عند أهل اللغة، في المبحث الأول، وصولاً إلى المبحث الثاني في مفهوم السماوية في القرآن الكريم من خلال ستة مطالب، بحيث يتناول كل مطلب معنى من معاني السماوية في القرآن وهي بمعنى السحاب، وبمعنى المطر، وبمعنى الرزق، وبمعنى المجموعة الشمسية، وبمعنى الحيز الداخلي والقريب من البناء السماوي الأول، ومعانٍ أخرى، وفي المبحث الثالث من الفصل سيتم التطرق إلى أقوال العلماء القدماء والمحدثين في تفسيرهم العلمي للسماوية، ثم بعرض النتائج في سياق الآيات القرآنية وسياق العلم.

¹ أبو سمرة، محمود أحمد وآخرون، الإسلام والعلم، جامعة القدس، القدس، مكتبة دار الفكر، ط1، 1426هـ/ 2005م.

وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: نظرية المعرفة العلمية وأبو سمرة: الإسلام والعلم.

² ماهر، عبد القادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص43 + ص95.

المبحث الأول: مفهوم السماء في اللغة العربية:

تعد اللغة العربية الأداة الأهم في فهم القرآن الكريم. وعليه، فهذا المبحث يتعرف إلى المعاني المتعددة للسماء من خلال أقوال اللغويين.

السماء لغةً: من السمو والعلو "وكل ما علاك فأظلك فهو سماء، ومنه قيل لسقف البيت (سماء)، وللحباب "سماء" لأنه عالٍ، كما يتراءى للناس قال الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾¹ يريد من السحاب"² ولفظ "السماء يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، ويجمع على اسمية وسماوات، وقيل للمطر سماء لأنه ينزل من علو، وسما لي شخص: ارتفع حتى استنبتته، وسما بصره علا، وسماوة كل شيء شخصه"³.

بينما يقول (ابن سيده) على لسان سيبويه: "سماء وسماوات لا يُعني بذلك المطر استغنوا، بالتاء عن التكسير كما كان ذلك في العير حين قالوا عيرات، قال علي: استغنوا بالتاء في سماوات عن التكسير، إنما عني به التكسير الذي لأدنى العدد، وإلا فقد حكى هو وغيره سُمياً، واستثاؤه التي للمطر إنما حمله عليه أنه ذكر جمع المؤنث الذي على أكثر من ثلاثة أحرف، وهو الذي يجمع بالألف والتاء، وأما سماء المطر فمذكر، ولو عني به المطر لجعله من باب سُرادق وسُرادقات فتفهمه"⁴.

¹ سورة ق، الآية [9].

² الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ) أدب الكتاب موقع الوراق: <http://www.alwaraq.net> ج1، ص18. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: أدب الكتاب.

³ الجوهري، إسماعيل بن حماد التركي، (ت 393هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلابي، دار الحضارة العربية - بيروت، ط1، 1975، ص506. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الصحاح في اللغة والعلوم.

⁴ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، (ت 458 هـ)، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ - 1996م، ج2، ص361، ص418، ص419 وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: المخصص. وانظر: الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر (ت 666 هـ)، مختار الصحاح، دار الفجر الجديد، الأردن - عمان، ط1، 1417هـ / 1996م، ص161. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: مختار الصحاح.

ومثل ذلك ورد في لسان العرب والقاموس المحيط.¹

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾².

أما الكفوي فيقول: "إن السماء بمعنى المطر، يذكر ويؤنث، والأغلب عليها التأنيث، والجمع في القلة على (أسمية) وفي الكثرة على سُمي، وأما السماء المظلة فهي مؤنثة لا غير"³.

ومن الملاحظ من خلال عرض التعريفات اللغوية للسماء أنها "كل ما علاك فأظلك" لذا قيل: للمطر سماء؛ لأنه ينزل من علو وكذا السحاب سماء لأنه عال، وسقف البيت سماؤه، ولفظ السماء يذكر ويؤنث، ويجمع على أسمية وسماوات، وذلك تبعاً للسياق الذي وردت فيه.

¹ ابن منظور ت(711هـ)، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (الأفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، م14، ص397. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: لسان العرب. وانظر: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1415هـ / 1995م، ص1166. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القاموس المحيط.

² سورة الذاريات، الآية [47].

³ الكفوي، أبو النقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1419هـ / 1998م، ص507. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.

المبحث الثاني: مفهوم السماء في القرآن الكريم

ورد دال "السماء" في القرآن الكريم، في مواضع مختلفة، وجاء بدلالات ومعانٍ متباينة، بناءً على موضعها في السياق القرآني، وعليه سيتطرق المبحث إلى دلالات السماء في السياق القرآني، معتمداً في فهم هذه الدلالات على أقوال المفسرين، وذلك عبر ستة مطالب، بحيث يتناول كل مطلب معنى من معاني السماء، كما أشارت إليه آيات القرآن الكريم، وبما بينه علماء التفسير، وأهل اللغة.

المطلب الأول: السماء بمعنى السحاب

لقد ذكر الله السماء في مواطن عدة من الآيات في القرآن الكريم، وفي سياقات مختلفة بدلالات ومعانٍ مختلفة، بحسب موقعها في سياق الآية القرآنية، فقد وردت في القرآن الكريم بمعنى السحاب¹ وهو معنى غير فلكي للسماء²، وذلك كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾³ وقوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي﴾⁴ وقوله تعالى ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾⁵.

¹ ابن الجوزي، جمال الدين (ت 597 هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بروت، ط1، 1404 هـ / 1984 م، ص 358-359. وانظر: الدراويش حسين أحمد علي، معجم الإكليل المفهرس للوجوه والنظائر في محكم التنزيل، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، ط1، 1416 هـ / 1995 م، ص 194. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: معجم الإكليل المفهرس.

² جوهر، أحمد المرسي، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1421 هـ / 2000 م، ص 116. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية.

³ سورة إبراهيم، الآية [32].

⁴ سورة هود، الآية [44].

⁵ سورة القمر، الآية [11].

وقوله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾¹

وقوله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾².

وقوله تعالى: ﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ

حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾³

المطلب الثاني: السماء بمعنى "المطر"

تأتي السماء بمعنى المطر. كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ

مِنْ قَرْنٍ مَكَّيْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا

الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾⁴.

قال الطبري: "لقد أنزل عليهم المطر غزيراً متتابعاً فأخرجت لهم الأرض ثمارها،⁵

وكذا فسرهما البيضاوي فقال: "أي المطر والسحاب أو المظلة"⁶.

¹ سورة الذاريات، الآية [22].

² سورة الحجر، الآية [22].

³ سورة النمل، الآية [60].

⁴ سورة الأنعام، الآية [6].

⁵ الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت310هـ)، تفسير الطبري، دار القلم، الدار الشامية- بيروت، دمشق، ط1، 1418هـ/ 1997م، ج3، ص378. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير الطبري.

⁶ يطلق لفظ السماء على مسميات كثيرة، فيطلق على السماء المظلة للأرض كما في قوله تعالى في سورة الأنبياء "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا" الأنبياء [32]، يعني سقفاً للأرض كالسقف للبيت. وكما في قوله تعالى: "فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا" ق [6]. انظر: الحسيني، دليل الحبران في آيات من القرآن، ص95.

إن مبدأ المطر منها ومداراً أي مغزراً¹ وقد بيّن البقاعي السر في تسمية المطر بالسماء فقال: "وأرسلنا السماء" أي المطر تسمية للشيء باسم سببه أو السحاب (عليهم) ولما كان المراد المطر، كان التقدير: حال كونه (مداراً) أي ذا سيلان غزير متتابع؛ لأنه صفة مبالغة من الدر، ولما ذكر نفعهم بماء السماء، وكان غير دائم، أتبعه ماء الأرض لدوامه وملازمته للبساتين والرياح فقال: "وجعلنا الأنهار تجري"²

وقوله تعالى ﴿وَيَقَوْمٌ أَسْتَعْفِفُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾³ قال الطبري: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ إن آمنتم بالله، وتبتم إليه، فإنه يرسل عليكم الغيث، وينزل عليكم المطر، كثيراً متتابعاً فيحيي به البلاد والعباد، (ومداراً) أي يتبع بعضه بعضاً⁴. وفسر البقاعي قوله تعالى ﴿يرسل السماء﴾ أي الماء النازل منها أو السحاب بالماء، (عليكم مداراً) أي هائلة بمطر غزير متتابع، وأنواع البركات (مداراً) أي حال كونها كثيرة الدرور متكررتة⁵ ومثله ذهب السمرقندي بقوله: "يعني المطر دائماً كلما

¹ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر بن محمد الشيرازي، ت (791هـ) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة، مكتب البحوث والدراسات الإسلامية - دار الفكر، بيروت - لبنان، 1416هـ / 1996م، ج2، ص392. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل.

² البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، ت (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ / 1995م، ج2، ص590. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

³ سورة هود، الآية [52].

⁴ الطبري، تفسير الطبري، ج4، ص370-371. (م.س).

⁵ البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص370-371، وانظر: البقاعي، ج8، ص169، (م.س).

احتاجوا إليه¹ والذي يبدو لي أنّ السحاب والمطر سماء بالمعنى اللغوي كما يتراءى للناس وهناك معنى لغوي آخر أشارت إليه الآية من سورة النور سأبينه في فرع جبال السماء.

فرع جبال السماء:

قال الله تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾² ورد في الصفحة السابقة أنّ السماء تأتي بمعنى "السحاب" وهذا ما يتراءى للناس من علو أنه (سماء) بالمعنى المجازي، والسماء في هذه الآية الأنفة الذكر تعني ما علا من جو الأرض ولكن ماذا عن (جبال السماء) فهل في السماء جبال من بَرَدٍ كما في الأرض جبال من حجر؟ وهل كلمة جبال تعني المعنى الحقيقي أم المجازي؟!

لنرى ما يقوله علماء التفسير في جملة ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ ولأهل التأويل قولان في جبال البرد:

1. "من جبال فيها من برد" أي جبال من بَرَدٍ، وهي جبالٌ مخلوقة في السماء، موجودة هناك، مكونة من بَرَدٍ.

2. والمعنى الثاني ينزل بَرَدًا من السماء قدرَ جبالٍ وأمثال جبال كما تقول عندي بيتان تبنًا أي قدر بيتين من التبن³

¹ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (375هـ)، تفسير السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م، ج3، ص407. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير السمرقندي.

² سورة النور، الآية [43].

³ الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص568-569. (م.س)

وورد في تفسير زاد المسير: أن في السماء جبلاً مخلوقاً من بَرَدٍ، وينزل من السماء من جبال بَرَدٍ فيها"¹. وكذا ورد في تفسير الفخر الرازي: "أن في السماء جبلاً من برد خلقها الله تعالى كذلك، ثم ينزل منها ما شاء، (والقول الثاني عنده)؛ أن السماء هو الغيم المرتفع على رؤوس الناس سمي بذلك لسموه وارتفاعه، وأنه تعالى أنزل من هذا الغيم الذي هو (سماء): البرد، وأراد بقوله من جبال السحاب العظام؛ لأنها إذا عظمت أشبهت الجبال.. وإنما سمى الله تعالى ذلك الغيم جبلاً، لأنه سبحانه خلقها من البرد، وكما يصح أن يجعل الله الماء في السحاب ثم ينزله بَرَدًا، فقد يصح أن يكون في السماء جبال من برد؛ فالسماء اسم لهذا الجسم المخصوص، فجعله اسماً للسحاب بطريقة الاشتقاق مجازاً"². وكذا ذكر البيضاوي ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من بَرَدٍ) بيان للجبال، وقيل: المراد بالسماء المظلة، وفيها جبال من بَرَدٍ، كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنع"³.

والذي يبدو لي من جملة (من جبال فيها من برد)؛ أن التعبير فيها مجاز، وأن السماء هي الغيم المتراكم، وأن الله تعالى ينزل من هذا الغيم المتراكم بَرَدًا أو المراد

¹ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن، (597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي - دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ / 2002م، ص1002. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: زاد المسير في علم التفسير.

² الرازي، محمد الرازي فخر الدين (ت604هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1415هـ / 1995م. ج23، ص15-16.

³ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص194. (م.س).

بقوله من: "من جبال السحاب العظام؛ لأنها إذا عظمت أشبهت الجبال، بل إن الناظر

إلى هذه السحب ليراها كهيئة الجبال حسب ما أشار إليه الطبري.¹

وقد يكون في السماء (جبال من برد) خلقها الله تعالى كما خلق في الأرض جبالاتاً

من حجر.²

وعليه يمكن أن نقول إنّ المعنى على حقيقته والبرد قبل سقوطه يكون جبالاتاً لتراكمه وصلابته

وعظم حجمه وإما أن هذه الجبال تتكون داخل السحب ثم ينزل منها البرد فهي جبال متجمدة

والآية تشير أن السحب المتركمة فوق بعضها البعض تشبه الجبال لعلوها والبرد ينزل منها

حسب منطوق الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ

يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ...﴾³ والمقصود بالشرط الأخير من

هذه الآية أنه "ينزل من السماء من جبال" أي السحاب المؤلف المركوم في الجو العاصف قطعاً

جامدة من الماء أو البرد...⁴ وقد أيدت الكشوفات العلمية المادية المعاصرة صحة هذا القول،

لكن مع ملاحظة أن جبال البرد هذه، إنما تنشأ وتخلق عند حدوث السحاب المتراكم، قال الله

تعالى: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾⁵.

يقول جمال الدين: "من مزايا السحب الركامية أنها قد تمتد رأسياً إلى علو خمسة عشر كيلو

متراً أو أكثر، وبذلك تظهر لمن ينظر إليها عن بُعد كالجبال الشامخة وتتيح فرصة النمو في

الاتجاه الرأسى نشوء السحب الركامية عبر طبقات من الجو تختلف درجات حرارتها اختلافاً

¹ الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص568-569 بتصرف. (م.س).

² ابن الجوزي، زاد المسير، ص1002. (م.س).

³ سورة النور، الآية [43].

⁴ حنفي، أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، دون سنة نشر، (د.ت)،

ص370 بتصرف.

⁵ سورة الرعد، الآية [12].

كبيراً، فتنشأ بذلك الدوامات الرأسية ويتولد البرد، ولهذا فإن السحب الركامية هي وحدها التي تجود وتولد البرد وهذه الحقيقة في ذاتها تفسر لنا قول الله تعالى: ﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِجَالٍ

فِيهَا مِنْ بَرَدٍ¹ .

وفي الآية حقائق علمية لم يتوصل لها حديثاً، وهذه معجزة للقرآن الكريم، وقد استخدم العلماء (الرادار) في تصوير مراحل تكون السحب الركامية، تبين لهم أن السحب إنما تبدأ على هيئة عدة خلايا أو وحدات من السحب².

وبناءً على ذلك فكلمة جبال لا يراد بها معناها الحقيقي، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَالأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا³﴾ فماء الأرض خرج منها ولم يأتها من مكان آخر غيرها⁴.

فالدليل القرآني السابق الواضح بمنع المعنى الكلي ويحتم علينا أن نأخذ بمعناها المجازي وهذا ما أشار إليه القاسم في مؤلفه "فيفترض علينا أن نأخذ بمعناها المجازي، فإذا قلنا إن هذه الجبال في مكان ما في غير الأرض، نكون قد جعلنا البرد الذي هو ماء متجمد، جعلناه يأتني إلى الأرض من غير الأرض، وهذا يخالف منطوق الآية السابقة فماء الأرض خرج منها ولم يأتها من مكان آخر في السماوات⁵.

¹ الفندي، الله والكون، ص152، ص153، ص154.

² الزنداني، عبد المجيد، توحيد الخالق، ص350، ص351.

³ سورة النازعات، الآية [31].

⁴ عبيدية، فاطمة، محمد عايد، الماء في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير - جامعة النجاح الوطنية، إشراف: الدكتور محمد حافظ الشريدة، 2003، ص25، وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الماء في آيات القرآن الكريم.

⁵ القاسم، محمود بن عبد الرؤوف، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، دار الأعلام، عمان- الأردن، ط1، 1421هـ/2000م، ص117. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن.

وإذا قلنا: إن هذه الجبال التي ينزل منها البرد هي في مكان ما على سطح

الأرض نكون قد تناقضنا مع الآية الكريمة التي تقول "وينزل من السماء من جبال"

وأخذاً برأي القاسم: فإنه ما دامت هذه الجبال التي فيها من برد ليست في مكان

آخر غير الأرض وليست على سطح الأرض؛ لأنها في السماء فلا يبقى أمامنا أي

معنى آخر لكلمة السماء هنا إلا أنها ما علا من جو الأرض أو أنها السحاب فالجبال

لا تعني المعنى الحقيقي لها فهي مجاز والسماء هنا تعني السحاب بالمعنى اللغوي.

ومما يزيد الأمر وضوحاً ويؤكد في أن السحب الركامية التي ظهرت كهيئة الجبال

هي التي يتولد منها البرد وهذا ما ذكره عفيف طبارة فقال:

"قبعد أن تتكوّن نقط المطر تعمل تيارات الهواء الصاعد على حملها إلى مناطق

التجمّد في ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها الحرارة إلى (40-50) درجة مئوية تحت

الصفّر، فتتحول نقط المطر إلى ثلج، وتتجمّع حولها أغشية من بلورات الثلج التي

تحوّلت إلى جليد، فيجتمع بعضها إلى بعض عن طريق التصادم، فتتمو ويزداد

حجمها، بحيث لا يقوى الهواء على حملها فتسقط على شكل برد...."¹

"وتشبيه السحب الركامية بالجبال إشارة إلى ضخامة القوى الكهربائية المشتركة في

تكوين البرد، والبرد لا ينزل إلا من هذا الشكل الجبلي الركامي، والذي يزيد من

الإيحاء بهول حجم هذا النوع من السحب لفظ [من] الذي يدل على أن كل هذه

الكميات التي ينزل من (البرد) ما هي إلا (من) مكونات هذه السحب..."²

ومن السحابة الركامية ينزل البرد والثلج والزخات الشديدة.

¹ طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح القرآن الكريم، تفسير سورة النور، دار العلم للملايين، ط1، 1993م، ص94.

² خضر، عبد العليم، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ص24-25.

إن تشبيه هذه السحب بالجبال معجزة القرآن، فالسحب الركامية تنمو في الاتجاه الرأسي، وترتفع قممها إلى علو (15-20) كيلو متر فتبدو كالجبال الشامخة ولا يعرف هذا التشابه إلا من يركب طائرة تعلق به فوق السحاب ولم تكن الطائرات في عصر سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم¹.

المطلب الثالث: السماء بمعنى مصدر الرزق:

ورد في مواضع كثيرة من كتاب الله آيات يبين الله تعالى فيها، من وأين وكيف ومتى الرزق؟ فهو من عنده ومن السماء ومكتوب في اللوح المحفوظ؛ فأصل الرزق من السماء، فمنها ينزل الماء إلى الأرض، ومن الأرض ينبت الزرع ومن الماء تحيي الأرض بعد موتها، ومن عليها من المخلوقات، ولمزيد من الإحاطة بالموضوع تعرض الدراسة آراء المفسرين لآيات القرآن الكريم التي تشير إلى السما بمعنى الرزق. يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾². وفي بيان هذه الآية يشير البقاعي بقوله "ولما بين بما يشاهده كل أحد في نفسه أنه المنعم وحده، أمر بذكر نعمته بالاعتراف أنها منه، فإن الذكر يقود إلى الشكر "يا أيها الناس اذكروا" فالذكر يكون بالقلب واللسان فعليكم بالذكر والشكر لا الكفر ولما أمر بذكر نعمته، أكد التعريف بأنها منه موبخاً من جحد وغفل (هل من خالق غير الله؟)، فجاء الجواب: لا بل هو الخالق وحده، فقال منبهاً على نعمة الإبقاء الأول ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ أي وحده،

¹ طبارة، روح القرآن الكريم، ص96.

² سورة فاطر، الآية [3].

ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع أدلّ على العظمة قال: ﴿من

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بالمطر والنبات ولما بيّن أنه الرازق وحده انقطع أمل كل أحد من

غيره، حتى من نفسه، فيحصل الإخلاص، فتعين أنه سبحانه الإله وحده¹. وبالرجوع

إلى المعجم اللغوي لفهم الكلمة لغوياً تبين أن لفظة الرزق: تعني ما يُنتَقَعُ به والجمع

الأرزاق، والرزق العطاء، وقد يُسمّى المطر رزقاً²، واستدل على ذلك بقوله تعالى

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الْعَمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾⁴

قال المفسر البقاعي: (من السماء رزقا): أي جهة العلو الدالة على قهر ما نزل

منها بإمساكه إلى حين الحكم بنزوله "رزقا لإقامة أبدانكم من الثمار والأقوات بإنزال

الماء"⁵

¹ البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص202 - 203. (م.س).

² الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص380، (م.س)، الرازي، مختار الصحاح، ص125-126. (م.س).

³ سورة البقرة، الآية [22].

⁴ سورة غافر، الآية [13].

⁵ البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص492. (م.س).

وقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾¹.

وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾². فالأدلة
القرآنية تشير أن أول صورة من صور رزق السماء هو المطر الذي نرتوي به،
ونروي مزرعاتنا، وقد يفهم منه أيضاً أنه الغازات التي تتنفسها الحيوانات والنباتات
والأناسي، فينحصر مفهوم السماء هنا بنطاق التغيرات الجوية أو نطاق الرجح،³
والماء أصله من داخل الأرض،⁴ ولا يزال يخرجها لنا ربنا عبر فوهات البراكين
على هيئة بخار الماء الذي يتكثف في الأجزاء العليا من نطاق التغيرات الجوية فعاد
إلى الأرض أنهاراً متدفقة.⁵ وفي قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾⁶ يقول البقاعي في تفسيرها: "ولما قدم سبحانه أن شركاءهم مُرييون
مقهورون، لا قدرة لهم إلا على ما يقدرهم الله عليه، وأنه وحده المولى الحق، وبانت
بذلك فضائهم، أتبعه ذكر الدلائل على فساد مذهبهم، فوبخهم بأن وجه السؤال إليهم
عما هم معترفون بأنه مختص به، ويدل قطعاً على تفرد جميع الأمر الموجب من

¹ سورة البقرة، الآية [164].

² سورة الأنعام، الآية [99].

³ النجار، زغلول راغب محمد، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط4، 1428هـ/ 2007م،
ص 377- 379 بتصرف. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: السماء في القرآن الكريم.

⁴ عبيدية، الماء في آيات القرآن الكريم، ص25، (م.س).

⁵ النجار، السماء في القرآن، ص379. (م.س).

⁶ سورة يونس، الآية [31].

غير وقفة لاعتقاد تفرده بالإلهية، فقال: "قُلْ" أي يا أكرم خلقنا وأرفقهم بالعباد ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ أي يجلب لكم الخيرات أيها المنكرون للبعث (من السماء) أي: بالمطر وغيره من المنافع (والأرض) بالنبات".¹ وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾² ففي هذه الآية، يقسم الله عز وجل بنفسه الكريمة، أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مريّة فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وأقسم بالسماء وما فيها من أسباب الرزق يعني المطر"، بمعنى الماء الذي به أصل الحياة ووجودها³ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁴ والماء الذي به الأرض تحيا وينمو الرزق لكل من عليها، فالله يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁵.

وهناك إشارة أخرى لمعنى السماء إذ أشار إليها طنطاوي جوهرى في بيان معنى الآية: "وفي السماء رزقكم" أي أسباب رزقكم أو تقديره، وما توعدون من الثواب كذلك؛ لأن الجنة فوق العوالم السماوية؛ أي أن الأعمال وثواب الأعمال مقدرات في

¹ البقاعي، نظم الدرر، ج3، ص438. (م.س).

² سورة الذاريات، الآية [22].

³ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، (د.ت)، ج4، ص235. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير القرآن العظيم.

⁴ سورة الأنبياء، الآية [30].

⁵ سورة هود، الآية [6].

العالم الأعلى، وجميع الرزق حاصل بأسباب سماوية¹. وهذا تأكيد على أن أمر الأرض من السماء، الماء أصل الحياة يتكون هناك في السماء، ثم ينزل منها إلى الأرض رزقاً لكل من عليها من المخلوقات، ومن الأرض يخرج بخار الماء "ولا يزال يخرج لنا ربنا عبر فوهات البراكين على هيئة بخار الماء الذي يتكثف في الأجزاء العليا من نطاق التغيرات الجوية فيعود إلى الأرض أنهاراً متدفقة². وهذا يذكر بالآية الكريمة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ التي يقولون في تفسيرها: "بمعنى الإعادة والإرجاع وذلك لرد الهواء ما تناوله من الماء"³

المطلب الرابع: السماء بمعنى المجموعة الشمسية⁴

المجموعة الشمسية: هي نقطة كونية تحتل بقعة صغيرة من الكون الكبير، وتضم هذه النقطة نجماً مركزياً هو الشمس وتدور حولها تسعة كواكب وعشرات من الأقمار وآلاف من الكويكبات، بالإضافة لأعداد وافرة من المذنبات والشهابيات والبحث جار عن كوكب عاشر، ويمكن تقسيم الكواكب من الناحية الفيزيائية إلى مجموعتين تضم الأولى حسب بعدها عن الشمس⁵، عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، وتسمى (الكواكب شبيهة الأرض) أما المجموعة

¹ جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط4، 1412هـ/ 1991م، ج23، ص114. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الجواهر في تفسير القرآن الكريم.

² النجار، السماء في القرآن، ص379. (م.س).

³ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 516هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الفكر، بيروت، 1422هـ/ 2002م، ج5، ص346. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل.

⁴ العبيدي، خالد فائق، الفلك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص59. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الفلك.

⁵ عوض، مرفت السيد، ومحمود، مصطفى كمال، علم الفلك العام، ص111.

المجموعة من المشتري، زحل، أورانيوس، نبتون، بلوتون فتسمى (شبيهة المشتري) أو السيارات العظمى¹.

تأتي السماء بمعنى المجموعة الشمسية باعتبار السماء مستودع لها، وباعتبار أن كل مكون فيها له سماء.

وإن أقرب موجود لنا نراه بالعين المجردة؛ هما القمر والشمس؛ ففلك القمر يعلو الأرض وهو سماء بالنسبة للأرض، والشمس في مركز المجموعة الشمسية نفسها لها سماء وسمائها كواكبها التي تسبح حولها. فالسماء مشاهدة والمشاهد فيها هو الفلك بأجرامه².

وأفلاك الكواكب مشاهدة مما يدل على أن الأفلاك سماوات، وأفلاك الكواكب سماواتها حسب تصريح ابن تيمية عندما سئل: "هل الأفلاك هي السماوات أو غيرها؟ فأجاب: الحمد لله ... قوله: الأفلاك هل هي السماوات أو غيرها؟ ففي ذلك قولان معروفان للناس، لكن الذين قالوا إن هذا هو هذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا خَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³ وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴ وقال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁵

قالوا: فأخبر الله تعالى: أن القمر في السماوات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴ وقال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁵

قالوا: فأخبر الله تعالى: أن القمر في السماوات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴ وقال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁵

¹ انظر: لين نيكلسون، علم الفلك، ص32، وانظر: عوض، ومحمود، المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها، وانظر:

مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص515.

² الطوخي، السماء والأرض والفضاء، ج5، ص72. (م.س).

³ سورة نوح، الآية [15-16].

⁴ سورة الأنبياء، الآية [33].

⁵ سورة يس، الآية [40].

فأخبر في الآيتين أن القمر في الفلك كما أخبر أنه في السماوات، ولأن الله تعالى أخبر أننا نرى السماوات بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ

الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٥﴾¹

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٢﴾ وَأَمْثَلِ

ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهدة، والمشاهد هو الفلك (بأجرامه)، فدل على أن أحدها هو الآخر".³

وقال بعضهم: إن الأفلاك غير السماوات لكن رد عليه غيره هذا القول بأن الله تعالى قال:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ

سِرَاجًا ﴿٦﴾﴾⁴. فأخبر أنه جعل القمر فيهن وقد أخبر أنه في الفلك.

فتصريحه بأن السماوات مرئية يعني أفلاك تلك الأجرام السماوية المشاهدة، وأغلب أقوال

المفسرين أن السماوات هي الأفلاك، والأفلاك مجاري الأجرام السماوية المشاهدة فالقمر أحد

الأجرام الفلكية المرئية، والقرآن الكريم يصرح بأنه في السماوات.

وفضلاً عن الدلالة أن نوح - عليه السلام - كان يقيم الحجة على قومه بما هو ليس غيباً

وإنما أمراً مرصوداً.⁵

ومن الأدلة القرآنية على أن ما في السماوات مُعَين هو تكرار الأمر مراراً بتوجيه النظر

إلى ما فيها.

¹ سورة الملك، الآية [3-4].

² سورة ق، الآية [6].

³ ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم الحراني أبو العباس، كتب وفتاوى ورسائل شيخ الإسلام، مكتبة بن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي، ط2، ج6، ص593.

⁴ سورة نوح، الآية [15-16].

⁵ العرابلي، عبد المجيد، حقيقة السماوات، ج1، ص142-143.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾².

مما سبق يبدو أن النظر لم يوجه إلى السماوات ذاتها، وإنما إلى ما فيها، مما يعني أنها (طرائق)، وأن أجرامها مرئية³.

والكواكب ترى بالعين المجردة فقط من داخل المجموعة الشمسية،⁴ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا أَلْكُوكِبِ﴾⁵، يقول ابن عاشور: "يمكن حمل تعبير (السماء الدنيا) على الجو عند الإطلاق في السياق، وعلى أدنى أفق فلكي عند التخصيص بالكواكب دون آفاق الأجرام"⁶.

ويقول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾⁷.

والمجموعة الشمسية تحوي الشمس (سراجاً) والقمر، ويمكننا من داخل المجموعة الشمسية أن نرى البروج⁸ وبناءً عليه فالسمااء مشاهدة والمشاهد فيها هو الفلك بأجرامه⁹.

¹ سورة يونس، الآية [101].

² سورة الأعراف، الآية [185].

³ سباحة كل جرم في فلكه يؤدي إلى حدوث مستوى وهذا المستوى هو سماء بالنسبة للجرم، وكل جرم يتحدد سماؤه بفلكه، والفلك هو مجرى النجم وطريقه وبناء على ذلك (فالأفلاك) هي الطرائق، والطرائق هي السماوات. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص242. وانظر: الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص302. وانظر: عراجي، القرآن وعلوم العصر الحديثة، ص17. وانظر: دانيال، تنبؤات علمية على ضوء الدين، ص42.

⁴ عمري، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بحث رقم (93/14)، (م.س).

⁵ سورة الصافات، الآية [6].

⁶ ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع/ تونس، ج1، ص384. وعند إعادة إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير التحرير والتنوير.

⁷ سورة الفرقان، الآية [61].

⁸ أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م، ج6، ص467. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير البحر المحيط وانظر: عمري: خلق السماوات والأرض في ستة أيام بحث (93/14) (م.س).

⁹ الطوخي، السماء والأرض والفضاء، ج5، ص71/75. (م.س).

وهذا ما أشار إليه أيضاً الألويسي فقال: "أجمعوا أن السماوات التي هي الأفلاك لا تُرى لأنها شفافة" ثم أردف قائلاً: لا تحجب الأبصار عن رؤية ما وراءها من الكواكب" واستطرد قائلاً: "وظواهر الآيات والأخبار ناطقة بأن السماء أجرامها مرئية"¹.

ومثله ذهب النحاس: "السماوات (أجرامها) مرئية"²

والمرئي هو آفاق تلك الأجرام المشاهدة وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي حسب ما أورده ابن عاشور³ في تفسيره للآية (29) من سورة البقرة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾⁴ والذي يبدو لي أن كل مستوى أعلى من منطقة ما يعتبر سماء بالنسبة لها إلا أن هناك أموراً لا ينطبق عليها تعريف السماء (كل ما علا) نتيجة السباحة الكونية للأجرام، يقول أحمد زكي:

"وتسأل الرجل العادي عن السماء، فيقول لك: إنها هي هذه التي فوقنا، وهو لا يكاد يدرك، أن هذا الذي هو فوقه، في موضعه على سطح هذه الكرة الأرضية، شيء غير ثابت، وإنه يرى من السماء، في كل ساعة، شيئاً غير الذي رآه في ساعة سابقة وغير ما سوف يراه في ساعة لاحقة... إن هذا الذي هو (فوقه) كان منذ نصف يوم (تحتة)، والذي هو على (يمينه) كان منذ نصف يوم على (يساره) إن ساكن الأرض هو وحده الذي يعرف معنى

¹ الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد (ت1270هـ)، روح المعاني، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1414هـ / 1994م، ج13، ص87. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: روح المعاني.

² النحاس، أبو جعفر (ت338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية والتراث - مكة المكرمة، ط1، 1409هـ / 1988م، ج3، ص468 + ج5، ص281 بتصرف. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: معاني القرآن الكريم.

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص385-386. (م.س).

⁴ سورة البقرة، الآية [29].

(الفوق) و(التحت) وغير ذلك ساكن في الكون سابح، والساكن (الكون) والسابح فيه، لا أرض

عنده ولا سماء، فالكل عنده سماء"¹

والذي يبدو من قوله: أن هذا التفسير علمي وضعي، فيه تغيير لوضعية السماء، فمثلاً:

القمر له فلك واحد يسبح فيه حول الأرض، والأرض لها فلك آخر حول الشمس، إلا أن القمر

والأرض كل منهما يسبح في فلك واحد بالنسبة للشمس.²

والشمس تسبح بالنسبة للمجرة إذ لها حركتان داخل المجرة، وحول مركز المجرة ولكي

تسبح حول مركز المجرة لا بد أن تكون متحركة³.

ومجرتنا تسبح وتجري مع حشد من المجرات المحلية العظمى⁴. وعليه فالقمر له فلك

يسبح فيه، وما أكثر أفلاك الشمس عندما نضم إليها كل توابعها من كواكب بأقمارها، ونجميات

وجزراً صغيرة من الصخر، وهي كلها ذات أفلاك، وبعضها له أكثر من مدار كالأرض التي

تدور حول محورها وحول الشمس، وضمن موكب المجرة الدائر، فكلها كرات تسبح في فلك

منتظم.⁵

¹ زكي، أحمد، مع الله في السماء، دار الهلال، (د.ت)، ص23-24. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: مع الله في السماء.

² الشديفات، وصفي أمين، الله فائق الرثق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، عالم الكتب الحديث، إربد- جدارا للكتاب العالمي - عمان، (د.ط)، 2007، ص303. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الله فائق الرثق وطاوي السماء كطي السجل للكتب.

³ الكحيل، عبد الدايم، روائع الإعجاز في الكون، www. kaheel7.com، 2009، ص302. وانظر: البارودي، عماد زكي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص37. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: روائع الإعجاز في الكون والإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

⁴ الشريف، عدنان، من علم الفلك القرآني، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 1991م، ص74-75. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: من علم الفلك القرآني.

⁵ بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني - بغداد، 1990م/1410هـ- الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ص380. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني.

فهذه السباحات في الأفلاك، هي سماوات بالبعد المكاني والزمني حتى لو تغيرت الاتجاهات أثناء السباحة.¹

وبناءً على ذلك فهناك عدة تعريفات للسماء؛ فهي عند شاعر الجبار آفاق الأجرام السماوية أي ما يعلوها وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود أفلاك في صفحة السماء.² وهي عند علماء الفلك المحدثين: "الكرة الجامعة للأفلاك والنجوم كلها في حدود كوننا المادي".³

"وهي كل ما يحيط بالكرة الأرضية، وهي في كل إتجاه للإنسان لأنها تحيطه من كل الجهات ومن فوقه ومن تحته، معتبراً أن كل ما هو فوقنا يعد تحت غيرها من أهل نصف الكرة الأرضية الجنوبي، وما فوقهم هم من سماء يعتبر تحتنا".⁴

المطلب الخامس: السماء بمعنى الحيز الداخلي والقريب من البناء السماوي الأول

تخبرنا الآيات الكريمة أن السماء الدنيا زينّت بمصابيح، والمصابيح هي تلك النجوم التي تنتشر في السماء وتبعد عن بعضها البعض مسافات مكانية وزمانية وتسمى هذه الأبعاد بالنسبة للنجوم (بالحيز).

¹ عمري، حسين يوسف، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، بحث رقم (19/6)، جامعة مؤتة- الكرك- الأردن. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم.

² عبد الجبار، شاعر، القرآن يفك لغز الأرض، مطبعة أسعد- بغداد، ط1، نيسان، 1985م، ص17. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القرآن يفك لغز الأرض.

³ الحسيني، خلف محمد، دليل الحيران في آيات من القرآن، دار نهضة- مصر/ الفجالة - القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص96. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: دليل الحيران في آيات من القرآن.

⁴ نوفل، عبد الرزاق، السماء وأهل السماء، دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان، 1394هـ/ 1974م. ص26-27، وانظر شحاته عبد الله، آيات الله في الكون، نهضة مصر- الفجالة- القاهرة، ط5، 2005، ص48. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: السماء وأهل السماء، وآيات الله في الكون.

فالسماة متعددة وكل مكون فيها له (سماة) قياساً على الأبعاد المكانية والزمانية للوصول

إلى النجم.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾¹

ويقول تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾²

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾³

إن وجود هذه السماة مخصص للزينة، وكل ما يشاهد من على الأرض متألئاً من أجرام

السماة سواء بالعين المجردة أو بأي وسيلة إنما هو في السماة الدنيا وليس في غيرها، فهذه

الزينة لأهل الأرض ويلحق بها الجزء البعيد من مصابيح الزينة⁴.

وهي السرج سميت بها الكواكب⁵.

وقد جعل الله تعالى مادة النجوم (الشهب) رجوماً للشياطين التي تحاول استراق السمع⁶.

¹ سورة الحجر، الآية [16].

² سورة فصلت، الآية [12].

³ سورة الملك، الآية [5].

⁴ عبد الجبار، القرآن يفك لغز الأرض، ص24. (م.س).

⁵ الرازي، التفسير الكبير، ج29، ص60. (م.س).

⁶ الألوسي، روح المعاني، ج29، ص14، انظر: عمري، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بحث رقم (14/93).

(م.س).

يقول عبد الدايم كحيل: "... إن المرحلة التالية للدخان كانت تشكل النجوم اللامعة أو الكوازارات¹، وعندما درسوا هذه النجوم وجدوها تعمل عمل المصابيح فهي تكشف وتبهر الطريق الواصل إلينا ويمكن بواسطتها رؤية الأجسام المحيطة بها"²

مما سبق نتبين من الآيات أن المصابيح هي زينة للسماء الدنيا وأن الله تعالى جعل مادة النجوم (الشهب) رجوماً للشياطين التي تحاول استراق السمع.

وثمة تعبير آخر للسماء هو الحيز أي الأبعاد المكانية أو الزمانية للوصول للنجم.³

فكل ما بداخل السماء من أجرام وكواكب ونجوم له سماء، (قال الطوخي): "لكل كوكب حيز وهذه الكواكب مجموع الأجرام السماوية المائلة للفضاء وليس لتلك الأجرام حد معلوم أو تكون طباقاً باعتبار حركاتها وحيزها وطبيعتها فإنها تنقسم إلى نجوم وشموس وكواكب وتوابع وذوات أذنان وكلها بحسب الظاهر طبقات على حسب البعد عنها... والسيارات السبعة المرئية بالعين المجردة فكل جرم منها أرض تحيط بها سماء"⁴

يظهر من قول الطوخي أن السماوات متعددة بين كل واحدة والأخرى حيز أي أماكن موجودة بين مدارات الكواكب والشموس فهي سماوات لابتعادها عن النقطة الأصل.

¹ الكوازارات، مفرداها كوازار أي جرم يشبه النجوم مدموج يوجد خارج المجرات، ويبدو كنقطة ضوء إلا أنه يبيت طاقة أكثر من مئات المجرات المجتمعة، والكوازارات هي القلوب المضيفة للمجرات صغيرة السن التي توجد على أبعاد كونية سحيقة ويعتقد أن سطوعها يرجع إلى إشعاع تبثه مادة ساخنة تهوي داخل ثقوب سوداء ذات كتلة فائقة هي مركز الكوازارات. انظر: كلوز، فرانك، النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة (191)، ص287. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون. وانظر: هوكنج ستيفين الثقوب السوداء، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1995، ص255 وسيشار إليه هكذا عند إعادة ذكره: الثقوب السوداء.

² الكحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص118. (م.س).

³ عمري، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، بحث رقم (19/6)، ص5، (م.س).

⁴ الطوخي، السماء والأرض والفضاء، ج5، ص74-75. (م.س).

وهذا ما ذكره الكحيل في كتابه فقال: "السماء تعني المكان بين النجوم والمجرات وهي

تحيط بها من كل جانب".¹

لكن هل المجموعة الشمسية مع المجرة هي سماؤنا الدنيا!؟

إن كل ما يتراءى لنا من نجوم - القريب والبعيد منها - بالعين المجردة أو بأي واسطة

نظر عياني² إنما هو في السماء الدنيا.³

(الألفا قنطورس) أقرب نجم إلينا يبعد عنا (4.3) سنة ضوئية⁴ في حين أن رجل الجوزاء

يبعد عنا حوالي (500) سنة ضوئية. وما نراه من نجوم يقع ضمن نطاق مجرة درب التبانة

هو زينة للسماء الدنيا وما تحويه مجرتنا من نجوم تقدر (100.000) مليون نجم وعشرة

بلايين سيار كالمجموعة الشمسية وامكانية الحياة على (100 ألف) سيار من هذه الأنظمة⁵،

فلا يمكن أن تكون مجموعتنا الشمسية هي السماء الدنيا لأنها تقع على بعد (30.000) سنة

ضوئية من مركز المجرة و (20.000) سنة ضوئية من حافتها، وبناءً عليه فمجرتنا هي جزء

من السماء الدنيا لاحتوائها على النجوم المتألثة التي تزينها ليلاً.

¹ الكحيل: روائع الإعجاز في الكون، ص19.

² اليماني، بهاء الدين الحسيني، الكون في القرآن الكريم، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص75. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكون في القرآن الكريم.

³ السماء الدنيا تعبير إلهي ورد في القرآن الكريم يدل على هذه السماء المرئية بالعين المجردة، والمرصعة بالنجوم والكواكب والأجرام الأخرى، والدنيا: أي (القريبة منا). انظر: مؤمن، عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 2006م. ص261-262.

⁴ السنة الضوئية: هي المسافة التي يعبرها الضوء في سنة واحدة 9.4607 ألف مليار كم. انظر: موور، باتريك، موسوعة غينيس في علم الفلك، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م، ص291. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: موسوعة غينيس في علم الفلك.

⁵ الفندي، محمد جمال الدين، الله والكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976م، (د.ط)، ص214، وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الله والكون. وانظر: الفندي، محمد جمال الدين، القرآن والعلم، دار المعرفة- القاهرة، ط1، 1968م. ص216. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القرآن والعلم.

وإذا كانت مجرة درب التبانة تحوي (100.000) مليون نجم فأين بقية أجزاء السماء

الدينا؟؟

ماذا عن آلاف المجرات التي التقطت عبر تلسكوب (هبل) الفضائي للأنظمة العنقودية المجرية والتي تضم آلاف المجرات (كعنقود الذؤابة) فهو يحوي (1024) مجرة، (وعنقود العذراء) (10.000) مجرة ويبعد عنا (30) مليون سنة ضوئية وهو كبير للغاية وعلى طرفه تقع مجرتنا كوقوع مجموعتنا الشمسية على طرف المجرة.

يقول اليماني: "ولما كانت مجرتنا درب التبانة عضواً في نظام عنقود العذراء، فيمكن القول أن السماء الدنيا؛ هي هذا العنقود العملاق الذي يضم عشرة آلاف مجرة كمجرتنا، هذا إذا لم يكن نظام عنقود العذراء العملاق عضواً في نظام آخر أكبر منه إذ في هذه الحالة سيكون النظام الأخير هو السماء الدنيا"¹

واستتبع قائلاً: "ولما كان نظام عنقود العذراء العملاق يبعد عنا حوالي (30) مليون سنة ضوئية وكنا نحن ضمن مجرتنا درب التبانة على طرفه لا نرى منه بالعين المجردة إلا حوالي (7000) نجم من نجوم مجرتنا البالغ (100) ألف مليون نجم ترصع السماء الدنيا عندها يمكن القول إن مجرتنا ليست إلا عضواً في السماء الدنيا التي تحوي عشرة آلاف مجرة كمجرتنا"².

والذي يبدو للباحثة أن كل ما تم اكتشافه بأي وسيلة علمية هو يقع ضمن السماء الدنيا التي تكلم عنها القرآن الكريم فهو لم يتكلم إلا عن السماء الدنيا (الأولى) فالمجموعة الشمسية بمكوناتها. سماء لها (أسمية)، وكذلك مجرة درب التبانة، فما بالك بالآلاف المجرات والتي بداخلها مجرات تتبع وتخضع لأنظمة عنقودية مجرية فلا نستطيع أن نتخيل ما وراءها من

¹ اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص83. (م.س).

² اليماني، المرجع السابق نفسه.

مجرات ولا قياس الأبعاد فيما بين نجومها وكواكبها وشموسها، وبناءً على ذلك يصعب حصر عدد السماوات إذ لا نعرف لها حدود، وما بداخلها وما وراءها؛ فالكل يقول في إيجاد مفهوم للسماء ولم يصل أحد إلى تعريف جامع مانع للسماء، ومحاولتهم ما هي إلا اجتهاد في كلام مركب حتى قالوا إنها الكرة الجامعة للأفلاك وهي الحُبك والمجرة والحيز.

المطلب السادس: معانٍ أخرى للسماء

وهناك معانٍ أخرى للسماء في القرآن الكريم منها: الفضاء الكوني المظلم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾¹، وتأتي بمعنى القبة الزرقاء، والغلاف الجوي الذي يعلو الأرض ويلامسها عند الأفق،² ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾³، ولقد وردت كلمات عديدة في القرآن الكريم بمعنى السماء بطبقاتها مثل (السماء) و (السماء الدنيا)، فقد تكون طبقة كونية واحدة،⁴ مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾⁵ وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁶، وبمعنى الفلك أو البناء أو الأجرام السماوية⁷ كما في الآية الكريمة: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾⁸.

¹ سورة الحجر، الآية [14].

² جوهر، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية، ص116. (م.س).

³ سورة النحل، الآية [79].

⁴ القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص97. (م.س).

⁵ سورة فصلت، الآية [12].

⁶ سورة فصلت، الآية [12].

⁷ عمري، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بحث رقم 16/93. (م.س).

⁸ سورة الإسراء، الآية [92].

وهي سماء الأرض وسماء المجموعة الشمسية¹ قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ

الْكَوَاكِبِ﴾² وقوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾³

وأما معناها فهو: كل شيء أعلاه وكل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة

إلى ما فوقها فأرض إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض⁴ وحمل على هذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾⁵.

من خلال ما تم عرضه من أقوال أهل التفسير، تبين أن هناك تطابقاً في المفهوم للسماء،

عند اللغويين والمفسرين وذلك؛ لأن اللغويين فهموا السماء بمعنى السحاب، والمطر، والعلو،

والسمو، والرزق، وما علاك فأظلك ولاحظنا من خلال عرضنا لأقوال المفسرين للآيات التي

تدل على معنى السماء فوجدناه بمعنى، المطر والسحاب، والرزق، والعلو، وعليه نستطيع

القول: إن هناك تطابقاً بين المعنى اللغوي للسماء، وبين معنى السماء في السياق القرآني

الكريم.

¹ العبيدي، الفلك، ص59. (م.س).

² سورة الصافات، الآية [6].

³ سورة الملك، الآية [5].

⁴ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، ت(502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار العلم - دمشق، ط2، 1418هـ/ 1997م، ص427-429. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: المفردات في غريب القرآن.

⁵ سورة الطلاق، الآية [12].

المبحث الثالث: التفسير العلمي للسماء

مع انتقال البشرية إلى حالة المدنية، واعتمادها على فلسفة العقل والتجريب في فهم وتفسير الظواهر الطبيعية، ابتدأت حالة من المعرفة تسود البشرية معتمدة على العلم المعتمد على التجربة والحس، فلم تكن علوم الأرض وما عليها، والسماء وما فيها بعيدة عن حقل المعرفة عند العلماء، في البحث في كنهها، واكتشاف ناموسها وعللها، وكانت السماء موضوع دراسة أهل الفلك والفيزياء وغيرها من الحقول.

وقد عبر كثير من العلماء عن (السماء) بمعنى الكون، وذلك باعتبار أن السماء مخلوقة كائنة أوجدها الله سبحانه وتعالى، ولا ضير في ذلك؛ لأن أصحاب هذا التعريف لعلم استخدموا أحد المترادفات، والكون الذي قيد الدراسة، هو كل ما يُرى وما لا يُرى في الفضاء، أي أن الحيز المتوهم لكل المدركات الحسية والغيبية، وإن فعل الأمر "كن" له تأثير معجز في قلب الكائنات ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾¹. مصداقاً لقول الله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِينَا لَمُوسِعُونَ﴾².

يتناول هذا المبحث مفهوم السماء في سياق العلم من خلال أقوال كل من، البيروني³، عراجي، الكرداني، اللبابيدي، وصلاح الخالدي، وحسن الشرقاوي،

¹ سورة البقرة، الآية [117].

² سورة الذاريات، الآية [47].

³ البيروني: محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني، ولد في بلدة بيرون من أعمال خوارزم وذلك عام 362هـ — 973م، وفي 440 إلى 1048م كان وفاته، اشتهر بالعلوم والرياضيات والفلك والفلسفة والشعر والتاريخ... عمل جداول في الفلكيات والهندسة.. ووضع كتاباً في الفلك (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم)، وكتاب القانون المسعودي وكتب أخرى. أنظر: الميداني، الأطلس الفلكي ص89.

ومحمود قاسم، وسيد وقار حسني، وأبو سنيته ومحمد عبد الصمد، ثم يُجَمَل أقوال هؤلاء في مفهوم السماء.

وفي معرض الحديث على تحديد مفهوم السماء، يشير البيروني إلى أن السماء هي: "كل ما علاك فأطلق، حتى أن هذا الاسم يقع بالتقييد على السحاب وعلى سقوف البيوت فأما بالإطلاق فهو السقف المرفوع للعالم وهو الفلك أي الشبيه بالرحا من قبل حركتها المستديرة"¹، ويوضح إبراهيم عراجي، إلى أن "السماء هي ذلك الفضاء السحيق المترامي الأطراف الممتد إلى ما لا نهاية، وهي الكون بأسره والوجود بكليته"². فالسماء في العلم هي سماء الشمس والقمر والشهب والكواكب والنجوم والسُّدم"³ ويشير المعنى الفلكي للسماء كما عند شاكر الجبار إلى آفاق الأجرام السماوية؛ أي ما يعلوها. وقد أشار القرآن إلى وجود أفلاك في صفحة السماء.⁴ وهي عند علماء الفلك المحدثين: "الكرة العظيمة الجامعة للأفلاك والنجوم كلها في حدود كوننا المادي"⁵، ويشير اللبابيدي إلى السماء بالسقف المرفوع: "هو غطاء المنزل

¹ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، تحقيق: علي حسن موسى، نينوي - سورية، ط1، 2003، ص49. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.

² عراجي، إبراهيم فواز، القرآن وعلوم العصر الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1409هـ / 1988م، ص14. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القرآن وعلوم العصر الحديث.

³ الكرداني، أحمد عبد السلام، الإعجاز العلمي للقرآن، مطبوعات الشعب. (د.ت)، ص97. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي للقرآن.

⁴ عبد الجبار، القرآن يفك لغز الأرض، ص17. (م.س).

⁵ الحسيني، دليل الحيران في آيات من القرآن، ص96.

ونحوه، وهو أعلاه المقابل للأرض، وكذا السقف السماء، جمعها سقوف، وأسقف،
وسقف والسقف المرفوع: هو السماء.¹

والكون مليء بالمجرات فالمجرة الواحدة تتركب من آلاف الملايين من الأجسام
السماوية المتباينة منها: السدم، والنجوم، والكواكب، والمذنبات، والنيازك، والأترربة،
والغازات كلها تسبح وتربط بينها الجاذبية فكل هذه التجمعات الصغيرة من النجوم
وتوابعها تتحرك وتسبح متباعدة داخل المجرة الواحدة، فما بالك بالمجرات الأخرى
التي تتعدد وتتباعد في أعماق الفضاء بسرعة مخيفة قد تصل 38 ألف ميل في الثانية
كشفت عن بعضه المناظير المكبرة الفلكية، كمنظار جبل ولسون² فالمجرات تتباعدها
وتحوي عناقيد عملاقة، والعنقود الواحد يحوي آلاف المجرات، وعنقود الذؤابة
يحوي عشرة آلاف مجرة³ فمجرة المرأة المسلسلة تبعد مليوني سنة ضوئية، وقد
دلت الأرصاد على وجود (75) مليوناً من العوالم التي تشبه عالمنا، وعلى آلاف
الملايين من النجوم، وكلها في أفلاكها آخذة في التباعده.⁴

¹ اللبابيدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت 1318 هـ / 1900م)، معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة)،
تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة - القاهرة، ص34. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: معجم أسماء
الأشياء المسمى اللطائف في اللغة.

² الحسيني، دليل الحيران في آيات من القرآن، ص99-100.

³ هوكنز، جيرالد، بدائع السماء، ص305. وانظر: اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص83.

⁴ الحسيني، دليل الحيران، ص100، ص101.

فهذا التعدد للمجرات والأجرام والمسافات الشاسعة التي تفصل بينهما، والسرعات التي تنتقل بها لدليل على (توسع السماء)، وعليه فكل ما هو كائن وموجود ومحيط بنا من هذه الأجرام مما نراه وما لا نراه وفراغ بينهما قد يكون ضمن (سما) لا يعلم حدودها إلا الله سبحانه وتعالى¹، فهل نستطيع أن نعطي مفهوماً علمياً للسماء؟ فهي بذلك تعني كل شيء، ولا شيء، فلا تطلق على مكان واحد. لنرى ما يقوله الباحثين في هذا المفهوم.

يقول صلاح الخالدي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِينَا لَمُوسِعُونَ﴾.

أن المراد بالسماء هنا الكون خارج الأرض، (موسعون) اسم فاعل لفعل أوسع؛ أي جعل الشيء أوسع وأكثر رحابة، إن هذه الآية تتحدث بدون غموض عن "توسع الكون"²، وذكر حسن الشرفاوي أن الكون يتكون من فضاء كوني وأجرام، فالفضاء الكوني يمثل نحو 99% من اتساع الكون، في حين تمثل الأجرام الكونية مجتمعة 1% فقط منه، كما أن الفضاء الكوني يمثل الوسط الذي تسبح فيه كل تلك المخلوقات.³ ويقول محمود القاسم: الفضاء اللانهائي المحيط بالكون هو فوق الكون، وهو (سما) (بمعنى العلو) بالنسبة للكون فقط.⁴ يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

¹ مصطفى، محمد رشاد الدين، الميكروكمبيوتر وعلم الفلك، دار الراتب الجامعية، بيروت - لبنان، دون تاريخ - دون طبعة، ص 22. وانظر: ذهبية، الجغرافيا الفلكية، ص 186.

² الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الأردن - عمان، ط1، 1410هـ / 1989م، ص 289-290. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: البيان في إعجاز القرآن.

³ الشرفاوي، حسن عبد الله، موسوعة ما نعرفه عن الكون، مكتبة جزيرة الورد، ص 27. (د.ت)، (د.ط). وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: موسوعة ما نعرفه عن الكون.

⁴ القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص 97. (م.س).

سَمِعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ¹ والفضاء الكوني ليس (فراغاً) مطلقاً بل هو

يحتوي على سحب كثيفة من التراب والدخان والغاز والجسيمات الصلبة.²

وفي دراسة لسيد وقار حسيني اعتماداً على ما توصل إليه العلم أن الفضاء يبدأ على بعد 1000 ميل فوق الأرض حيث الهواء وأقسام الفضاء هي فضاء ما بين الأرض والقمر، وفضاء بين الكواكب، وفضاء بين النجوم، وفضاء مجري بين المجرات، وقد حفظ الله كل جرم سماوي بخلق مدار لكل واحد منها، وتزويدها بقوى الجاذبية.³ أما إبراهيم فواز يتبنى تعريف السماء بقوله "السماء علمياً هي ذلك الفضاء السحيق المترامي الأطراف الممتد إلى ما لا نهاية وهي الكون بأسره والوجود بكليته".⁴ ويقول نوفل في مفهوم السماء: "وهي كل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية وبذلك فإنها كل ما يحيط بالكرة الأرضية".⁵ وفي الموسوعة الفلكية: "هو كل ما يحيط بنا من أجرام ومجرات ونجوم وسدم وكواكب وفراغ بينهما".⁶

والسماء حسب فهم محمد عبد الصمد تشمل كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها، ابتداء من الغلاف الجوي الذي يرتفع (300) كم فوق سطح الأرض وكأنه

¹ سورة الطلاق، الآية [12].

² الشرقاوي، الكون، ص 27. (م.س).

³ حسيني، سيد وقار أحمد، العلوم الفلكية في القرآن الكريم، قدم لها مصطفى طلاس محمود عكام، ترجمة: سمية زيتوني، مراجعة عبد الباسط إبراهيم، دار طلاس، دمشق، 1996م، (د.ط)، ص 90-91. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: العلوم الفلكية في القرآن الكريم.

⁴ عراجي، القرآن وعلوم العصر الحديثة، ص 14. (م.س).

⁵ نوفل، السماء وأهل السماء، ص 26. (م.س).

⁶ منصور، زينب، الموسوعة الفلكية، الأهلية، الأردن - عمان، ط1، 2001، ص 7. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الموسوعة الفلكية.

بحر من الهواء حولها، ثم الفراغ الكوني الذي تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية في أعماقه السحيقة وهي تتجاذب فيها، وتحرك في تماسك واتزان في طبقة بعد طبقة.¹

مما سبق تبين إجمال للمعنى عند الفندي فقد قال: "هذا ويلاحظ بالنسبة إلينا وإلى الأرض المسكونة لنا أن كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا هو سماء بالنسبة لنا، فمن منا يستطيع في ظل تعريف السماء لغة ألا يقول إن الهواء سماء وإن الشهب سماء؟!² وأما إذا كان النظر إلى كرات ونجوم آخر، فكل منها أرض بالنسبة إلى ما فوقها، وسماء بالنسبة إلى ما تحتها.³ ولعل كلمة فوق وتحت كما عبّر عنها الفندي التي نستخدمها، تحمل معنى النسبية أي بالنسبة لنا، فما يعلو رؤوسنا هو (فوق) وما تحت أقدامنا هو (تحت) وإذا ما هبطنا على القمر وثبتنا أقدامنا عليه صار هو الأرض بالنسبة لنا؛ لأنه من تحتنا كما صارت الأرض من السماوات لأنها فوق رؤوسنا"⁴.

ومن خلال العرض السابق في مفهوم السماء، تبين أنها جاءت بمعنى الفضاء البين كوكبي، والبين مجري، وبأنه الساحة وما اتسع من الأرض، والقول إن الشمس والقمر والنجوم والمذنبات وغيرها إنما هي سماوات فوق سماوات تتألف منها عوالم الكون. كما جاءت بمعنى كل ما علاك فأظلك، وجاءت بمعنى الفضاء السحيق الممتد إلى ما لا نهاية المحيط بالكون، وهو سماء بالنسبة له، وهي الكون بأسره والوجود بكليته "وهي: كل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية، وبذلك،

¹ عبد الصمد، محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1990م، ص85. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي في الإسلام.

² الفندي، الله والكون، ص301. (م.س).

³ المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ص268. (م.س).

⁴ الفندي، الله والكون، ص213. (م.س).

فإنها كل ما يحيط بالكرة الأرضية". وجاءت كذلك بمعنى : "كل ما يحيط بنا من أجرام ومجرات ونجوم وسدم وكواكب وفراغ بينهما.

ومما سبق تبين للباحثة حسب مفهومها؛ أن السماء تطلق على أمور هائلة في الكون، فلا تعني شيء واحد، أو مكان واحد في (العلم) فالشمس ومجموعتها (سماء)، والمجرة (سماء)، وكلها جزئيات قد تتجمع في شيء ما، وجميعها يكون محتوى السماء، وكل ما يعلو الجرم ويحيطه من مستوى أثناء سباحته فهو سماء بالنسبة لما تحته، وبالتالي فلا تحديد لمفهومها العلمي حسب فهم الطالبة.

نتائج الفصل الأول

توصلت الباحثة إلى:

- من الملاحظ من خلال التعريفات اللغوية للسماء أنها جاءت بمعنى السحاب، والمطر، والسمو، وما علاك فأظلك. كما أنها تدل على سقف البيت، وتأتي بصيغة المذكر والمؤنث، وذلك تبعاً للسياق الذي وردت فيه. كما وردت كلمة السماء في القرآن الكريم بنفس هذه المعاني اللغوية.
- وفيما يخص مفهوم السماء في العلم تبين أن السماء بمعنى الفضاء، وبأنه الساحة وما اتسع من الأرض، والقول أن الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سماوات فوق سماوات تتألف منها عوالم الكون.
- ومع ذلك تبقى بعض وجوه الحقيقة خفية، لا يعلمها إلا الله، بعدد السموات وما هو المقصود بالسموات، وليس لنا إلا أن نأخذ المعنى المجازي واللغوي والعلمي لها، ولكن العلماء حاولوا الاجتهاد في فهمها بناءً على المحسوس، وكما نعلم أن هناك أموراً لا يستطيع العقل البشري أن يتصورها، وهذا جلي، في محدودية العقل البشري على الإحاطة بالأبعاد والأحجام والأزمان المتعلقة بعدد النجوم والكواكب، والشهب ودرجة حراراتها، إنه خالق عظيم، لا يعلم سر هذا الوجود إلا الذي أبدعه.

الفصل الثاني: البناء السماوي في القرآن الكريم والعلم

المبحث الأول: السماء بناء

المطلب الأول: مادة البناء السماوي في القرآن الكريم

المطلب الثاني: أصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم

المطلب الثالث: بناء السماء في القرآن الكريم

المطلب الرابع: البناء السماوي في العلم

المبحث الثاني: البناء السماوي واسع ومتوسع

المطلب الأول: البناء السماوي الواسع في القرآن الكريم

المطلب الثاني: البناء السماوي الواسع في العلم

المبحث الثالث: السماء سقف محفوظ

المطلب الأول: السقف في اللغة

المطلب الثاني: السقف المحفوظ في القرآن الكريم

المبحث الرابع: السماء سقف مرفوع بغير عمد

المطلب الأول: مفهوم العمدة في اللغة

المطلب الثاني: السقف المرفوع بغير عمد في القرآن الكريم والعلم

المبحث الخامس: مفهوم السماوات السبع

المطلب الأول: السماوات السبع في القرآن الكريم

المطلب الثاني: مفهوم السماوات السبع في العلم

مقدمة

إن المتأمل في الكون والمبحر فيه بخياله، تبدأ الأسئلة تتزاحم في عقله، عن الكيفية التي يتجلى بها نظام هذا الكون العظيم، والمتأمل في آيات القرآن الكريم، يجد أن هناك آيات ذكرت أن السماء حينما خلقت وانفتحت من الرثق الذي كان يصلها بالأرض كانت دخاناً، حيث يقول الله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ¹، وتقوم السماء على تنظيم كوني مذهل تجلت فيه قدرة الخالق، إنها هي معجزات الكون بالغة الإتقان.

يشمل هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: وعنوانه السماء بناء، وفيه أربعة مطالب:

مادة البناء السماوي في القرآن الكريم، وأصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم، وبناء السماء في القرآن الكريم، والبناء السماوي في العلم. وقمت بعرض أقوال المفسرين لمادة البناء السماوي وبناء السماء في القرآن الكريم ومن ثم عرض آراء العلماء في مفهوم البناء السماوي في العلم.

وأما المبحث الثاني: وعنوانه: البناء السماوي واسع ومتوسع

وفيه مطلبين: البناء السماوي الواسع في القرآن الكريم والبناء السماوي الواسع في العلم، وفيه قمت بعرض أقوال المفسرين لمفهوم السعة الكونية (السماوية، ومن ثم السعة الكونية في نظر أهل العلم.

¹ سورة فصلت، الآية [11].

أما المبحث الثالث وعنوانه: السماء سقف محفوظ

وفيه مطلبين: مفهوم السقف في اللغة والقرآن والعلم

وأما المبحث الرابع وعنوانه: السماء سقف مرفوع بغير عمد

وتناولت فيه مفهوم العمدة في اللغة العربية ومفهومه عند المفسرين، ومن ثم مفهومه عند العلماء.

أما المبحث الخامس وعنوانه: مفهوم السماوات السبع

وفيه مطلبين: السماوات السبع في القرآن الكريم وفيه بيان لمفهوم السماوات السبع عند المفسرين وهو المطلب الأول.

وأما المطلب الثاني: السماوات السبع في العلم، وفيه بيان لمفهوم سبع سماوات عند أهل العلم اعتماداً على ما يرى عبر مسابره الكونية.

وفي نهاية الفصل عرض لنتائج الفصل الثاني

المبحث الأول: السماء بناء

قبل الحديث عن بناء لبنات السماء والتي تشكلت (من الدخان) لابد من التعرف على أصل هذا (الدخان) وكيف تشكل وذلك من خلال فهم المفسرين للآية الكريمة التالية: قال الله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾¹ لذا قمت بتقسيم هذا المبحث إلى أربعة مطالب هي:

- المطلب الأول: مادة البناء السماوي في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: أصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: بناء السماء في القرآن الكريم.
- المطلب الرابع: البناء السماوي في العلم.

المطلب الأول: مادة البناء السماوي في القرآن الكريم

يخطر في البال سؤال وهو: ما هي المادة التي كونت الأجرام السماوية التي بنيت منها السماء.

سؤال قد حير علماء الفلك والمتخصصين في الفيزياء الكونية، فراحوا ينسجون تصورات نظرية حول هذه المادة وطبيعتها إلى أن اتفقوا على أن أصل المادة عبارة عن سدم، لكننا نجد القرآن الكريم قد أجاب على هذا السؤال بكل وضوح، وأشار إلى أن المادة الكونية الأولى

للكون إنما هي من "الدخان" كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾¹.

¹ سورة هود، الآية [7].

فالمادة التي تشكلت منها السماوات إنما هي من "الدخان" ويظهر ذلك من خلال سرد أقوال

المفسرين في تفسير الآية الكريمة ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾¹.

قال السمرقندي: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ "أي صعد أمره إلى السماء وهو قول الله تعالى:

"كن" ويقال: عمد إلى خلق السماء (وهي دُخان) يعني بخار الماء كهيئة الدخان، وذلك أنه لما

خلق العرش، لم يكن تحت العرش شيء سوى الماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهر منه البخار، فارتفع بخاره كهيئة الدخان، فارتفع البخار،

وألقى الريح الزبد على الماء، فزيد الماء، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان

وهو البخار".²

وفي "مفردات ألفاظ القرآن" نجد أن الدخان هو: (المستصحب للهيبة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي مثل الدخان، إشارة إلى أنه لا تماسك لها، ودخنت النار

تدخن كثر دخانها، والدخنة منه، لكن تعورف فيما يتبخر به من الطيب)³.

وذكر البيضاوي في تفسيره صفة الدخان فقال: "أن الله قصد نحو السماء وهي أمر

ظلمائي ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التي كانت فيها"⁴.

ورد في تفسير ابن كثير: أن الله ارتفع إلى السماء وهي دخان الذي تكون من بخار الماء،

حين تنفس الماء بعد خلقه بأن صعد من الأرض بعد تشكلها، فجعل منه سماء واحدة، ثم فتقها

فجعلها سبع سماوات"⁵.

¹ سورة فصلت، الآية [11].

² السمرقندي، تفسير السمرقندي، (المسمى بحر العلوم)، ج3، ص178.

³ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص310.

⁴ البيضاوي، أبي عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي، ج5، ص108.

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص93.

وهناك تفصيل آخر ذكره طنطاوي جوهرى فقال: "(وهي دخان) أي مادة غازية نارية أشبه (بالدخان) أو (السحاب) أو (السديم)¹، وتسمى اليوم في العلم الحديث (عالم السديم) وقد شاهدوا من تلك العوالم اليوم ستين ألف عالم تبرز إلى الوجود من جديد لا تزال على الحالة السديمية كما نقلت كتب الفرنجة، ورأوا من العوامل ما هو في أول تكوينه، ومنها ما قطع مراحل في تكوينه، ومنها ما قارب التمام، وهي عوالم كعالمنا الشمسي... ويضيف: بأن هذه العوالم ستبرز للوجود كما برزت أرضنا، وكونت شمسنا في نوبتين، وذلك بسبب سرعة دوران هذه السحابة حول نفسها، مما أدى إلى انفصال أجزائها عن بعضها البعض، وتكون قد انحلت"².

يظهر للباحثة أن هذه التفصيلات في التفسير هي من نتيجة تراكم علوم الكون في هذا العصر.

ويؤكد سيد قطب: في تفسير الآية ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ما قاله جوهرى من استدلال بالعلم، فقال: "كان هناك اعتقاد قبل خلق النجوم ما يسمى (بالسديم) وهذا السديم غاز ودخان.. والسدم من نيرة ومعتمة... ومعنى قوله: أن الله توجهت إرادته إلى خلق السماوات من (الدخان)³."

¹ السديم: كتلة من الغاز والغبار على شكل سحابة كونية كبيرة ذات شكل محدد وتنتشر في الكون كله، داخل المجرات وخارجها ومعظمها تحتوي على غاز الهيدروجين، انظر: مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص250.

² جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج19، ص90.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ط17، 1412 هـ / 1992م، ج5، ص3114.

ومن المثير أنه استرشد بما قاله أحمد زكي "إن نظرية الخلق تقول: "إن المجرة كانت من غاز وغبار ومن هذين تكونت بالتكثف النجوم وبقيت لها بقية ومن هذه البقية كانت السدم، ولا يزال من هذه البقية، منتشراً في هذه المجرة الواسعة مقدار من غاز وغبار"¹.

بعد هذا العرض لأقوال المفسرين؛ تبين أن المادة التي شكلت لبنات البناء السماوي هي من (الدخان) الذي صعد من الماء.

ويظهر من هذا العرض لأقوال المفسرين مدى تأثيرهم بالتراكم العلمي، مما يحمل المفسرين على التوسع في تفسير الآيات باستدلالاتهم بالعلوم لإثبات بلاغة ألفاظ القرآن الكريم وصلاحها لكل زمان.

فإنه سبحانه نشر الدخان المكثف بعد فتق الرتق وتكونت السحابة الدخانية والتي تشكلت منها جميع الأجرام السماوية، كما يظهر من أقوالهم أن السماء التي استوى إليها الله وهي دخان بعد فتق الرتق لا تعني منطقة بحد ذاتها، والله تعالى عمد إلى خلق السماء من بخار الماء كهيئة الدخان، وهو الشيء العالي الخفيف، وشكل السماء: شكل الدخان، فهذا تشبيه وليس واقع.

وفي ذلك تقريب الصورة للناس، أن السماء بعد فتق الرتق أخذت شكل الدخان، وهذا تقريب بين النص الشرعي وبين ما اكتشف العلماء، وهذا ما ذكره الغمراوي في كتابه فقال: "أن السماء كانت عندئذ دخاناً نص لا يقبل الشك في أن الكون كله ما عدا الأرض كان سديماً بالمعنى الفلكي لا اللغوي، لأن السديم في اللغة هو الضباب الرقيق، والضباب كما هو معروف بخار الماء تكثف على ما علق بالهواء من هباء ونحوه ... وقد أثبت علم الفلك الحديث وجود

¹ أحمد زكي، مع الله في السماء، ص191-192.

نوع من السديم أسود، فما تحقّق على أيدي علماء الفلك المحدثين ليس فيه ما يُخرجه من دائرة المعجزات، لأنهم بتحقيقه قد جاءوا بمثل ما جاء به القرآن..¹

(فرع): هل السماء الأولية تشكلت من (الدخان)

تشير الآية من سورة فصلت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾² أن المادة التي تشكلت منها السماء، هي (الدخان) لكن هل هي السماء الأولية التي استوى إليها رب العالمين؟! لو كانت السماء الأولية التي استوى إليها رب العالمين تشكلت من (دخان)، لقال الله تعالى: ثم استوى إلى (الدخان)! لكن من أين جاءت هذه السماء؟ وما الذي جعلها (دخان)؟ إن الآية من سورة فصلت تكلمت عن سماء موجودة وهي دخان، ولكن الآية لم تخبرنا من أين جاءت هذه السماء؟ ولم تخبرنا لماذا هي (دخان)، ومن أين أتى هذا الدخان؟ إننا إذا تدبرنا الآيات الكريمة نجد؛ أن الآية القرآنية التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾³ تنزيل الغموض عن الأسئلة التي طرحت سابقاً.

يقول البيضاوي في تفسيره: "أن السماوات والأرض كانتا مرتوقيتين، أي مضمومتين وملتحمتين فكانتا شيئاً واحداً وحقيقة واحدة، "ففتقهما" الله تعالى بالتنويع والتمييز، ثم انفثقت السماوات بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، ومنها الأرض التي تنوعت أقاليماً وأحوالها وطبقاتها، ثم فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات"⁴.

¹ بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل، ص198، وانظر: الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص308.

² سورة فصلت، الآية [11].

³ سورة الأنبياء، الآية [30].

⁴ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج2، ص69.

وظهر تطور آخر في تفسير الآية الكريمة بسبب تأثير التراكم العلمي في مناهج المفسرين، يقول طنطاوي جوهرى: "أن السماوات والأرض كانتا ملتحمتين ومتصلتين، ففصلهما الله وأزال اتحادهما، واسترشد بالعلوم كدليل، فقال: إن الشمس كانت أشبه بالنار فانفصلت الأرض عنها، وكذلك كل الأجرام بسبب سرعة جريان الشمس حول نفسها، وأن السماوات بما فيها من أفلاك انفصلت عن العالم الأرضي الذي أخذ شكله النهائي بعد الانفصال¹."

يظهر مدى تأثير طنطاوي بالعلوم الحديثة في منهجه في التفسير، فاستخدم العلم ليفصل عملية الرق والفتق.

وأما محمد أبو زهرة، فيضيف تفصيلاً آخر على تفسير الآية فيقول: "إن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً (كالدخان)، وهو يذكر هنا الماهية التي كان عليها الكون قبل التشكل، ثم ذكر صفة هذا الدخان بقوله: أنه لم يكن دخاناً كالذي نعرفه، والذي نتج عن استعمال النار من الحطب أو نحوه من حطام، واستدل بما قاله العلم في شأن هذا الدخان الذي يسمّى (السديم)²."

يظهر بوضوح تأثير أبو زهرة بالعلم في منهجه بالتفسير ويظهر للباحثة؛ أن هذه التفسيرات للآية تبين التمايز الذي حدث للأجرام السماوية بعد مرور الكون بطور (سديمي) فالسماوات كانت سديمية؛ حين انفصلت الأرض عن شمسها في اليوم الأول أو الطور الأول كما يقول الغمراوي³.

¹ جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج10، ص197، ص198.

² أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج6، ص2375-2376، بتصرف.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص305.

أما عن مجيء هذه السماء التي آلت نسبياً الى الدخان فقد جاءت من (الرتق)، وقد أخبرتنا بهذا سورة الأنبياء وهي قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾¹. بأن هذه السماء الدخانية هي السماوات التي كانت في حالة رتق مع الأرض فلم تأت من عدم² وإنما إذا تركنا المجاز، ولزمنا الحقيقة اللغوية طبقاً لقاعدتنا نتج حتماً من هذه الآية الكريمة؛ أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء، وهذه عجيبة كبرى من عجائب إعجاز القرآن العلمي يؤيد القرآن بها العلم الحديث في قوله بأن الكون كله كان شيئاً واحداً قبل أن توجد فيه أرض أو نجم أو سديم.

إنه الإعجاز في التعبير عن هذا السر الحق الهائل، ظهر في الآية الكريمة يقول الغمراوي: "تأمل كيف لم يسم ذلك الكون الرتق سماء إذ لم تكن أرض، وإذا كانت السماوات والأرضون شيئاً واحداً منبثاً لعله كان دون الدخان.."³ فمادة الخلق الأولى، هي (الرتق) الذي كانت السماوات والأرض مطوية فيه، ولا أحد يستطيع أن يتصور كيف تشكل هذا الرتق ومم تكون إلا الله سبحانه وتعالى فيقول: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِّعُونَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾⁴

أما (الدخان) فقد جاء من فتق هذا الرتق الذي كان يصل مادة السماء ومادة الأرض في جسم واحد.

¹ سورة الأنبياء، الآية [30].

² الشديقات، الله فتق الرتق وطوي السماء كطي السجل للكتب، ص496 بتصرف.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص266.

⁴ سورة الكهف، الآية [51].

"وهذا (الدخان) خليط من الغاز والغبار ودقائق مادية صغيرة معلقة به، ويُنتج الدخان كنتيجة لارتفاع حرارة المادة الى درجات حرارة عالية، تصهر مادته وتُبخرها الى غاز وتتطاير خلالها دقائق المادة الصلبة التي لم تتبخر"¹.

وعموماً فالدخان نتج من عملية الانفتاق العظيم الذي فصل الالتحام الموجود بين الأرض والسموات وخلف كمية هائلة من الاشعاع والحرارة وهذا ما أثبتته العلم الحديث.

فالدخان أصله من السماء وقد ملأها بشكل نسبي وإلا لقال الله تعالى: ثم استوى إلى الدخان! فالسماء التي استوى إليها رب العالمين كانت سماء قبل المرحلة الدخانية والسماء حين فتق الرتق لم تتحول الى دخان كامل كما هو الحال إذا ضربنا مثلاً من الواقع. وهو: (دخلت الغابة وهي حريق فوجود الغابة سبق وجود الحريق الذي ولد دخاناً كما أننا لا نجزم؛ بأن كل ذرة في الغابة قد احترقت.²

وعليه فالقرآن الكريم يُسمي السماء التي استوى إليها الرحمن والتي كانت موجودة (وهي دخان)، والسماء التي وجدت بعد فتق الرتق، والسماء التي كانت موجودة ومطوية في الرتق قبل الفتق (سماء) أو (سماوات) قبل فتق الرتق وخلالها وبعده وهي دخان، وكذلك يُسميها سماوات عندما كان يقضيها الى سبع سماوات فهو تعامل معها خلال كل هذه المراحل (كسماء موجودة)، وخاطبها (سماء) ولم يتعامل معها على أنها (عدم)، ولم يخاطبها على أنها (دخان) ومن كل ذلك يستشف حقيقتين وهما:

1. سماء توصف بهذه الطريقة لم تكن اطلاقاً عدماً.

¹ الشديفات، الله فاتق الرتق، ص496 بتصرف.

² الشديفات، المرجع السابق، ص497 بتصرف.

2. أن السماء لم تتحول بأكملها إلى دخان بعد فتق الرتق، بل حافظت على هيكل السماوات

المطويات بعد الانفتاق العظيم.¹

مما سبق نتبين أن السماوات والأرض جاءت من الرتق الذي كانت مطوية فيه ولم تأت من العدم والسماء التي استوى إليها رب العالمين في سورة فصلت لم تكن هي سماؤنا الموجودة

حاليًا يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَبَدًا كُنَّا عِظَامًا وَرُقَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾²

وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾³ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁴.

نجد من الآيات أن الله تعالى إذا خلق مخلوقاً جديداً من مخلوق أو شيء سابق، فإنه يتعامل معه كمخلوق جديد بكل مواصفاته وهذا يقودنا إلى أن الخلق الآخر أو الخلق من بعد خلق أو الخلق الجديد لا يأتي من العدم، وهذا يقودنا الى استنتاج، وهو أنه إذا كانت السماوات والأرض موجودين ملتحمين كشيئين في الرتق، فهذا لا يعني بأن لحظة خلق الأرض والسماوات على شاكلتهما الحالية يجب أن تبدأ منذ لحظة خلق الرتق، فالخالق هو الذي يحدد وقت خلق الشيء حتى لو كان موجوداً سابقاً بشكل آخر فذلك المخلوق يعتبره الخالق مخلوق آخر، ولو كان المخلوق الآخر في أصله يعود للمخلوق الأول، فالأرض التي كانت في الرتق قبل الفتق هي مخلوق آخر خلقت منه أرض جديدة بعد فتق الرتق تشكلت منها أرضنا الحالية.

¹ الشذيفات، المرجع السابق نفسه، ص500-ص501 بتصرف.

² سورة الإسراء، الآية [49].

³ سورة الطور، الآية [35].

⁴ سورة المؤمنون، الآية [14].

وأرضنا الحالية ستبدل هي والسماء الحالية بأرض وسماء غيرها بعد طي السماء كطي السجل
للكتب.¹

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾² وقوله
تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾³.

المطلب الثاني: أصل مادة البناء السماوي في القرآن الكريم.

يتناول هذا المطلب أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾⁴
والأثر الذي أورده الطبري أثناء تفسيره للآية الكريمة وما روي عن ابن عباس أثناء تفسيره
لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾⁵ وإيراد الأدلة القرآنية على حياة
الكون.

ذكر ابن كثير: "أن الآية تشير الى أنه لم يكن من الخلق الا الماء، وعليه العرش وعلى
العرش الله تعالى"⁶ وكذا ورد في تفسير القرطبي فقال: "أن الله خلق العرش والماء قبل خلق
السموات والأرض..."⁷

¹ الشديفات، الله فاتق الرنق ص49 بتصرف.

² سورة إبراهيم، الآية [48].

³ سورة الأنبياء، الآية [104].

⁴ سورة هود، الآية [7].

⁵ سورة البقرة، الآية [29].

⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص437.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص8.

وبمثله ورد في تفسير البيضاوي "أن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم، وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك"¹ وهذا ما أجاب عنه ابن عباس عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟؟

قال: على متن الريح.²

وهناك أثر وارد في بدء الخلق استرشد به الطبري في تفسيره الآية الكريمة: "حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال: حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إن العرش كان قبل أن يخلق الله السماوات والأرض على الماء، فلما أراد أن يخلق السماوات والأرض، قبض من صفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة، فارتفعت دخاناً ثم قضاهن سبع سماوات في يومين..³

وأثر آخر ذكره القرطبي في تفسيره⁴ وهو ما روي عن ابن عباس أثناء تفسيره لقوله

تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾⁵.

¹ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص221.

² طبري، تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص39، وهو حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه، حاكم، أبي عبد محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ) المستدرک علی الصحیحین، دون طبعة، مجلد (2) بدون دار نشر، بدون بلد نشر (2002) كتاب التفسير، سورة هود، ص27.

³ الطبري، المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها، والأثر رجاله ثقات روى عنهم البخاري ومسلم، أنظر: الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ)، المدخل الى معرفة الصحيح من السقيم وتبيين ما أشكل من أسماء الرجال في الصحیحین، تحقيق: أ.د. إبراهيم بن علي بن محمد آل كليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ / 2002 م، ج1، ص521 - ص548.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م1، ج1، ص243.

⁵ سورة البقرة، الآية [29].

أنه قال: "إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق السماء فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين.."¹

يظهر من أقوال المفسرين في تفسيرهم للآية الكريمة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وما أورده من آثار إن أصل مادة السماء بل الوجود كله هو (الماء).

وأن المعطيات التفسيرية أدت إلى استنتاجات هامة منها:

أن الماء هو أصل مادة السماء ودليل ذلك هو ما روى أبو هريرة: **«أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَيْتَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ..»**²

ولفظه "كل شيء" تعنى كل موجود دون تخصيص ولعل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ﴾³

إذا اعتبرنا أن كل ما في الوجود له حياة، فالحياة ليست مقتصرة على الكائنات الحية الإنسان، والحيوان، والنبات فالآية الكريمة السابقة عممت معنى الحياة لكل الوجود، ولم

¹ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458)، الأسماء والصفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، باب بدء الخلق/ص397 قال الألباني إسناده جيد، وهم: عبد الله بن عباس وابن مسعود، وغيرهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر: الذهبي، الحافظ شمس الدين (748هـ) مختصر العلو للعلي الغفار، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، (المحدث)، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1412هـ/1991م، ص105.

² ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل ت: (164، 241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، حديث رقم (10399)، ص252 قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي ميمونة، فقد روى له أصحاب السنن الأربعة، وهو ثقة. انظر: التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الموسوعة الحديثية تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1418هـ/1997م، ج16/ص252.

³ سورة الأنبياء، الآية [30].

تخصسه، ومما يؤيد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ﴾¹

وهذا دليل على أن كل مخلوق له حياة بصفات لا نعلمها، بدليل تسبيحها لربها، والآية تؤكد تسبيح الخلق كله لله تعالى على الحقيقة لا المجاز بطريقة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

كما أن عدم اعتراف العلم بالغيبيات التي لا تخضع للتجربة من اعتباره شروط الحياة للكائن الحي: هي العمليات الحيوية كالتكاثر والتنفس والتغذية.² فهذا لا يعني نفي حياة كل شيء في هذا الوجود فالكون كله حي ولكن بكيفية لا نعلمها، فالحياة ليست مقتصرة على الإنسان، والحيوان، والنبات وذلك للدلائل التي ذكرناها عندما تحدثنا عن كون الماء أصل مادة السماء، مع إضافة دليل آخر هو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾³.

وإذا كان هذا الاستنتاج مقبولاً في شأن حياة الكون، فهذا يعني أن أصل مادة الكون هي الماء بدليل تواجد الماء بنسب مختلفة في كل كائن ومنها الصخور والحجارة التي يوجد نسبة من الماء في بناءها وقد رجّح الباحث حسين العمري مقولة: أن مادة الخلق هي الماء وليست مادة أخرى ذات كثافة كبيرة اعتماداً على النصوص النقلية فقط دون تقديم أي تفصيلات⁴.

ومما سبق نتبين، أن أصل مادة السماء بل الوجود كله هي الماء، أما كيف تكون الرتق الأول من الماء لا أحد يعلم ذلك.

¹ سورة الإسراء، الآية [44].

² عمرو، عبير، الكون والإنسان، ص110-ص111.

³ سورة فصلت، الآية [11].

⁴ عمري، حسين، خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية (بحث علمي رقم (19/14)) الكرك، ص5.

فمادة الخلق الأولى للسموات لا يستطيع أحد أن يتنبأ بها فالله سبحانه وتعالى لم يشهد أحداً من الأجداد أو الآباء كيف خلق الرتق الذي كانت فيه السماء مطوية.

ومادة الخلق الأولى للسموات والأرض؛ هي الرتق الذي أخبر عنه القرآن الكريم في قوله

تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾¹.

فيجب الإنتباه إلى قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾²

إلى أن السماء التي استوى إليها الرحمن هل تحولت بالكامل إلى دخان أم تحولت (جزئياً)

أم ملاًها الدخان؟؟

مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الدخان نتج من فتق الرتق الذي كانت فيه السماء ملتحمة مع الأرض حسب منطوق الآية الكريمة، وأن هذه السماء جاءت من الرتق كما أشارت الآية الكريمة السابقة من سورة الأنبياء.

كما أن الدليل على مادة الرتق ليست معروفة وقد حجب الله تعالى عن الناس معرفتها وهي من الغيب الذي نؤمن به كما أخبرنا الله تعالى.

وأن الله تعالى لا يزال يسمي السماء سماء قبل فتق الرتق فالسماء التي كانت موجودة ومطوية في الرتق قبل الفتق وخلالها وبعده وأيضاً وهي دخان، وكذلك يسميها سموات عندما يقضيها إلى سبع سموات، وقد تعامل معها القرآن الكريم في كل هذه المراحل كسماء موجودة وليست عدماً، ولم يخاطبها على أنها دخان وعليه، نستنتج حقيقة مهمة أن السماء لم تتحول

¹ سورة الأنبياء، الآية [30].

² سورة فصلت، الآية [11].

بأكملها إلى دخان بعد فتح الرتق بل حافظت على هيكل السماوات المطويات بعد الانفتاح العظيم، فلا نستطيع أن نجزم بأن مادة الخلق كلها هي من دخان¹.

فالكون (الرتق) بسماواته وأراضيه كان شيئاً واحداً قبل أن يتميز بفتقه، ولعل ذلك كان دون الدخان، وهذا ما أشار إليه الغمراوي في كتابه فقال: "وليس من النظريات المشكوك فيها أن الكون مر بطور سديمي قيل أن تتشكل عوالمه، ومجراته، ونجومه، وكوكباته، إنما الخلاف هو كيف نشأت تلك الحالة السديمية من ناحية، ثم كيف تشكلت إلى ما تشكلت إليه من ناحية أخرى...².

والكون بعد فتح الرتق كان كياناً سديماً غير متميز بعضه عن بعض، ثم أخذ في التميز والتطور لا يعرف العلماء كيف وإنما نسبوه إلى فعل الجاذبية العامة حتى صار إلى ما هو عليه بما يشاهدون ويدرسون ... ولا تزال كتل هائلة مما سماه الله دخاناً يشاهدها الفلكيون بمراقبهم القوية اليوم في السماء وإن تكتل داخل أكثرها نجوماً، ويسمونها سدماً، ما تكتل منها وما لم يتكتل³.

والدخان الذي وصفه القرآن الكريم ويعرفه العرب اليوم، يتكون من غازات مختلطة مع دقائق صلبة من المادة، ما هي إلا مواد مركبة من أكثر من عنصر، وهذا تكون بعد الانفتاح العظيم من ذرات قد اتحد بعضها ببعض ليكون غازات بينما تتحد الذرات الأخرى لتكون جزيئات المركبات المادية الصلبة صغيرة الحجم، والتي باختلاطها مع الغازات الأخرى تصبح مادة جديدة اسمها الدخان⁴.

¹ الشديقات، الله فاتق الرتق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، ص500، ص211، بتصرف.

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص307.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص303، ص263، بتصرف.

⁴ الشديقات، مرجع سابق، ص512 بتصرف.

لكن هل كان كل ما هو مخلوق كانت بدايته من نفس الذرات الكونية التي تفجرت؟!

إن هذا يتطلب المعرفة العلمية بالنجوم نشوءها، وحياتها، وهرمها، وكذلك (أطروحة الكون

الأعظم) إن صحت.

ومعرفة هل المادة الكونية تقنى وتستحدث؟!

ما زالت نظرة العلماء للكون كمن يفتش عن إبرة فوق سطح الأرض للوصول إلى أصله

وفصله وقد ترامي أمامهم بأبعاده المذهلة، ويحاولون تحديد عمره وأعمار أجرامه من خلال

العناصر الكيماوية، وأعمار النجوم القديمة، والنجوم القزمية البيضاء، ومخلفات النجوم

العلاقة الحمراء، التي بعد مواتها تلفظ قشرتها الخارجية بالفضاء ليبقى قلبها ليصبح نجماً

قزماً أبيضاً...

فالعلماء ضعاف الرؤية في كوننا تائهين في عدة بلايين من السنين الضوئية، لأنهم ما زالوا

يتعاملون في رؤيتهم مع الماضي القريب حسب أقصى مدى لرؤيتهم التلسكوبية وعندما ينظر

العلماء للفضاء فإنهم لا يرون إلا الماضي أما الحاضر بمفهومه لديهم فلا وجود له، لأنه زمن

مكاني، وكلمة الآن لا وجود لها إلا في عقولنا، ولا معنى لها في العالم الخارجي فكل ما يرى

ويراه العلماء من حولهم سواء كان منذ برهة أو ثوان أو دقائق أو سنين فإنما هو في الماضي،

فالماضي، والحاضر، والمستقبل أزمان تظل متجمدة داخل نطاق الأبعاد الأربعة في كوننا، أو

أي كون آخر موجود، وهذا يعتمد على بعد الشيء منا لهذا تقدير الزمن بالكون مرتبط

بالمسافة ورحلة الضوء من نقطة البداية حتى يقع على عينينا لنرى الصورة، لهذا ما نراه في

الكون هي صورة الشيء التي قطعت مسافات شاسعة حتى بلغتنا منذ زمن الرحلة، لهذا ما

نراه بالكون هو الماضي، لأن حاضره لم يصل إلينا بعد ولو وصل سيكون ماضياً، ورائد

الفضاء كلما توغل بمركبته الفضائية في السماء سار في ماضي الكون وفي مستقبلنا على

الأرض، لأن الصور التي يراها هناك عن كذب سوف تأتي إلينا لاحقاً، فكل ما نراه في الكون هو نسبي ولا نرى فيه سوى الضوء والكهرومغناطيسية لمكونات الزمكان¹

الدخان يساعد على تشكل الأجرام السماوية فذكره مع السماء في الآية الكريمة دليل على ذلك.

وعلماء اليوم يشاهدون السدم الهائلة التي لا تزال منتشرة على أبعاد فلكية مذهلة وقد أكدوا وجود الحرارة المتوافرة في السديم بالمعنى الفلكي لا اللغوي ووجود نوع من السديم أسود² وهذا (الدخان) وما يسمى (بالسديم) في عصرنا يساعد النجوم على التشكل فهي تتكثف داخل هذه السدم فتعد حجر الأساس لبناء الأجرام السماوية كما يقول كحيل.³

والدخان الناتج عن فتق الرتق أدى إلى تحويل الطاقة في الروابط اللاحمة الراتقة لمكونات النواة على شكل كميات هائلة من الإشعاع والطاقة والحرارة، وظهر ذلك على شكل الخلفية الإشعاعية الكونية⁴، ومن الطبيعي أن تؤدي مثل هذه الطاقة والحرارة الهائلة إلى تحويل المادة المحيطة بالسماء إلى (دخان) وهذا الدخان يتكون من اليوم الأول من الانفثاق العظيم من ذرات بلا شك بأن بعضها متحد ليكون غازات، بينما تتحد الذرات الأخرى لتكون جزيئات

¹ دهبية، مصطفى، الجغرافيا الفلكية، ص 189 ص 192.

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص303.

³ كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص58.

⁴ إشعاع الخلفية الكونية cosmic background radiation: هو إشعاع كهرومغناطيسي يأتي من الفضاء ويُلقط على شكل موجات راديوية وتحت الحمراء وإشعاع الخلفية الكونية يشبه الإشعاع الصادر من جسم درجة حرارته 2,7 فوق الصفر المطلق، وعلى هذا فليس الكون بارداً تماماً، وإنما درجة حرارته هي 2,7 كلفن، وهذا الإشعاع كما يعتقد العلماء، هو نتيجة حرارة قديمة خلفها الانفجار (Big Bang) وفي سنة 1922م استطاع القمر الصناعي (COBE) (كوبي) المكلف باستقصاء إشعاعات الكون الأولى، مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص55.

المركبات الماديّة الصلبة صغيرة الحجم، والتي باختلاطها مع الغازات الأخرى تصبح مادة جديدة اسمها الدخان¹.

والمادة تتجدد وتنفى وتتحوّل من شكل إلى آخر أي إلى مواد وطاقات أخرى فقال "آينشتاين"² في ذلك أن أجزاء الذرة قابلة لأن تتحوّل إلى طاقة، والطاقة إلى مادة، وهذه القابلية للتغير مرهونة بالظروف التي جعلتها في هيئة معينة، وزوال هذه الظروف المفروضة على المادة يؤدي إلى تحولها إلى هيئة أخرى، وهذا يعني أن التغيّر الذي يصيب المادة ليس ذاتياً، بل مفروضاً عليها من الغير³.

وهذا التحوّل للمادة لا يمنع وجود أصغر مكونات المادة الأولية التي عرفها الكون ولم يعرفها الإنسان بعد فالكمية الهائلة من الطاقة والحرارة التي خلّفها الانفتاق العظيم لا بد لها أن تعيد المادة التي وقعت تحت تأثيرها إلى أبسط مكوناتها الأولية من المادة وأضداد المادة وهو ما يسمى بحساء الدقائق المادية⁴.

وبما أن هناك تحولات للمادة من صلبة إلى غازية، وبما أن العلماء يقولون بانفجار السوبر نوبا⁵.

¹ الشديفات، الله فاتق الرنق، ص458، ص459، ص512 بتصرف.

² آينشتاين، هو عالم فيزيائي، ألماني (1879-1955) شارك بتجديد الفيزياء وكان وجودياً، وضع نظرية النسبية العامة والخاصة. انظر: ميموني، جمال، وقسوم، نضال، قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم، دار المعرفة، الجزائر، ط2، 2002، ص163، وانظر: شيخاني، أعلام الحضارة، مؤسسة عز الدين، بيروت - لبنان، 1401هـ - 1981م، ج1، ص237 - ص239، بتصرف.

³ إدريس، جعفر شيخ، الفيزياء ووجود الخالق، مكتبة الملك فهد الرياض، ط1، 2001، ص76-ص77، وانظر: الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص298، ص299.

⁴ الشديفات، الله فاتق الرنق، ص512.

⁵ السوبر نوبا: هو نجم منفجر وقد شاعت عدة اصطلاحات تدل على هذا النجم، منها: النجوم المتفجرة، والمتفجرة العظمى، والمستعرّة. انظر: مؤمن، عبد الأمير، الكون نظرة تراثية معاصرة، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ط1، 1427 هـ / 2006م، ص225، ص232.

وأصله سديماً تكاثف بالجابضية المودعة فيه وولد نجماً فتيتاً نشطاً كبيراً وهرم وانفجر، وانفجاره يؤدي إلى تحويل المادة المحيطة به لكن كيف نشأت مادة هذا النجم وكيف تكسدت ذراته وهل كل الأجرام والنجوم تكونت من ذات الذرات التي ظهرت بعد الانفتاق العظيم؟ وهل هناك تخليق مستمر للمادة يؤدي إلى تحريك المجرات وترك فراغات بينها ومن ثم تراحم وتراكم الفضاء، والذي هو جزء من المادة تتجدد فيه المادة وتتولد باستمرار؟! وهل الجاذبية أدت إلى جذب الجسيمات المادية وتجعلها تتماسك فيما بينها وبالتالي تتكون المجرات التي تتباعد فيما بينها؟¹

يقول جون فايفر: إن نظرية الانفجار لا تؤكد ما إذا كانت المادة في بدايتها قد تكونت دفعة واحدة أم تخلقت تدريجياً بمعدل لا يتغير، ومن المعقول أن المادة يمكن أن تتكون على نطاق كبير من الطاقة، وذلك بعملية عكسية للعملية التي تحدث في الأسلحة والأفران النووية التي تولد الطاقة من تحطيم المادة... وإفنائها، ولكننا إذا سألنا (من أين أتت الطاقة) نجد أنفسنا في ظل نفس السؤال.

ومن المدهش أن يقول هذا العالم ذلك فهو يقر بأن مراحل الخلق الأولى خارج نطاق التكهن فنجدّه يستطرد قائلاً: "أن أصل المادة الأولى ما زالت في الوقت الحاضر مشكلة خارج نطاق التكهن المثمر ويجب أن نأخذ المادة على ما هي عليه دون نقاش، ثم نتقدم من تلك البداية".²

يتضح أنه لم توضع إلى الآن نظرية تفسر وتوضح كل تفاصيل عملية تكون المجرات من المادة إلا أننا لدينا فكرة معقولة أن أصل هذه المادة هي (دخان) ولكن كيف نشأت منه الأجرام

¹ عظيموف، إسحاق، الحقيقة والخيال، ترجمة الدكتور محمد جمال الفندي والدكتور جابر عبد الحميد جابر، دار المعارف، مصر، 1965م، ص294-293.

² جون فايفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ص53-54.

فهذا محط خلاف، يقول الغمراوي: "ليس من النظريات المشكوك فيها أن الكون مر بطور سديمي قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه وكوكباته إنما الخلاف هو كيف نشأت تلك الحالة السديمية من ناحية ثم كيف تشكلت إلى ما تشكلت إليه من ناحية أخرى وهذا الطور دل عليه القرآن".¹

التعليق:

إن كل ما يقال عن مادة السماء، ونشوءها، كلها نظريات فالجدل العلمي عن مواد الكون ما زال أمراً محتتماً ما بين العلماء ولم يصل العلماء فيه بآراء قاطعة، لأنه يدور حول الزمن الكوني صفر من 15 بليون سنة²، ولأن كل ما يقال عن الانفجار الكبير أصل الكون ونشأته عبارة عن فرضيات تعتمد على الحدس والتخمين رغم التقدم المذهل في علوم الفلك، والفيزياء، والرياضيات، وما زال العلماء فيه يجتهدون.³

ولم يوجد كوناً آخر يستطيع أن يقارن العلماء به كوننا وقد خلق ولم يعرف أصله من فصله أو من أين جاء؟ وهل هو جزء من منظومة كون أعظم؟ وإن صحت هذه النظرية فهذا معناه أن مفهوم الزمن سيتغير، لأنه سيتناول زمن الوجود الكوني للكون الأم فالعلماء تائهين في فهم كوننا المنظور، وهم يتعاملون مع الماضي القريب حسب أقصى مدى لرؤيتهم التلسكوبية⁴

وكما نعلم أن معرفة أخبار النجوم لا تكون إلا بمجيء الضوء القادم منها، وحصول الدخان والظلام في المرحلة الأولى من الانفتاق العظيم جعل حاجزاً ممنوع الدخول أو الاقتراب من

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص307.

² رزق، هاني خليل، موجز تاريخ الكون، دار الفكر - دمشق، ط1، 1424 هـ/ 2003 م، ص44.

³ دهبية، الجغرافيا الفلكية، ص146 بتصرف.

⁴ دهبية، المرجع السابق نفسه، ص186.

تلك المنطقة ولا نعرف ماذا حدث بعد الانفثاق العظيم أي لم يستطيع العلماء معرفة كيفية ولادة النجوم الأولى .

ناهيك عن رحلة الضوء القادمة من النجوم فتستغرق للوصول إلينا إذا انطلقت من الكوازارات على أطراف الكون المدرك إلى أكثر من عشرة بلايين سنة ليصلنا وهذا يعني أنه إذا كان الضوء المنطلق من أحد النجوم يأخذ على سبيل المثال بليون سنة ضوئية ليصلنا فهذا يعني أن الضوء الذي يصل إلينا الآن لا ينقل لنا أخبار حدث حصل على ذلك النجم الآن، ولكنه ينقل لنا أخبار حدث قبل بليون سنة أي قبل أن يوجد الإنسان على سطح الأرض.¹ فهذا يعني أن الحاضر الذي نراه لتلك النجوم هو ماضيها السحيق والنجوم تتغير مواقعها، كما أنه لا يرسم لنا شكل ذلك النجم الآن ولكنه يرسم لنا شكل ذلك النجم قبل بليون سنة ليس هذا فحسب بل أنه لا يحدد لنا موقع ذلك النجم الآن بل أنه يحدد لنا موقعاً كان مرّ به النجم قبل بليون سنة فما نراه في الوقت الحاضر لتلك النجوم هو ماضيها السحيق وصورة الكون الآن ليست الصورة الحالية بل أنها صور قديمة تعود إلى أن النجوم تتغير مواقعها.²

أقول لم يستطيع ولن يستطيع أحد أن يتبين تفسير ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وذلك لأن السماء لا تعني منطقة بحد ذاته فهذا كناية على أنها شيء عالي شكلها شكل الدخان فهذا تشبيه وليس واقع والدليل ما سردته من أدله كرحلة الضوء عند وصوله إلينا فهذا يدل على أثر وجود النجوم منذ زمن بعيد، وليس وجودها في الوقت الحالي، وهناك حركات تغير للنجوم والخلق يكون بناء على زمن وخلق معين وليس بناء على حقيقة معينة، وبناء على ذلك فليس لعلم الفلك أن يؤكد شيء أو تفسير دخانية السماء أو وجود شيء صلب.

¹ الشديفات، الله فائق الرنق، ص442.

² الشديفات، المرجع السابق، ص442.

كما أن كل ما يفسر نشأة المنظومة الشمسية من سديم، وأن نشأة النجوم في السماء مماثلة لهذه النشأة يعد نظريات قابلة للنقد "لأن الغازات المنطلقة لا تكون أشد حرارة من الأجرام المجتمعة، إذ هي كلما انطلقت تسربت منها الحرارة في فضاء أوسع من حيز الكرة المجمعّة، وليست حركة الغازات بعد تجمعها موافقة للحركة التي تصورها أصحاب هذه النظرية، فضلاً عما ظهر عن حقيقة السحب التي كانت تسمى سديماً، ثم تحقق أنها جماعات من النجوم تعد بمئات الملايين، ولا يستطيع البتّ بقولٍ جازم في النظرية السديمية قبل البتّ بقول جازم في أصل الأشعة الكونية وفي النجوم التي تتفجر لابتّرادها وتكاثفها وتعاضم الضغط على داخلها واندفاع باطنها إلى خارجها، ربما كانت السدم من مادة النجوم المتفجرة، أو كانت من تجمع الأشعة الكونية، أو كان الفضاء هو مصدر هذه الحركات في أصولها عند الذين يرون أن الفضاء والأثير شيء واحد، وأياً كان مقطع القول في هذه الفروض فلا ينبغي أن نعدو بها فروضاً يتعاورها الثبوت والنقض على حسب الكشوف والمشاهدات التي تتييس أدواتها مع الزمن، ولا تزال اليوم من أوائلها".¹

كما تستنتج الباحثة أن ما وجد في العلم لا يتعدى حدود ما وجد في القرآن الكريم في حالة العموميات، واللفظة القرآنية الكريمة (وهي دخان) عبارة عن توسعه يمكن أن نجدها بالعلم، فالنظريات هي أجزاء من الحقيقة وليست الحقيقة كلها، إلا أن كل ما أشار إليه القرآن الكريم فهو حقائق قرآنية مثبتة فنثبت ما أثبتته القرآن الكريم من حقائق في حالة عدم إثبات العلم لها ولو أدرك جزءاً منها.²

¹ أبو نيباب، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم ص110.

² التفتتازي، الإعجاز القرآني، ص177.

المطلب الثالث: بناء السماء في القرآن الكريم

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْنَاهَا﴾¹

هناك عدد من آيات القرآن الكريم التي يبدأها الله عز وجل بالقسم، وذلك تحدياً للبشر وبياناً لقدرته وعظمته، وإحكام صنعه وخلقه وسوف أركز على قَسَمٍ واحد من هذه الآيات وهو القَسَمُ بالسماء، وبخالقها العظيم، لأن القسم بالسماء وبخالقها العظيم يشير إلى بنائها المذهل في اتساعه، وتعدد أجرامه، وإحكام تماسكه وترايط مختلف أجزائه، وسوف أستعرض في هذا المبحث ما قاله علماء التفسير في بناء السماء لنرى مدى تأثير التراكم العلمي على مناهج المفسرين في تناول هذه الآيات.

يقول ابن كثير في تفسير سورة الشمس ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْنَاهَا﴾: "ويحتمل أن تكون (ما) هاهنا مصدرية بمعنى: والسماء وبنائها، ويحتمل أن تكون بمعنى (مَنْ) يعني: والسماء وبنائها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم، والبناء هو الرفع² لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾³.

يقول محمد عبده: "السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ السماء هذا الكون الذي فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجري في مجاريها وتتحرك في مداراتها، هذا هو السماء، وقد بناه الله، أي رفعه، وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف، أو قبة، أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب

¹ سورة الشمس، الآية [5].

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص515. (م.س).

³ سورة الذاريات، الآية [47].

بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به".¹

ويقول طنطاوي جوهرى: في تفسير ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي ومن بناها؛ إنه لا يضاويه بناء، فيما يعلم الناس، فأى بناء يستطيع أن يبني فيه زرقاء مرصعة بالمصابيح، وتلك المصابيح تجري لا تتصادم، إلا في أوقات نادرة، وإذا تصادمت أصلحت، وهي في نفس السقف، وعادت جديدة، وكيف يتسنى له جمع أجسام عظيمة في بنائه، ما بين ناربية، وأخرى صلبة، وأخرى لطيفة لطفاً أرق من الهواء ومن الضياء، وهو الأثير... وكيف يراها الإنسان سقفاً هادئاً لا حركة فيه. فالشمس ساكنة والقمر والنجوم لا حركة فيها، ويرى هذه العوالم كأنها تتغنى والكون كله سكون، والحقيقة كلها في حركات، إن العجب ليأخذنا كل مأخذ ويدهشنا أن نكون في عالم بديع الإتقان عجيب البنيان".²

وهذا ما أشار إليه المراغي في معرض تفسيره للآية الكريمة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ

كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَبَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾³

"إن هناك عالماً لطيفاً أرق من الهواء، وألطف من كل ما نراه، وهو مبدأ كل شيء، وأول كل شيء، وهو العالم المسمى بالأثير"⁴، وهذا العالم وإن لم يره الناس فقد عرفوه من وصول أضواء الكواكب إلينا فإن من الكواكب ما لا يصل ضوءه إلينا إلا فيما يزيد على ألف ألف

¹ محمد عبده، تفسير جزء عم، ص95. (م.س). وانظر: عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج5، ص434. (م.س).

² جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن، ج25، ص174. (م.س).

³ سورة ق، الآية [6].

⁴ الأثير: وسط افتراضي غير مادي أفترض ذات مرة أنه يملأ كل الفضاء، والفكرة التي تقول إن هناك حاجة لوسط من هذا النوع لانتشار الإشعاع الكهرومغناطيسي لم تعد بعد صالحة للاحتفاظ بها. انظر: هوكنج، ستيفن، الكون في قشرة جوز، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي - عالم المعرفة، مطابع السياسة- الكويت، 1423هـ / 2003م، ص184. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكون في قشرة جوز.

سنة... فانظر كيف يكون بعد تلك الكواكب التي تحتاج بسير النور إلى مليون سنة ونصف مليون..."

واستطرد قائلاً: "ألا يدل هذا على أن ذلك الضوء محمول على شيء موجود وهو الأثير فلو أن طبقة من الطبقات لم يكن فيها الأثير لانقطع سير النور إلى الأرض ولم نره، وهذا ما يشير إليه الكتاب العزيز "ومالها من فروج" فلو كان هناك فروج تتخلل السماوات لانقطع سير النور إلينا".¹

يظهر من قول المفسرين أن هناك (مادة) تعمل على شد الكواكب بعضها ببعض وهذا يدل على مدى استرشادهم بالعلوم في تفسير الآيات الكونية.

وبالإضافة لقوى الجاذبية التي تربط نجوم السماء الدنيا ببعضها البعض ربطاً محكماً فإن هناك أعداد من القوى التي تمسك بالمادة في داخل الأرض، وفي داخل كل جرم سماوي ونعرف من هذه القوى القوة النووية الشديدة²، والضعيفة³، والقوة الكهربائية المغناطيسية، والكهرومغناطيسية⁴ وهي تمسك بالمادة والطاقة في الجزء المدرك من السماء، وهي تهيمن بقوى جذبها على كل ما يدور في فلکها، والنجوم ترتبط فيما بينها بالجاذبية، وإذا انفردت عقد

¹ المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ / 1998م، ج9، ص266. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير المراغي.

² القوة النووية الشديدة: أقوى قوة من القوى الأربعة الأساسية في الكون وأقصرها كلها في مدارها، وهي تمسك الكواركات معاً في داخل البروتونات والنيوترونات، كما تمسك البروتونات والنيوترونات معاً لتكون الذرات. انظر: هوكنج، ستيفن، الثقوب السوداء، 256. (م.س).

³ القوة النووية الضعيفة: ثاني أضعف قوى من القوى الأربعة الأساسية ومدارها قصير جداً، وهي مسؤولة عن التحلل الإشعاعي. انظر: هوكنج، الثقوب السوداء، ص257. (م.س).

⁴ القوة الكهرومغناطيسية: هي القوة التي تنشأ بين الجسيمات ذات الشحنة الكهربائية، وهي ثاني أقوى قوة من القوى الأربعة الأساسية، وهي التي تبقى على الإلكترونات في مدارها حول النواة، وتجعل ذرات المادة تبدو جامدة وهي أيضاً مسؤولة عن موجات الراديو اللاسلكي والضوء. انظر: هوكنج، الثقوب السوداء، 250. (م.س).

هذه القوى إنهارت النجوم، وانهارت السماء بانهارها¹، وهذا ما أشار إليه الحديث **النجوم أمنةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد**².

يظهر من أقوال المفسرين أن السماء بناء وليست فراغات، وأن لبنات هذا البناء هي الكواكب والنجوم، والتي ترتبط ببعضها برباط الجاذبية، فالجاذبية تحكم روابطها، ولبنات هذا البناء رفع بعضها فوق بعض بقوى: هي نوع القوة الطاردة المركزية، التي تتعادل مع الجاذبية، وهذه القوة الطاردة ناشئة عن الدوران في مسارات شبه دائرية أو قطاعات ناقصة، وهي بمثابة الأعمدة المقامة بالفعل، ولكنها غير مرئية³.

ويشير المراغي إلى وجود المادة المظلمة وأنها من أساسيات النظام الكوني، ومن أسرار بنائه، وأن لها دوراً في تماسك ذلك البناء والدليل على وجودها وصول أضواء الكواكب إلينا. ويظهر أن هناك أثراً للتراكم العلمي على مناهج المفسرين فالإمام محمد عبده فسر الآية بسنة كونية كشف عنها العلم الحديث، فلم يفسر الآية الكريمة على أساس فرض علمي أو نظرية فحسب، ولكن على أساس قانون عام ثبت بالتجربة العملية وبالبحث الرياضي، وبالأرصاد الفلكية، فكان ذلك منه فتحاً في التفسير، وفتوى علمية تبيح تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم طبق ما ثبت أو ما يثبت على أيدي علماء الفطرة من الحقائق الخاصة والسنن العامة⁴.

¹ النجار، زغلول، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، نهضة مصر الفجالة - القاهرة، ط2، 2007م، ص134-135. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

² مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، (51)، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم آمن لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، حديث رقم (2531)، مكتبة الإيمان بالمنصورة. (د. ط.). (د. ت.)، ص 1261-1262. وسيشار إليه هكذا عند إعادة ذكره: صحيح مسلم.

³ الفندي، القرآن الكريم والعلم، ص288. (م. س.).

⁴ الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد أحمد عبد السلام الكرداني، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، (د. ط.)، (د. ت.) ص365، 387.

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية أجد فرقا بين كلمة (بناء) و(بنيان) ويلاحظ أن كلمة (بناء) مضافة إلى السماء وكلمة (بنيان) مضافة إلى الأرض.

لنتأمل ما يقوله اللغويون في معنى البناء:

وبرأي الجوهري فإن كلمة (بنيان) تتعلق بما يبني الإنسان على الأرض وفي الصحاح يعني الحائط، "بنى فلان بيتاً من البنيان والبنيان هو الحائط"¹

لكنه عند ابن سيده "مصدر وهو جمع على حد شعيرة وشعير، لأنهم قالوا ببنيانة في الواحد فالبناء والبنية مصدران، وبنيان البيت سماؤه، ومن ثم قوبل بالبناء الفراش، (فالبناء) لما كان رفعا للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء، ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصيبته"²

والذي يبدو لي: إن كلمة (بناء) بالنسبة للسماء من أعجب الاستعارات؛ لأنها وإن خالفت البنيان في الأرض للتباعد العظيم بين الأجزاء فقد تحققت فيها أهم مميزات البنيان من ترابط ما بين الأجزاء، بالجاذبية بحيث يشد بعضها بعض.

يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾³

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْضُوضٌ﴾⁴

ويلاحظ أن كلمة (بناء) لم ترد إلا متعلقة بالسماء وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾⁵.

¹ الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص91.(م.س).

² ابن سيده، المخصص، ج1، ص504. (م.س).

³ سورة الصافات، الآية [97].

⁴ سورة الصف، الآية [4].

⁵ سورة غافر، الآية [64].

وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾.¹

إنّ اختصاص السماء في كتاب الله بأحد الإسمين، وما يبني على الأرض بالاسم الآخر، على تعدد المواطن أمر له دلالاته

يقول الغمراوي: "إن ذلك أمر له دلالاته، وإشارة دقيقة إلى أن هناك فرق بين طبيعة بناية السماء، وطبيعة البنين في الأرض، فالبنية في الأرض متلاحمة الأجزاء، لبنة إلى جنب لبنة، أما السماء فلبناتها الكواكب والنجوم وما إليها، وليس فيها نجم يمس نجماً، ولا كوكب يمس كوكباً، والمسافات بينها حتى في رأي العين بعيدة مترامية".²

والبنين هو سماء للأرض وهو ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، فالسماء مسخرة للناس مثلما هي الأرض، وحتى تكون مسخرة لا بد أن تكون قريبة منا، فهي غلاف الأرض الجوي، فهي بناء له وسقف يحميه.³

يقول محمد عبده: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾⁴ "ولما لم يذكر في جانب السماء سوى البناء، وهو ربط بعض أجرامها ببعض، ولم يذكر إيجاد كل جرم، لأن هذا البناء الظاهر هو الذي تفهمه عقول المخاطبين، وفيه منافعهم اقتصر في جانب الأرض بذكر الطحو، وهو التمهيد وفيه منافع الناس من سكنى الأرض والانتفاع بما يوجد على ظهرها من نبات وحيوان"⁵

¹ سورة البقرة، الآية [22].

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص382. (م.س).

³ السعدي، داود سلمان، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص122. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: أسرار الكون في القرآن.

⁴ سورة الشمس، الآية [5-6].

⁵ عماره، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ج5، ص435. (م.س).

يقول عبد المجيد: "السماء تلازم الأرض، وليس هناك شيء فاصل بينها وبين الأرض، فهي مرتكزة على الأرض، وضاغطة عليها بما يسمّى بالضغط الجوي الذي يزداد قوة كلما زاد عمود الهواء على المكان، وقد دل الضغط على أن أجزاء السماء، يركب بعضها على بعض ويؤثر فيه، ويضغطه باتجاه الأرض... فدل هذا على ارتكاز أعلاه واعتماده على أسفله، فبذلك تكون السماء على هذا الحال بناء، ويكون لها ارتفاع مقدر، فافتترانها بالأرض يبيّن أن هدف البناء هو الحماية والإيواء، والسموات تحقق لنا ذلك، فهي حامية لأنفسنا، وما كان سبباً في استمرار حياتنا مما خلق الله من حيوان ونبات"¹ والذي يبدو لي من قول عبد المجيد أنه فسر (بناء السماء) بالعلم على أنّ السماء هي غلاف الأرض الجوي، فهو بناء يحمينا من مخاطر الفضاء الخارجي.

المطلب الرابع: البناء السماوي في العلم

إن أعمال العقل والتأمل في عملية الخلق هو أمر إلهي مصداقاً لقوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾²، وعليه لم يكن الإنسان حسب طبيعته إلا مبتدئاً بالسؤال عن الكيفية التي بها خلقت السموات والأرض. ومن هنا، فإن العلماء من خلال البحث المتواصل عبر مسيرة الخلق قد توصلوا من بعد ما أعملوا عقولهم، إلى ما أخبر به القرآن الكريم. في سياق البحث من قبل العلماء في السماء

¹ العرابلي، عبد المجيد عثمان عيسى، حقيقة السموات، المملكة الأردنية الهاشمية- المكتبة الوطنية، الكتاب (1)، 2006، ص45. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: حقيقة السموات.

² سورة العنكبوت، الآية [20].

وسعتها وشكلها وماهيتها توصلوا أن هناك المادة المظلمة¹ أساس تشكل الكون من غاز " ويتضح ذلك من خلال، قول المهندس كحيل: "إن المادة المظلمة هي أول ما تشكل من الكون بعد أن كانت عبارة عن غاز، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾²، والعلماء اليوم يتحدثون عن بقايا للدخان الكوني منذ بلايين السنين.³ فهذا مؤشر على اقتراب العلماء من الفهم القرآني للمادة التي خلقت منها السماء، وعن ماهية هذه المادة؛ فقد جاء في الموسوعة العلمية أنه ربما تكون المادة المظلمة؛ هي خليط من تلك الجسيمات المكونة من (الكواركات)⁴ التي توجد بكثافة فيما بين المجرات، فلعل الدخان الناتج عن الفتق تكون من هذه الاختلاطات التي بدورها كونت المادة المظلمة؛ إذ هما وجهان لعملة واحدة، إلا أن المسمى القرآني لها (بالدخان) أدق⁵ قال النجار: "إن السماء حائط عظيم، تحوي مجرات، تحتوي على مناطق مظلمة، يفصلها عن بعضها البعض، وكأن المجرات تتوزع حولها، وتبدو وكأنها ذات أشكال هندسية بديعة محاطة بمناطق مظلمة، تبدو

¹ المادة المظلمة: مادة توجد في المجرات والحشود العنقودية، كما يحتمل أن توجد بين الحشود، ولا يمكن ملاحظتها مباشرة، ولكن يمكن الكشف عنها بمجالها الجذبوي ويبلغ مقدارها 90% من مادة الكون. انظر: هوكنج، استيفن، الكون في قشرة جوز، ص183. (م.س).

² سورة فصلت، الآية [11].

³ كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص68. (م.س).

⁴ الكواركات: يعتقد أنه أحد المكونات الأساسية للمادة، وتجمعات الكواركات تشكل (النيوترونات) و(البروتونات) في النواة الذرية، انظر: هوكنج، استيفن، موجز في تاريخ الزمان، ترجمة عبد الله حيدر، مراجعة الدكتور محمد دبس، الناشر أكاديميا، بيروت- لبنان، ط1، 1990م، ص210. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: موجز في تاريخ الزمان. وانظر: كلوز، فرانك، النهاية، ص286. (م.س).

⁵ مجاهد، عماد، الموسوعة الفلكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص338-339. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الموسوعة الفلكية الحديثة.

وكانها مشدودة إلى مراكز تلك المناطق بقوى تعرف باسم المادة الداكنة التي يراها البعض أربطة كونية¹.

إن هذه الكلمة (وهي دخان) معجزة علمية، إذ دلت على ما لم يكن يعرفه البشر حتى عصر العلم الحديث عن (الحالة السديمية) التي كانت عليها السماء قبل أن تتخلق بأمر الله تعالى إلى سبع سماوات يقابلها سبع أرضين، وكل أرض تقابلها وتعلوها (سماؤها)، كما يقتضيه معنى السماء في اللغة.² ونجد "أن الكلمة القرآنية (وهي دخان) تدل على خاصيتين أخريين الحرارة المتوافرة في السديم بالمعنى الفلكي، وعلى احتمال أو رجحان وجود نوع من السديم أسود، وهو ما أثبت علم الفلك الحديث وجوده فعلاً،³ وكما لاحظ الباحثون العرب أن القرآن الكريم لم يقل ثم استوى إلى السماء) (وهي سحابة) أو بخار مثلاً، وإنما قال: "وهي دخان" وفي هذا إشارة قوية محددة إلى أهل العلم يستدلون بها على خصائص هذه المادة، وهي أنها كانت مثل الدخان المعروف؛ مادة مفككة وخفيفة ومنتشرة في الفضاء، وأنها كانت مظلمة وساخنة.⁴ وهذا ما عبر عنه الدكتور مصطفى حسين في قوله: "إن إشارة (الدخان) في الآية - تعتبر أفضل مرادف لخليط الغبار والغاز الساخن الذي انتشر في الفضاء وتكاثف ليكون "السديم" الذي نشأت عنه الأجرام"⁵ وفي وصف للمادة الدخانية يشير الباحث حسين العمري إلى هذا الدخان "في مادة مبدأ الخلق والوجود

¹ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص361، بتصرف. (م.س).

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص308.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص308. (م.س).

⁴ عباد، عبد الرحمن، من الإعجاز العلمي في القرآن، مطبعة الخضر، دون بلد نشر، ط1، 2007م، ص39. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: من الإعجاز العلمي في القرآن.

⁵ حسين، مصطفى، مع القرآن الكريم في الكون إعجازاً وهداية، بدون دار نشر، بدون بلد نشر، ط1، 1987م، ص11. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: مع القرآن الكريم في الكون إعجازاً وهداية.

حدث الانفجار،¹ ليبدأ خلق الكون واسعاً ومتوسعاً، علا وسما بعض الإشعاع والجسيمات الأولية للمادة، وسمي هذا العلو من مزيج الإشعاع والجسيمات الأولية سماء، وهذا ما تسميه كتب التفسير دخاناً.² وقد سئل فاروق الباز عن أصل السماء وأصل النجوم: هل هو الدخان كما قال الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. فقال الدكتور فاروق الباز: "بعد أن حللنا صخور القمر، وتمكنا من تحليل الشهب والنيازك، تأكد لنا أن عمر صخور القمر وصخور المجموعة الشمسية وصخور الأرض عمرها كلها واحد؛ ما يدل على أنها تكونت في وقت واحد، وتأكد لنا أنها تتكون من نفس المواد فتأكد لنا أن أصل الكون واحد، وأن الأرض والسماء كانتا متصلتين فانفصلتا".³ وعن كيفية تشكل الدخان الذي خلقت منه السماء يقول النجار: "إن جرماً بمواصفات الجرم الابتدائي للكون عندما ينفجر لا بد وأن يتحول إلى سحابة من الدخان الذي تخلقت منه الأرض وكل أجرام السماء. وتشير الحسابات الفيزيائية إلى أن حجم الكون قبل الانفجار كاد يقترب من الصفر وكان في حالة

¹ الانفجار العظيم: نظرية الكون المتطور وما زالت أكبر النظريات حتى الآن وتوصف بنظرية الفرقة الكبرى أو الانفجار الأعظم، وتقول بأن الكون بدأ على شكل كتلة ساخنة جداً من المادة وكل المادة التي وجدت بالكون كانت محتشدة في نقطة كبيرة من المادة أو من الإشعاع تعرف بالذرة الأولى أو البيضة الكونية، وبهذا الاكتشاف انتهى علماء الفلك إلى الاقتناع بوجوده. انظر: سيماك، كليفورد، قصة الكون عجب وبهاء، ترجمة: الدكتور عبد القوي زكي عياد، مراجعة الدكتور جمال الفندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص194-195. وسيشار إليه هكذا عند إعادة ذكره: قصة الكون عجب وبهاء وانظر: عظيموف، اسحاق، الشمس المتفجرة، (أسرار السوبرنوف)، ترجمة: الدكتور السيد محمد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص124. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الشمس المتفجرة. وانظر: شمشك، أمير، الانفجار الكبير أو مولد الكون، ترجمة: أورخان محمد علي، دار البشير، ط1، 1419هـ / 1998م، ص40، وسيشار إليه: عند إعادة ذكره هكذا: الانفجار الكبير.

² عمري، حسين يوسف، خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، (بحث رقم 14/19) جامعة مؤتة، الكرك-الأردن، ص5. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية.

³ مصطفى، أحمد، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي - القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م، ص15. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية.

غريبة من تكس كل من المادة والطاقة، وتلاشي كل من المكان والزمان (مرحلة الرتق)، ثم انفجر هذا الجرم (مرحلة الفتق)، وتحول إلى كرة من الإشعاع والجسيمات الأولية أخذت في التمدد والتبرد بسرعات فائقة حتى تحولت إلى غلالة من الدخان...¹، وتأكيداً للقول الذي مفاده أن أصل السماء دخان ما قيل: "إن العلماء يوضحون أن الفتق والرتق كان للمجموعة الشمسية، وقد تبين لهم أن أصلها سديم؛ أي قرص عظيم من الغاز والغبار أو الدخان الذي انكمش ثم انفصل لتكوين المجرات أولاً، ثم حصل فيها انفجاراً نتج عنه "الشموس"، وعن الشمس انفصلت الكواكب، وعن الكواكب انفصلت الأقمار حيث إن الجمع والفصل لا يكون إلا بين متشابهين.² ويقول الغمراوي: "إن الكون كله، قبل أن تتشكل عوالمه ومجراته ونجومه كان كياناً سديماً غير متميز بعضه عن بعض، ثم أخذ يتميز ويتطور، لا يدرون بالضبط كيف، وإن نسبه إلى فعل الجاذبية العامة حتى صار إلى ما هو عليه مما يشاهدون ويدرسون، ولا تزال السدم الهائلة منتشرة فيه على أبعاد فلكية مذهلة"³، ويؤكد على هذا الافتراض الدباغ بقوله: "إن النظريات العلمية توصلت إلى أن الأجرام السماوية تنشأ من سديم أو دخان يتكون من الجزيئات الذرية بما تحمله من طاقة كونية هائلة تجعلها تتجمع ثم تنفصل عن بعضها لتكون النجوم"⁴. ويتفق حميد مجول مع ذلك بقوله: "إننا عند ما نأتي إلى لفظة (دخان) نبدأ بملاحظة ما

¹ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص112-113. (م.س).

² السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص38. (م.س). وانظر: جمل، عبد الباسط، وجمل، داليا صديق، بدون سنة نشر، موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، بدون طبعة، دار غريب- القاهرة، ص27، بتصرف.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص303. (م.س).

⁴ عروة، أحمد، العلم والدين مناهج ومفاهيم، دار الفكر - دمشق - سورية، ط1، 1408هـ/ 1987م، ص161. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: العلم والدين مناهج ومفاهيم.

يراه علم الهيئة من اتجاهين: أصل الكون وأصل المجموعة الشمسية التي نحن جزء منها، فالمنظومة الشمسية تكونت من سديم كبير مؤلف من الغازات والأترربة "وليس بخاراً فقط".¹ بينما ذكر أرناؤوط أن تكونه كان من غازات وأترربة، مستنداً إلى نظريات العلماء أن المجرات تتكون من سحب غازية وأترربة كونية مصحوبة بوجود نجوم، وهناك من يؤكد أن هذه السحب هي أماكن تكون نجوم جديدة، حيث يبدأ النجم كسحابة غازية يوجد بداخلها مركز جاذب يجذب جزئيات الغاز بعضها إلى بعض، ومن فرط قوة التجاذب هذه تندمج أنوية ذرات هذه الجزئيات، ويبدأ نوع من التفاعل النووي الذي يصاحبه انبعاث كميات رهيبه من الطاقة النووية، ونتيجة لذلك توجد قوة أخرى تسمى (الضغط الإشعاعي) وعندما يحدث تقارب بين القوتين الجاذبة وضغط الإشعاع يكون قد تكون جنين نجم جديد، وعند اتزان القوتين تماماً يكون ذلك مؤشراً لمولد نجم جديد.² ويتفق مع هذا القول صاحب كتاب "سكان السماوات" بقوله: "لعل عذرنا بيّن في أصل النشأة، إن غاز الأيدروجين هو العنصر الأساسي الذي بنيت منه كل أجرام السماء، وأن كل ما جرى من تفاعلات ذرية في كوننا منذ بدأت فيه هذه التفاعلات على حساب غاز الأيدروجين، فقد قدر أن ذراته لا زالت توجد بمعدل نحو ألف ذرة لكل ذرة واحدة من ذرات مواد الكون الأخرى مجتمعة، وهذا يؤكد أن أصل النشأة (سديم) أو سحابة عظمى من الغاز الكوني الذي هو غاز الأيدروجين اكتفتها الدوامات التي تكشف عن انقشاع الغاز من مناطق برمتها،

¹ النعيمي، حميد مجول، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم - مكتبة الرائد العلمية، ط1، 1421هـ/ 2000م. ص90-91. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم.

² أرناؤوط، محمد السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص160. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وتراكمه بفعل الجاذبية في بؤرات عديدة ولدت النجوم والشموس¹، وهذا ما أشار إليه جون فايفر في كتابه فقال: "لقد كانت سحابة من غاز الهيدروجين، تنتشر فيها ذراته الضوئية... وهي سحابة خفيفة جداً، منتشرة مبعثرة لدرجة أرق، من أرق ضباب، كانت تسري كنفحة من (الدخان) خلال الفضاء"². وانضم أبو العينين إلى هذا القول حين اعتبر الريق السماوي كان من الدخان، وأن النظرية الأقوى والأكثر قبولاً عند عامة العلماء في نشوء المجموعة الشمسية؛ هي النظرية السديمية³ التي رجحها فون فايسكر عام 1944م؛ فقد اعتقد أن المجموعة الشمسية بما فيها الشمس كذلك كانت تتألف من سحب هائلة من السدم التي تسبح فيها الغازات والغبار الكوني والمواد المعدنية الدقيقة الحجم جداً.⁴

وهناك من يعتقد "إن هذه الجزئيات التي كنا نسميها غباراً كونياً لا تشبه الغبار أبداً، وإذا أردنا أن نصف بدقة فائقة هذه الجزئيات فإن أفضل كلمة هي كلمة (دخان) وباللغة الإنجليزية تعني (smoke).⁵ وفي سياق تحليل هذا الدخان ذكر الشديفات أن

¹ هانيلين، أ. روبرت هانيلين، سكان السماوات، ترجمة وتصدير وتقديم، الدكتور محمد جمال الفندي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م، ص32. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: سكان السماوات.

² جون فايفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ترجمة الدكتور محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1975م، ص54.

³ النظرية السديمية: فكرة قال بها (سويد نبرج)، ثم فصلها (لابلاس)، خلاصتها أن المنظومة الشمسية نشأت من السديم أي من مادة غازية ملتهبة، بردت وتجمدت وأفلتت من جرمها الكبير أجزاء كثيرة تفرقت فدارت حول نفسها وحول الجرم الكبير بفعل الجاذبية والحركة المركزية. انظر: أبو ذياب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1420 هـ/ 1999م، ص109. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم.

⁴ أبو العينين، حسن، سيد أحمد، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (مع آيات الله في السماء)، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996، ج1، ص240-241. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

⁵ الكحيل، روائع الإعجاز في الكون، (55-57). (م.س).

الدخان الناتج عن فتق (الرتق) هو نفسه الكواركات والنيوترونات¹ والإلكترونات² والبروتونات³ التي لا تزال في حالة تفكك⁴. وفي معرض آخر فيما يخص تشكل الدخان يقول الكحيل: "إن الغبار الكوني هو عبارة عن جزئيات دقيقة من المادة الصلبة تسبح في الفضاء بين النجوم؛ إنها ليست مثل الغبار الذي نراه في المنازل، بل شديدة الشبه بدخان السجارة، إن وجود هذا الدخان الكوني حول النجوم الناشئة يساعدها على التشكل، كذلك الدخان الكوني هو حجر البناء للكواكب"⁵.

ثم ذكر صاحب الموسوعة أنه بعد أن قامت وكالة الفضاء الأمريكية (Nasa) في عام 1989م بإرسال مركبة فضائية (مستكشف الخلفية الكونية) (كوبي) لدراسة الخلفية الإشعاعية للكون، أثبتت هذه الدراسة تجانس مادة الكون وتساويها التام في الخواص قبل الانفجار وبعده؛ أي من اللحظة الأولى لعملية الانفجار الكوني العظيم، وانتشار الإشعاع مع احتمال وجود أماكن تركزت فيها المادة الخفية التي تعرف باسم المادة الداكنة وبتصوير بقايا الدخان الكوني الناتج عن الانفجار العظيم أثبتت أنها حالة دخانية معتمدة سادت الكون قبل خلق السماوات والأرض.⁶

¹ النيوترونات: (واحد النيترون) وهو زميل البروتون في النواة الذرية وهو بلا شحنة، انظر: كلوز فرانك، النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص285-286. (م.س).

² الإلكترونات: (مفردها إلكترون)، وهو جسيم أولي ذو شحنة سالبة، وأحد مكونات الذرة، وهو ما يحمل الكهرباء خلال الأسلاك، انظر: كلوز، فرانك، النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص285-286. (م.س).

³ البروتونات: (واحدها بروتون) هو أحد الجسيمات المكونة للنواة، ويحمل شحنة موجبة، ويعطي النواة شحنتها الكهربائية، وهو يتكون من ثلاثة كواركات أنظر: كلوز فرانك، النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص285-286. (م.س).

⁴ الشديفات، الله فانق الرتق، ص511. (م.س).

⁵ الكحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص58. (م.س).

⁶ مصطفى، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، ص14. (م.س).

بيناً في الصفحات السابقة أن مادة السماء كانت موجودة قبل المرحلة الدخانية، والسماء جاءت من الرتق الذي كانت مطوية فيه، والدخان نتج من فتق هذا الرتق والذي ساعد على تشكل أجرام السماء الحالية، لأن ذكر الدخان في الآية من سورة فصلت يدل على أنه مادة مهمة في تكوين النجوم، والأجرام، إلا أن العلماء لم يستطيعوا التحديد على أن كل الأجرام والمجرات أساساً (دخاناً) وهذا يدل على أن السماء الأولية التي استوى إليها الرحمن ليست كسماءنا الحالية.

والاشعاعات التي نتجت عن فتق الرتق (الانفجار العظيم)، لا بد أن يكون لها الآثار حتى الآن ما يمكن رصده من أي اتجاه على هيئة موجات (ميكروويف)¹.

وهذا ما أكده كثير من علماء الكون، "أن الكون كان في بدايته حاراً وكثيفاً، وكان غازياً، وكانت مادته وإشعاعه ممتزجتين معاً امتزاجاً يختلف فيه تماماً عما نعرفه عنهما من حيث تميّزهما الواضح عن بعضهما، ويعود سبب الامتزاج إلى أنه في غاز ذي درجة حرارة مرتفعة يحمل الإشعاع طاقة هائلة، الأمر الذي يوفر إمكان تحوله إلى مادة، وهكذا فالإشعاع والمادة في بداية نشأة السماء سلكا سلوكاً لا يكاد يميز أحدهما عن الآخر...."²

ويؤكد هذا المعنى العالم "جون فايفر"³ فيقول:

"لقد كانت الظلمات السائدة حينذاك نقطة بداية لا نقطة نهاية، عندما تكونت منها سحابة لا تشبه سحب اليوم أبداً، فقد بدأت المادة تتجمع بالغزيرة كما تتجمع قطعان

¹ عظيموف، اسحاق، الشمس المتفجرة، ص123-124.

² توماس أرني، مقدمة في علم الفلك، ترجمة د. أحمد الحصري، دار طلاس- دمشق، ط1، 1998م، ص702.

³ جون فايفر، أهد أئمة كتاب العلوم، وقد كرس نفسه أساساً لتقديم صورة عامة دقيقة عن نتائج البحث العلمي، وكان المحرر العلمي والطبي لمجلة نيويورك، وله عدة مؤلفات منها: العلم في حياتك، العقل البشري، والكون الصغير، انظر: مقدمة المترجم محمد الشحات لكتاب بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ص2.

الأغنام، وهكذا بدأت كثافة السحابة تزداد، وبدأت الظلمة تنتشع ويبدو فيها بصيص من النور، ولقد كان هذا النور بداية تكون النجوم"¹.

ويقول (كارل ساغان)² في كتابه (الكون) "ونحن نعلم الآن أن كوننا يبلغ من العمر نحو (15-20) مليار سنة؟، وهذا الزمن محسوب منذ ذلك الحدث التفجيري الاستثنائي، الذي يعرف بالانفجار الكبير، وفي بداية الكون لم تكن هناك مجرات أو نجوم أو كواكب أو أي نوع من الحياة أو حضارات، بل مجرد كرة نارية مشعة منتظمة الشكل تملأ الفضاء كله"³.

مما سبق يظهر من أقوال "علماء الكون"؛ أن بداية الكون ونشأته كان من انفجار عظيم، وهذا الانفجار حدث في المادة الكونية المتكاثفة، وتسمى (البيضة الكونية) وخلف هذا الانفجار إشعاعات وحرارة ومنها بدأ للكون وجود.

وعليه فإن البنين في الأرض يختلف عن بناء السماء فالبنين في الأرض متلاحم الأجزاء، أما بناء السماء فقد شددت الكواكب والأجرام فيه بحيث وضع كلاً منها على نسبة من الآخر بحكم الجاذبية والمادة الداكنة، وأما أثر هذه المادة فقد وجد على حركة الأجرام والنجوم والمجرات فهي التي تعمل على سيرها وتنظيم حركتها

¹ جون فايفر، بداية الكون، ترجمة د. محمد الشحات،/ القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1975م، ص9.

² كارل ساغان، أستاذ الفلك وعلم الفضاء بمعهد دافيد دنكان، ومدير معمل دراسات الكواكب بجامعة كورنيل، قام بدور بارز في رحلات سفن الفضاء، له نحو ستمائة ورقة بحثية علمية، بالإضافة للعديد من الكتب، انظر: مقدمة المترجم، ص3.

³ كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة نافع أيوب لبس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، 1414 هـ/ 1993م، ص36.

بالنسبة لبعضها البعض، داخل المجرات وخارجها فضلاً عن أنها تعد بمثابة غراء الأجرام إذ هي مادة مغناطيسية تعمل على توازن لبنات البناء¹.

وبناءً عليه، فإن لبنات البناء السماوي هي الأجرام والمجرات، والذي يمسك هذه الأجرام ويربطها ببعضها حتى تكون بنية واحدة هو الجاذبية والمادة الداكنة، وهكذا صنع الله تعالى بها حيث وضع كلاً منها على نسبة من الآخر ما يمسك كلاً في مداره. ويرى عبد العليم خضر أن الكواكب والنجوم تسبح كل في فلكه وكأنها وحدة متماسكة مترابطة بفعل قانون الجاذبية، فتتجاذب فيما بينها تجاذباً صغيراً محدوداً²، بحجم كل منها وكتلته وبعده عن الشمس³. وهذا ما بينه الله في كتابه العزيز بقوله:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾⁴. ولعل هذا هو السر من وراء القسم القرآني بمواقع

النجوم في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁵.

يقول الغمراوي: "الآية الكونية تدل على الكتل بذكر النجوم، وعلى المسافات بذكر

المواقع، وعلى أن المواقع أكبر وأعظم أثراً بالإقسام بها هي، أما كبر الأثر وعظمة

السر المودع في القسم⁶ فقد نصت عليه الآية ﴿إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. وفي

تبيان لعظمة الخلق وتوضيحها يقول حسين عمري: "إن المسافات بين النجوم تبلغ

حدوداً هائلة؛ فمثلاً نجد أن أقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنا 4.5 سنة ضوئية أما

¹ انظر: باركر باري، الهيلولية في الكون، ترجمة علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة - القاهرة، ط1، 2002م، ص246. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الهيلولية في الكون. وانظر: الشريف، حسن، في رحاب الكون، سلسلة الكتب العلمية الميسرة، معهد الإنماء العربي - بيروت (د.ط)، 1980م، ص285، بتصرف وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: في رحاب الكون.

² خضر، عبد العليم، المنهج الإيماني للدراسات الكونية، دار السعودية - جدة، ط3، 1407هـ/ 1987م، ص33.

³ قطب، في ظلال القرآن، ج17، م4، ص2441. (م.س).

⁴ سورة الرحمن، الآية [8].

⁵ سورة الواقعة، الآية [75-76].

⁶ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص368-369. (م.س).

نجوم المجرات السحيقة فبعدها من رتبة عشرة مليار سنة ضوئية، وأن هناك مدلولاً علمياً آخر للقسم بمواقع النجوم؛ فمثلاً موقع الأرض بالنسبة للشمس، فيعد موقعاً مؤهلاً لاستمرارية الحياة، ومجموعتنا الشمسية هي جزء من مجرة درب التبانة، إذ تقع على بعد متوسط من مركز المجرة ومجرتنا درب التبانة تقع في مكان قريب من بناء السماء الدنيا، فكيف بنجوم باقي المجرات والمجرات البعيدة¹.

من خلال العرض لأقوال المفسرين تبين أصل تكون السماء هو أن الله خلق الماء أولاً، ومن ثم خلق من الماء بخاراً كالدخان ومنه خلق الله السماء، ولا يمكن معرفة كيف تشكلت السماء فليس من النظريات المشكوك فيها أن الكون كله مر بطور (سديمي) قبل أن تتشكل عوالمه، ومجراته، ونجومه، وكوكباته، إنما الخلاف هو كيف نشأت تلك الحالة السديمية من ناحية، ثم كيف تشكلت إلى ما تشكلت إليه من ناحية أخرى²، وتبين من العرض السابق لمفهوم البناء السماوي من خلال النظريات العلمية، متمثلاً بتعابير العلماء عن المفهوم؛ فقد تجلّى أن الدخان كان من الرقيق السماوي الذي كانت فيه الأرض والسماء كتلة واحدة ففتقتا، مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿كَانَتْ رَتْقًا فَمَتَّقْنَاهُمْ﴾³ وعليه، فإننا نرى بأن الدخان أصل تكون السماء، وهذا يتطابق مع الآية القرآنية ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾⁴.

¹ عمري، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم ص4-6. (م.س).

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص368-369. (م.س).

³ سورة الأنبياء، الآية [30].

⁴ سورة فصلت، الآية [11].

المبحث الثاني: البناء السماوي واسع ومتوسع

يتناول هذا المبحث آراء المفسرين في الآية ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾¹ وما تعنيه كلمة (الموسعون)، والآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾². إن خلف هاتين الآيتين ظواهر فلكية سيتم إيضاحها من خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: البناء السماوي الواسع في القرآن الكريم

إن المتدبر لآيات الله، يجد ان قدرة الله العظيم تتجلى في خلقه وملكوته وسماواته وأرضه، حيث يقول الله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾³. إن هذه الآية كما يشير التفتنازي تفر مشهداً آخر من مشاهد تخلق الكون وتطوره، وهذا هو الطور الثاني الذي مرت به حركة الكون؛ فبعد أن طرأ عليه الانفجار العظيم، هبطت درجة حرارته المرتفعة، وبدأ بالتبريد والتوسع والانتشار، والتمدد الدؤوب المستمر، وإن هذا التوسع وذاك التمدد، لم يسر عبر مسالك مستوعرة، وطرق وساحات قد ازدحمت بالفوضى والاضطراب، ليست الحالة كذلك، بل كما عبر القرآن الكريم "بنيانها" والبناء يقتضي هندسة دقيقة ويستلزم تصحيحاً تشيع بين جنباته الرتابة

المتألقة"⁴

¹ سورة الذاريات، الآية [47].

² سورة الواقعة، الآية [75 - 76].

³ سورة الذاريات، الآية [47].

⁴ التفتنازي، مروان وحيد شعبان، الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، دار المعرفة - بيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص184. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث.

والناظر في كتب المفسرين لمعرفة معاني هذه الآية وما تصوره من معطيات علمية يجد أقوال صاحب تفسير الجامع لأحكام القرآن: "وفي السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان، ومعنى (بأيد) أي بقوة، وعن ابن عباس "وإننا لموسعون" أي لقادرون، وقيل: أي وإننا لذو سعة وبخلفها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده، وقيل: أي وإننا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل: وإننا لمطبقون وإننا لموسعون الرزق بالمطر"¹. وفي تفسير إرشاد العقل السليم: "والسماء بنيناها بأيدي أي بقوة وإننا (لموسعون)؛ أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق..² ويضيف الألوسي في: "والسماء بنيناها؛ أي والسماء بنيناها بأيدي: أي بقوة... وإننا لموسعون، أي لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة؛ فالجملة تذييل، إثباتاً لسعة قدرته عز وجل كل شيء فضلاً عن السماء... وقيل: أي لموسعوها بحيث إن الأرض، وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها كحلقة في فلاة، وقيل: أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة، والمراد السعة المكانية"³.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م، 9، ج17، ص49. (م.س).

² أبو السعود، محمد بن محمد (ت982هـ)، تفسير أبو السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1419هـ/ 1999م. ج6، ص140.

³ الألوسي، روح المعاني، ج27، ص26. (م.س).

يقول طنطاوي جوهرى: "بأيد" أي بقوة أو الأيد القوة (وإنما لموسعون) أي لموسعون ما بين السماء والأرض أو وإننا لقادرون من الوسع وهو الطاقة، والموسع القوي على الإنفاق.¹

وكذا ورد في تفسير الظلال والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السماء الهائل المتناسك المتناسق، بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء، سواء أكانت تعني مدارات النجوم والكواكب، أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة، وتحوي مئات الملايين من النجوم والكواكب، أم تعني طبقة من طبقات هذا الفضاء الذي تتناثر فيه النجوم والكواكب أم غير هذا من مدلولات كلمة (السماء)، والسعة كذلك ظاهرة فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة التي تعد بالملايين، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب² إن هذه اللفظة تشير إلى الاستمرارية في بناء السماء المتناسق، وهذا يعد نفيًا لكل ما قد يدور في عقل الإنسان من أن الكون مستقر ثابت، كما نلاحظ أن جميع أقوال المفسرين لم يطرأ عليها أي معنى فلكي؛ فمصب أقوالهم أن هذا دليل على عظمة الخالق وقدرته، ولعل السبب أن لا كلمة أخيرة للعلم بشأن عدم ثبات الكون ممن يسترشد بالعلوم لتفسير الآيات الكونية، لكنه نبأ وقرار القرآن الصريح حول استمرارية الكون في عملية البناء الموسعة. وقد فهم علماء المسلمين أن الآية تحمل إشارة علمية تبين أن السماء في حالة توسع دائم.

من خلال عرض آراء المفسرين حيث يجمعون على أن لفظة لموسعون، بمعنى

لقادرون من الوسع وهو الطاقة.

¹ الجوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج1، ص115. (م.س).

² قطب، في ظلال القرآن، ج27، 3385. (م.س).

المطلب الثاني: البناء السماوي الواسع في العلم:

إن القارئ لكتاب الله، والمتمعن في آياته، يرى أن هناك آيات كثيرة ابتدأت بالقسم؛ فأقسم الله بالشمس والقمر والسماء والنجوم، وذلك كتحدٍ للعقل البشري في عجزه عن الإحاطة بملكوت الله، فأقسم الله بالنجوم ومواقعها كي يتفكر الإنسان باستخدام عقله في عظمة هذا الخلق فقال الله تعالى: ﴿قَلَّا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ

لَقَسْمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ﴾¹.

ونحن نعلم أن الفضاء الكوني مليء بالمجرات والسدم، وما يتبادر للذهن هو مواقعها ومواقعها بالنسبة لبعضها بعضاً وكيف وزعها الله بالفضاء الكوني؛ حيث وضع كلاً منها على نسبة من الآخر يمكك كلاً في مداره.² ولعل هذا هو السر من وراء القسم القرآني بمواقع النجوم، فقد ذكر النجار أن الآية تبين أن السماء منذ فتق الرتق هو في حالة توسع مستمر حتى قيام الساعة ويؤكد ذلك قوله: "إننا إذا عدنا بهذا التوسع إلى الوراء مع الزمن، فلا بد وأن تلتقي كل صور المادة والطاقة، كما يلتقي كل من المكان والزمان في نقطة واحدة، وأدى ذلك إلى الاستنتاج الصحيح بأن الكون قد بدأ من هذه النقطة الواحدة بعملية انفجار عظيم"³.

إنه معنى قوله أن التوسع الكوني حدث منذ فتق الرتق، وسيعود الكون إلى حالته الأولى (الرتق) حيث تلتقي كل صور المادة والطاقة والزمان والمكان في نقطة واحدة، هي النقطة التي بدأ منها الكون. ويرى حميد مجول "أن التوسع مكاني لا يشمل حجم المجرات أو محتوياتها، بل يشمل أبعاد المجرات عنا؛ أي إن التغيير

¹ سورة الواقعة، الآية [75-76].

² التفتازي، الإعجاز القرآني في ضوء إكتشاف العلمي الحديث، ص262، بتصرف. (م.س).

³ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص89. (م.س).

حاصل في البعد بين المجرات فقط، وهذا هو التغيير العلمي الفلكي والفيزيائي المتكامل¹ لقوله تعالى "وإننا لموسعون"

ويقول عبد المجيد الزنداني: "إن الاتساع دائم سواء في تكوين مدن نجومية جديدة باستمرار، أو في تباعد المدن النجومية في استمرار"² وهناك إضافة للشديفات تبيّن سبب زيادة تسارع السماء³ فيقول: "إن الكون انطلق بعد فتق الرتق بطاقتين: إحداهما الطاقة الناتجة عن انفقاق الرتق وقد خلفت وراءها [حرارة ودخاناً] أما الأخرى، فهي طاقة الوضع المخزونة في السماء المطوية، التي تعمل على التقليل من انحناء السماء بتحويل طاقة الوضع هذه إلى طاقة حركة توسع السماوات وتحريها من طيها، فيقل انحنائها مع الوقت فيزداد تسارع السماء"⁴. إن معرفة شكل السماء وتحريها من طيها فسّر سبب سرعة توسع السماء فما رآه (هبل)⁵ في تلسكوبه من سرعة توسع للسماء فسّر بتحرر السماء من طيها بفعل الطاقة المظلمة، وطاقة الوضع وتحولها إلى طاقة حركة. وفي أصل تكون المادة المظلمة يقول

¹ النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص88. (م.س).

² زنداني، عبد المجيد، توحيد الخالق، دار السلام - جدة، ط1، ص56، 1985م. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: توحيد الخالق.

³ انظر: الملحق رقم (1).

⁴ الشديفات، الله فاتق الرتق، ص280 بتصرف. (م.س).

⁵ أدوين، هبل: فلكي أمريكي معاصر، 1889-1953، قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار وقام بتصنيفها في مجموعات، أعلن أن الكون أكبر مما كان يتصوره العالم آنذاك، وفي 24 نيسان 1990 أرسل مقراب (منظار) يعرف باسم مقراب هبل وهو مجهز بحواسيب خاصة آلية وكاميرات متطورة، وقد صمم لاكتشاف أبعد الأجسام الكونية وهو يرى أجساماً على بعد 14 مليار سنة ضوئية، وأرسل صوراً للمريخ والمشتري وأتى بصور عن حركة التوسع. انظر: الميداني، محمود عصام، الأطلس الفلكي، دار دمشق للنشر والتوزيع، 1996، ص88. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الأطلس الفلكي.

الشديفات: "الطاقة المظلمة"¹ من "الانفتاق العظيم"² أدت إلى تسارع السماء (بقوة) إلى أن تلاشت، الأمر الذي ترك طاقة الوضع المختزنة في السماوات تعمل وحيدة على توسعها، فغياب طاقة الانفتاق العظيم أدى إلى نزول سرعة توسع السماء، ومع ازدياد اتساع السماء التدريجي، أصبحت أقل انحناءً حتى وصلت نقطة، أصبحت فيها طاقة الوضع قادرة على التحول بسهولة أكثر إلى المزيد من طاقة الحركة وزيادة طاقة الحركة، هذه وجدت سهولة في زيادة سرعة السماء التي أصبحت أقل انحناءً وهكذا كلما قل الانحناء زادت السرعة أو لنقل زادت سرعة اتساع توسع السماء فتتناقص انحناء السماء فسر لنا كيفية توسع السماء وزيادة سرعتها"³. ويشير الغمراوي إلى عظمة الكون وتوسعه بقوله بأن: "الآية الكونية تدل على الكتل بذكر النجوم، وعلى المسافات بذكر المواقع، وعلى أن المواقع أكبر وأعظم أثراً بالإقسام بها هي، أما كبر الأثر وعظمة السر المودع في القسم، فقد نصت عليه الآية ﴿إِنَّهُ

¹ الطاقة المظلمة: يمكن تعريفها وتقريب التعريف لها بأن أي جسم مادي سار بسرعة أعلى من سرعة الضوء يحول إلى طاقة، وهذه الطاقة انطلقت بعد انفتاق الرق العظيم وهي التي عملت على توسع السماء أثناء تحررها من طيها، فعندما طويت السماء كانت طاقة وضع، وتحولت إلى طاقة حركة عندما تلاشت قوتها حسب ما أشار إليه الشديفات. انظر: الشديفات، وصفي، الله فاتق الرق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، ص276، ويبدو أن الطاقة المظلمة تعتمد على سطوع ضوء المستعرات العظمى البعيدة جداً التي تشير إلى القوة الغامضة التي تظهر لنا أن الكون يتوسع، : ويقال بأن هذه الطاقة تعمل ضد جذب الجاذبية مما جعل المجرات تطير بعيداً عن بعضها بسرعة هائلة في الفضاء. انظر: دهبية، محمد محمود مصطفى، الجغرافيا الفلكية، مكتبة المجتمع العربي، عمان - الأردن، ط1، 1426هـ/2006م، ص269-270. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الجغرافيا الفلكية.

² الانفتاق العظيم: مصطلح اقتبس من الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ سورة الأنبياء {30} يبين أن الكون كان كتلة واحدة ثم انفتقت إلى أجزاء سارت في أفلاكها فتباعدت المجرات ناتج عن انفتاق عظيم كانت المادة فيه منضغطة في حيز صغير ذي كثافة عالية. انظر: الشديفات، وصفي الله فاتق الرق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، ص234-236 بتصرف وانظر: عباد، عبد الرحمن، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص40. (م.س).

³ الشديفات، وصفي أمين، الله فاتق الرق، ص281. وانظر: عباد، عبد الرحمن، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص40. (م.س).

لَقَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا¹. يوضح حسين عمري ذلك بقوله: "إن المسافات بين النجوم تبلغ حدوداً هائلة؛ فمثلاً نجد أن أقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنا 4.5 سنة ضوئية أما نجوم المجرات السحيقة فبعدها من رتبة عشرة مليارات سنة ضوئية، وأن هناك مدلولاً علمياً آخر للقسم بمواقع النجوم فمثلاً موقع الأرض بالنسبة للشمس... فيعد موقعاً مؤهلاً لاستمرارية الحياة... ومجموعتنا الشمسية هي جزء من مجرة درب التبانة؛ إذ تقع على بعد متوسط من مركز المجرة، ومجرتنا "درب التبانة" تقع في مكان قريب من بناء السماء الدنيا فكيف بنجوم باقي المجرات والمجرات البعيدة"². وفيما يخص المسافات بين الأجرام والكواكب يقول النجار: "إن جرماً بمواصفات الجرم الابتدائي للكون عندما ينفجر لا بد وأن يتحول إلى سحابة من الدخان الذي تخلقت منه الأرض وكل أجرام السماء. وتشير الحسابات الفيزيائية إلى أن حجم الكون قبل الانفجار كاد يقترب من الصفر، وكان في حالة غريبة من تكس كل من المادة والطاقة، وتلاشي كل من المكان والزمان (مرحلة الرتق) ثم انفجر هذا الجرم (مرحلة الفتق) وتحول إلى كرة من الإشعاع والجسيمات الأولية أخذت في التمدد والتبريد بسرعات فائقة حتى تحولت إلى غلالة من الدخان..."³. ومن حالة الانفجار الأول "الفتق" إلى التوسع في الكون يضيف الباحث حسين العمري هذا الدخان قائلاً: "في مادة مبدأ الخلق والوجود حدث الانفجار، ليبدأ خلق الكون واسعاً ومتوسعاً، علا وسما بعض الإشعاع والجسيمات الأولية للمادة، وسمي هذا العلو من مزيج الإشعاع والجسيمات الأولية سماء وهذا ما تسميه كتب التفسير

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص368-369. (م.س).

² عمري، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، ص4-6. (م.س).

³ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص112-113. (م.س).

دخاناً".¹ ولم تكن هذه الظواهر الكونية بالنسبة للعلماء غائبة عن محطة تساؤلهم، وإن حقيقة التوسع (للسماء) توصل إليها العلماء خلال أبحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون "إلى أن المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر، وكانت في صورة غاز ساخن، كثيف، متماسك، وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل (5,000.000.000.000) (خمسة بلايين) سنة على الأقل، فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها، ونتيجة لهذا، أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً، لا بد من استمراره طبقاً لقوانين الطبيعة، التي تقول إن قوة (الجاذبية) في هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجياً بسبب تباعدها ومن ثم تتسع المسافة بينها بصورة ملحوظة".² ومما يشير إلى قرب مجرتنا من البناء السماوي الأول حديث النجوم أمانة للسماء...³ وفي تعبير مجازي عميق وشامل من خلال حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقوله: **لَوْ أَنَّ رِصَاصَةَ مِثْلِ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمُجْمَةِ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّنَسَلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا**⁴ وفي

¹ عمري، حسين يوسف، خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، (بحث رقم (14/19) جامعة مؤتة الكرك-الأردن، ص5. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية.

² خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق، دكتور عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية نون ذكر بلد النشر، ط2، 1393هـ/ 1973م، ص145. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإسلام يتحدى.

³ سبق توثيقه ص48.

⁴ الترمذي، أبو عيسى محمد، (200-279هـ) جامع الترمذي، 37 صفة جهنم، باب (في بعد قعر جهنم)، التحفة (6)، حديث رقم (2588)، ص588، قال أبو عيسى: هذا حديث إسناده حسن صحيح، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ، 1999م وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: جامع الترمذي.

رواية أخرى عند البغوي: "لو أنَّ رَضْرَاضَةً مثل هذه ... الحديث"¹. إن هذين الحديثين يؤكِّدان قرب مجرتنا من البناء السماوي الأول؛ فالحديث (النجوم أمانة للسماء...) يشير إلى هذا الرباط الوثيق بين النجوم والسماء؛ فقرب مجرتنا والعديد من المجرات النيرة من بناء السماء يجعله عرضة للتسخين من قبل المجرات، وللتبريد البطيء المنتظم والمستمر نتيجة للتمدد؛ مما يؤدي إلى مزيد من تحسين التركيب البلوري لبناء السماء"². نلاحظ أن الحديث الثاني (لو أن رصاصة) إلى أن طول السلسلة من سلاسل جهنم كبير جداً بالمقارنة مع البعد بين كرتنا الأرضية والبناء السماوي الأول"³.

وبناءً عليه فإن لبنات البناء السماوي هي الأجرام والمجرات، والذي يمسك هذه الأجرام ويربطها ببعضها حتى تكون بنية واحدة هو الجاذبية والمادة الداكنة، وهكذا صنع الله تعالى بها حيث وضع كلاً منها على نسبة من الآخر؛ ما يمسك كلاً في مداره. كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾⁴. واستناداً إلى ما تقدم من عرض لأقوال المفسرين في الآية ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾⁵ تبين أنها جاءت بمعنى لقادرون على التوسع، طاقة الوسع التي من خلالها يتم التوسع، وفي نظريات العلماء أكدوا أن طاقة الوضع تحول إلى طاقة حركة توسع السماوات، وفي

¹ البغوي، محمد الحسين، ت (566هـ)، شرح السنة، تحقيق سعيد محمد اللحام، مكتب البحوث والدراسات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1414هـ/ 1994م، م8، 42 كتاب الفتن، باب صفة النار وأهلها، وهذا حديث حسن وقوله (أربعين خريفاً) أي أربعين سنة. انظر: ص462.

² عمري، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، بحث، ص3.

³ عمري، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، ص3.

⁴ سورة الرحمن، الآية [8].

⁵ سورة الذاريات، الآية [47].

هذا تطابق بين ما جاءت به نظريات العلم وبين ما أخبر به القرآن الكريم في أن الكون يتمدد ويتوسع، ولكننا نشير أيضاً، إلى أن ليس هدف بحثنا ليس مطابقة العلم بالقرآن، لإشكاليات منهجية متعلقة بالموضوع، في الوقت الذي يركز العلم الحديث على المحسوسات لبناء المعرفة، ولا يعترف بكل شيء خارج عن نطاق الحس، إلا أن القرآن، وبما أنه كلام الخالق لكل شيء، فهو المبدع والمودع لأسرار هذا الكون العظيم، فليس هناك من شرعية في أن نجري المقارنة، وأن نلجأ إلى العلم الحديث، مسترشدين الطريق، إذ أن طريقة العلم الحديث باتجاه واحد، فلا تعترف بالغيبيات الخارجة عن حدود العقل المحدود أصلاً، ونضعه أمام الواسع والمحيط بكل شيء. كما أن البحث تطرق إلى المجرات والسدم ومواقعها ومواضعها بالنسبة لبعضها بعضاً وكيف وزعها الله بالفضاء الكوني، حيث وضع كلاً منها على نسبة من الآخر مع ما يمسك كلاً في مداره، وهذا هو السر من وراء القسم القرآني بمواقع النجوم في قوله تعالى ﴿قُلْ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾¹ ويتفق العلم مع ما جاء به القرآن الكريم من أن الكون يتوسع، وأن هناك قوة وطاقة تعمل على تمدده وتوسعه. بينما يشير المفسرون إلى القدرة التي فطر الله عليها الكون.

¹ سورة الواقعة، الآية [75 - 76].

المبحث الثالث: السماء سقف محفوظ

تعد السماء سقفا يحيط بالأرض، ولهذا السقف عدة فوائد: منها أنه يمنع الضرر عن الكرة الأرضية من الإشعاعات الكونية، أو الرجوم النازلة من السماء. التي تتعلق بجعل السماء سقفاً مرفوعاً؛ حيث يقول الله في كتابه الكريم ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾¹. كما أنني سأوضح مفهوم السقف في اللغة، ثم أقوم بعرض لآراء المفسرين في مفهوم السقف المحفوظ وهم القرطبي، وسيد قطب، والرازي. وفي الختام سيتم التطرق إلى أقوال العلماء منهم زغول النجار، والقاسم، وعدنان الشريف، وأبو العينين، ومن ثم نقوم بإجمال للمبحث.

المطلب الأول: السقف في اللغة:

السقفُ في اللغة: سَقَفَ - السَقْفُ للبيت، والجمع سُقُوفٌ وسُقُفٌ وقد سَقَفْتُ البيت أسَقْفُهُ سَقْفًا، والسَقْفُ: السماء² "السقفُ والسقفُ المرفوع: غطاء المنزل ونحوه، وهو أعلاه المقابل للأرض وكذا السقف السماء جمعها سقوف وأسقف والسقف المرفوع: هو السماء"³ هذا المفهوم لغة.

المطلب الثاني: السقف المحفوظ في القرآن الكريم والعلم

وفي السياق التفسيري للآية الكريمة قال الإمام القرطبي في ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾، أي محفوظاً من أن يقع ويسقط على الأرض ودليله قول الله تعالى

¹ سورة الأنبياء، الآية [32].

² الجوهرى، الصحاح في اللغة والعلوم، ص486. (م.س).

³ اللبائدي، معجم أسماء الأشياء، ص34. (م.س).

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ^١﴾^١ وقيل محفوظاً بالنجوم من الشياطين، والدليل قوله تعالى ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^٢ "وهي محفوظة ومرفوعة فلا تحتاج إلى عماد"^٣ بينما يرى صاحب الضلال في معرض تفسيره للآية ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ^٤﴾^٤ بقوله "وهو الذي خلق الكون وفق هذا النظام الذي اختاره له، وحكم فيه تلك النواميس التي تظل بها النجوم والكواكب مرفوعة متباعدة، لا تسقط ولا يصدم بعضها ببعض"^٤ أما النجار في تفسيره للآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا^٥﴾^٥ فيقول: إنها أكدت حقيقة رفع السماوات بغير عمد يراها الإنسان، وإبقاؤها سقفاً مرفوعاً وحفظها من الوقوع على الأرض ومن الزوال إلا بإذن الله تعالى.^٦ وكما أن ذلك السقف محفوظ من الخلل بالنظام الكوني الدقيق، ومحموظ من الاضطرابات، وحدوث الزلزل والخلل في التفاعلات الناتجة عن تركيب العناصر التي تتألف منها^٧، وفي سياق النظريات العلمية في موضوع السقف المحفوظ يرى زغلول النجار: "إن الآية تتضمن من معانٍ علمية عميقة، فالسما - وهي كل ما علنا - تبدأ بغلاف الأرض الهوائي، فالفضاء، فأجرام السماء المشع منها بذاته مثل النجوم فالمجموعات النجمية، والسم والمجرات، وغير المشع بذاته كالأقمار، والكواكب والمذنبات والنيازك والجزيئات

^١ سورة الحج، الآية [65].

^٢ سورة الحجر، الآية [17].

^٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص194. (م.س.).

^٤ قطب، في ظلال القرآن، ج17، م4، ص2441. (م.س.).

^٥ سورة الأنبياء، الآية [32].

^٦ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص343. (م.س.).

^٧ قطب، في ظلال القرآن، ج17، م4، ص2441. (م.س.).

والذرات والغبار الكوني وجميع هذه العوالم تحتفظ بكيانها، وتماسكها تحت تأثير عدة قوى أهمها الجاذبية، والقوى الناشئة عن الحركة. من هنا تجلت عظمة الخالق ورأفته بالعباد، بأن هياً للأرض غلافاً جويّاً يحتوي على العناصر الغازية التي لا غنى عنها للحياة، كما أنه يحمي سكان الأرض من الإشعاعات الكونية، وأسراب الشهب، والنيازك التي تهيم في الفضاء، والتي عندما تدنو من الأرض تحترق في جوها (العلوي) (احترافاً جزئياً أو كلياً) قبل أن تصل إلى السطح العلوي للأرض".¹ فيما يحاول القاسم من خلال نظريته العلمية إلى القول "إن السقف الذي هو الطبقة الهوائية محفوظ من أن تجتازه النوازل القاتلة النازلة من الفضاء الكوني. وإن الذي يقوم بالحفظ هما طبقتان: الطبقة (الأوزونية) (والمثأينة)".² ويضيف بقوله: وأما النوازل النازلة فهي نوعان، كما حددها محمود القاسم: إشعاعات كونية بعضها قاتل إن لم يكن كلها: فنقوم تلك الطبقتان (المثأينة والأوزونية) بعكس بعضها إلى الفضاء، وتمتصان بعضها الآخر فلا يصل إلى الأرض إلا الأشعة النافعة.³ أما عدنان الشريف فيضيف مفهوماً آخر للسقف المرفوع بقوله: "لقد كشف العلم في سنة 1958 بواسطة القمر الاصطناعي المستكشف (Explorer) أن الغلاف الجوي بأقسامه الخمسة، وطبقاته السبع محفوظ من الأشعة الكونية، والرياح الشمسية⁴ القاتلة

¹ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص569. (م.س).

² القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص100. (م.س).

³ القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص100. (م.س).

⁴ الرياح الشمسية: هي جسيمات ذرية مشحونة كهربائياً، تنطلق من الشمس في جميع الاتجاهات، بسرعة... تتألف في معظمها من الإلكترونات وبروتونات إضافة إلى غاز على شكل وهج، ينطلق من الشمس نتيجة للتفاعلات النشطة. أنظر: عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص225.

القائلة بواسطة "أحزمة فون ألن"¹ وإن هذه الأحزمة تشكل درعاً واقياً للأرض وغلافها الجوي، ووظيفة هذا الدرع المتأني من حقل الأرض المغناطيسي أن يحفظ الأرض وغلافها الجوي من الأشعة الكونية المتأتية من النجوم وخاصة من أشعة الرياح، فلولا الحقل المغناطيسي الأرضي الذي يحفظ الغلاف الجوي الأرضي، والأرض لفتكت أشعة جاما² وألفا والمجهولة بالأحياء الأرضية³. وأما القسم الثاني من النوازل فهي رجوم تنزل من السماء الكونية بسرعة هائلة، وهي مكونة من صخور مختلفة... فنتيجة لسرعتها الهائلة تجعل احتكاكها بالطبقات العليا من الهواء شديداً بحيث ترتفع حرارتها إلى الاحمرار، ثم الابيضاض ثم التبخر قبل أن تصل إلى الأرض بمسافات، وهي الشهب المعروفة. فهذه الطبقات العليا من الجو سقف محفوظ من أن تجتازه الرجوم⁴. وهناك من يؤكد أن الغلاف الجوي هو السقف المحفوظ، وفي ذلك يقول عبد العليم: "الغلاف الجوي يحفظ الأرض بعمل غازاته من الأضرار الناجمة عن تساقط بقايا الشهب⁵ والنيازك⁶، وأن المجال المغناطيسي

¹ أحزمة فون ألن: هما حزامان من الجسيمات المشحونة بطاقة عالية يلفان الأرض لفاً، سميا بهذه التسمية نسبة إلى مكتشفهما العالم الأمريكي جيمس فان ألن، 1958. انظر: مؤمن، عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص170. (م.س).

² أشعة جاما: هي فوتونات تحمل كميات كبيرة من الطاقة، وذات طول موجي قصير جداً، أقصر من الأشعة السينية وتتطلق أشعة جاما من ذرات المواد المشعة أثناء إنحلالها. انظر: مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص56. (م.س).

³ الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 1993م، ص70.

⁴ القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص100. (م.س)، وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: من علوم الأرض القرآنية.

⁵ الشهب: عبارة عن قطع من الصخر أو الحديد أو النيكل تأتي من الفضاء الكوني متجهة نحو الأرض بسرعة تتراوح من 11-50 كم/ث، وهذه سرعة تتسبب في احتراق الشهب. انظر: كعورة، الأمين محمد أحمد، مبادئ الكونيات، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط3، 1979م، ص68. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: مبادئ الكونيات.

⁶ النيازك: جمع نيزك وهو الحجر الجوي وهي الصخور ذات الكتلة الكبيرة المتساقطة على الأرض دون أن تحترق. انظر: كعورة، مبادئ الكونيات، ص68-69. (م.س).

للأرض هو القوة التي سخرها الخالق عز وجل لكي يحفظ السقف (الغلاف الجوي¹ للأرض) من التبدد والتشتت في الفضاء الكوني بالانفلات² ويضيف في موضع آخر من كتاب آخر: "وبالطبع ليس المقصود هو عوالم السماوات العلى... ولكن المقصود السماء الدنيا التي تحيط بالأرض، وزينها الله بمصابيح الشهب الراجمة للشياطين... وهي التي يغطس الله ليلها ويخرج ضحاها إنها السماء الدنيا.. السقف المحفوظ والغلاف الجوي الذي خلقه الله نقياً صالحاً وتسلمه الإنسان فأفسده"³. ونلاحظ بأن هناك من فسر السقف المحفوظ على أنه الغلاف الجوي المحيط بالأرض وهو الطبقة الهوائية بمجموعها، وما بين الطبقتين اللتين تقومان بالحفظ تشكلان السقف المحفوظ، كما أني أجد أن هذا التعريف سماء بالمعنى اللغوي، وهناك تعريف آخر فلكي هو ما بينه أبو العينين: "تعلم أن كل عنصر من عناصر الكون يتحرك ويسبح وفق معايير ربانية، وهذه المعايير؛ هي الأفلاك التي تسبح فيها مجموعات المجرات والكوكبات والنجوم والكواكب والأقمار، فكل ذلك يسبح طوعاً وتسخييراً بأمر من الله تعالى، فهذه المجموعات النجمية في الفضاء السماوي اللامتتهي لها مداراتها المتباعدة عن بعضها البعض بآلاف وملايين السنين الضوئية. تلك المدارات أمر رباني وتسخيرها حفظاً من احتكاك الأجرام بعضها

¹ الغلاف الجوي: غطاء غازي يحيط بعض الأجرام والغلاف الجوي للأرض هو طبقات الغاز المحيطة بكوكب الأرض. انظر: مجموعة من الباحثين الإيطاليين، قراءة في سطوح السماء، ترجمة مالك مالك، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2005م، ص278. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: قراءة في سطوح السماء.

² خضر، عبد العليم، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، الدار السعودية جدة - 1984م، ص143. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن.

³ خضر، عبد العليم عبد الرحمن، ثقب الأوزون والخطر المناخي القادم، الدار السعودية، جدة، ط1، 1424هـ/ 2004م، ص187. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: ثقب الأوزون والخطر المناخي القادم.

بالبعض الآخر، أو انفجارها انفجاراً كلياً ومنعها من السقوط فوق سطح الأرض؛

لأنه الكوكب الذي جعله الله سبحانه وتعالى سكناً للإنسان واستخلفه فيه".¹

من خلال عرض آراء المفسرين وأقوال العلماء في ماهية السقف المحفوظ

يتضح أن رب العالمين قد جعل السماء سقفاً محفوظاً من أن يقع ويسقط على

الأرض، والسقف هو الطبقة الهوائية التي تمنع اجتياز النوازل القاتلة النازلة من

الفضاء الكوني. إن الذي يقوم بالحفظ هما الطبقة (الأوزونية) و(المتأينة).² وقد تبين

أن هناك نوعين من النوازل كما حددها محمود القاسم: إشعاعات كونية، أو رجوم

تنزل من السماء الكونية بسرعة هائلة، وهي مكونة من صخور مختلفة.

وأن هناك تشابهاً ما بين العلم والقرآن في تفسير مفهوم السقف المحفوظ، حيث

بين العلماء أن الغلاف الجوي المحيط بالأرض يمثل سقفاً محفوظاً، وحافظاً للأرض

من إشعاعات الكواكب والشهب والنيازك، التي من شأنها أن تفتك بحياة الإنسان،

وبأهل الأرض جميعاً، ولكن جلت عظمته بأن جعل هذا الغلاف سقفاً محفوظاً.

¹ أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ج1، ص76. (م.س).

² القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص100. (م.س).

المطلب الأول: مفهوم العمدة في اللغة:

يقول الفراهيدي في كلمة عمد: عَمَدْتُ فلاناً أَعْمَدُهُ عَمَدًا، أي قصدته وتعمدته مثله والعَمْدُ (نقبض) الخطأ، والعمدان: تعمّد الشيء بعماد يمسكه ويعتمد عليه. والعُمْدُ: جمع عماد، والأعمدة جمع العمود من خشب وحديد.¹ " (وَعَمَدْتُ) الشيء - أَمَمْتُهُ وَأَعْمَدْتُهُ - أي جعلتُ تحته عَمَدًا، وَعَمَدْتُ الحائِطَ أَعْمَدَهُ عَمَدًا - دَعَمْتُهُ"² وفي تاج العروس: "عَمَدَ: العَمُودُ وهو الخَشَبَةُ القائِمةُ في وسط الخِباءِ وكل خِباءٍ مُعَمَّدٌ وكل خِباءٍ كان طويلاً في الأرض يُضْرَبُ على أَعْمَدَةٍ كثيرةٍ" والعَمَدُ والعُمْدُ جمعاً جَمَعانٍ للعَمُودِ، والعِمَادُ ما يُسْتَدُّ به والجَمَعُ عَمَدٌ والعِمَادُ ما يُسْتَدُّ به"³

"وَعَمَدَهُ يَعْمِدُهُ عَمَدًا: دَعَمَهُ وَأَقَامَهُ بِعِمَادٍ والعِمَادُ ما أُقِيمَ به كَأَعْمَدَةٍ، والعَمُودُ الذي تَحَامَلَ الثَّقَلُ عليه من فوق كَالسَّقْفِ يُعْمَدُ بِالْأَسَاطِينِ المنصوبة"⁴. وقد وردت كلمة العمدة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾⁵

ويقول تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾⁶ ويقول الله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٥﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٧﴾. وعليه

¹ الفراهيدي، لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (100-175هـ) كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال، ج2، ص57. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: كتاب العين.
² ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، ج1، ص508-509. (م.س).
³ الزبيدي، محب الدين أبو فيض، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت- لبنان 1414هـ/ 1994م، (د.ط)، م5، ص123. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تاج العروس من جواهر القاموس.

⁴ الزبيدي، تاج العروس، م5، ص124-125. (م.س).

⁵ سورة الرعد، الآية [2].

⁶ سورة لقمان، الآية [10].

⁷ سورة الهمزة، الآية [6-9].

نرى بأن معنى العمد حسب آيات القرآن الكريم وقول أهل اللغة يتمحور حول العمد،
السند، وهي من العمود الذي يتوسط الخيمة، وبمعنى العماد.

المطلب الثاني: السقف المرفوع بغير عمد في القرآن الكريم والعلم

يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: وقوله عز وجل:
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ يقول المفسرون في شأن هذه الآية ولا سيما،
الفراء: "بغير عمد ترونها: "جاء فيه قولان: يقول: خلقها مرفوعة بلا عمد، ترونها:
لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر. ويقال: خلقها بعمد لا ترونها، لا ترون تلك العمَد" ¹
أي أن هناك عمداً لكنها غير مرئية. بينما ينحو الزمخشري إلى سياق آخر بالتفسير
بقوله: "كلام مستأنف استشهدا برويتهم لها كذلك وقيل هي (صفة للعمد) ويعضده
قراءة "أبي ترونه" ² أما الرازي فأوضح "أن وجوه تفسير قوله تعالى (ترونها) الأول:
إنه كلام مستأنف والمعنى: رفع السماوات بغير عمد، ثم قال (ترونها) أي وأنتم
ترونها أي مرفوعة بلا عماد. والثاني: قال الحسن في تقرير الآية تقديم وتأخير
تقديره: رفع السماوات ترونها بغير عمد" والثالث: أن قوله (ترونها) صفة للعمد،
والمعنى: بغير عمد مرئية أي للسماوات عمد، ولكننا لا نراها قالوا: ولها عمد على
جبل قاف". ويرى أن هذا التأويل سقوط؛ لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة
على وجود الإله القادر. ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة أي أنه تعالى لما
ذكر بغير عمد ترونها" ذلك ليكون حجة على وجود الإله القادر؛ فلو كانت السماوات

¹ الفراء، أبو زكريا، ت(207هـ) معاني القرآن، تحقيق ومراجعة محمد علي النجار، ج2، ص57.

² الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، ت(538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في
وجوه التأويل، دار الفكر، ج2، ص348-349. (د.ت) (د.ط).

مستقرة على جبل (قاف) فأى دلالة لثبوتها على وجود الإله¹ واستتبع قائلًا: "وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل، وهو أن العماد ما يعتمد عليه، وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى، فنتج أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها؛ أي لها عمد في الحقيقة، إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى، وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي، وأنهم لا يرون ذلك التدبير، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك"² ويفسر ابن كثير في سياق تفسيره للآية "بغير عمد ترونها" موجودة هي ولكن لا ترى وذلك بقوله: "بغير عمد ترونها" أن لها عمداً ولكن لا ترى. وقال إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة؛ يعني بلا عمد، وكذا روي عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾³.

فعلى هذا يكون قوله: "ترونها": تأكيداً لنفي ذلك؛ أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة⁴.

الجاذبية هي التي لا ترى في معنى تفسير "عمد لاترونها" في هذا المنحى التفسيري ما يشير إليه محمد عبده في تفسيره قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾⁵. ما نصه: "السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ السماء هذا الكون الذي فوقك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجري في مجاريها، وتتحرك في مداراتها هذا هو السماء، وقد بناه الله؛ أي رفعه وجعل كل كوكب من

¹ الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج19، ص5. (م.س).

² الرازي، التفسير الكبير، ج19، ص5. (م.س).

³ سورة الحج، الآية [65].

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص499. (م.س).

⁵ سورة الشمس، الآية [5].

الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به"¹ ويقول صاحب الظلال: "هذه اللمسة الأولى في مجالي الكون الهائلة، وهي بذاتها اللمسة الأولى للوجدان الإنساني وهو يقف أمام هذا المشهد الهائل يتأمله ويدرك أنه ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد، أو حتى بعمد إلا الله تعالى"² واستتبع قائلاً: "والسماوات أيّاً كان مدلولها، وأيّاً كان ما يدركه الناس من لفظها في شتى العصور - معروضة على أنظار هائلة - ولا شك حين يخلو الناس إلى تأملها لحظة، وهي هكذا لا تستند إلى شيء مرفوعة (بغير عمد) مكشوفة "ترونها" ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد - أو حتى بعمد إلا الله..."³ أما عند ابن كثير فلها عمد غير مرئي، وهو إمساكها بقدرته تعالى، واستشهد بالآية الكريمة:

﴿وَمُسِكُ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁴.

ومن اللطيف البديع أن المفسر محمد عبده قد فسر بناء السماء طبق قانون الجاذبية⁵ فكان ذلك منه فتحاً في التفسير وفتوى علمية تبيح تفسير الآيات الكونية في القرآن طبق ما ثبت أو يثبت على أيدي علماء الفطرة من الحقائق الخاصة

¹ محمد عبده، تفسير القرآن الكريم [جزء عم]، ص95، (م.س).

² www.arab-rationalists.com وانظر: عمارة، محمد، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج5، ص434.

³ سيد قطب، في ظلال القرآن، م4، ج13، ص2044. (م.س).

⁴ سورة الحج، الآية [65].

⁵ قانون الجاذبية: هو قانون علمي وضعه العالم الفيزيائي الرياضي اسحق نيوتن، وينص القانون على أن قوة الجذب بين جسمين تتناسب تناسباً طردياً مع حاصل ضرب كتلتيهما وتناسباً عكسياً مع مربع المسافة بين مركزيهما. انظر: مؤمن الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص361. (م.س). وانظر: كعورة الأمين محمد، المجموعة الشمسية، ومجال الجاذبية الكونية، القاهرة، المكتب المصري الحديث، دت، ص15 وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: المجموعة الشمسية.

والسنن العامة.¹ إن إعادة الضمير في كلمة (ترونها) إلى العمدة أي بغير عمد مرئية فهذا يقع من الإعجاز الذي سيهدي الله تعالى إليه عباده بعد نحو ألف وخمسين عاماً من اختتام القرآن.

أما أرناؤوط فرأيه أن: "الأرض تمسك الغلاف الهوائي بقوة وبقبضة جاذبية، ولا تتركه يتسرب أو ينطلق إلى خضم الفضاء، حيث تتعادل القوتان؛ قوة انطلاق الهواء إلى الفضاء الكوني... وقوة إمساك الأرض للهواء إلى أسفل بفعل الجاذبية الأرضية.. فيظل الغلاف الهوائي أو سقف الأرض مرفوعاً من غير عمد نراها".² وفيما يخص سقف الأرض فيراه النابلسي أنه مرفوع بغير عمد بقوة الجاذبية، وأجزاء السماء تتماسك على البعد بالجاذبية العامة من غير تماس وتكتل وتبعثر، وهذا يعود إلى فضل السباحة الكونية التي ينشأ عنها قوى نابذة هي التي تكافئ القوى الجاذبية. ومن هذه الحركة الذاتية للأجرام السماوية ينشأ ما يسمى: التوازن الحركي.³ ويؤكد النجار أن عمد الأجرام وسندها كما يشير العلماء⁴ هي قوى الجذب فيما بين المجرات والكواكب والكتل. يقول الغمراوي: "وأعجب معي من إعجاز الأسلوب والمعنى معاً في قوله تعالى "بغير عمد ترونها" في كل من خلق السماء ورفعها فلو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيًا مطلقاً للعمد، مرئية وغير مرئية، والنفي المطلق يخالف الواقع الذي علم الله أنه سيهدي إليه عباده بعد نحو ألف

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص367. (م.س).

² أرناؤوط، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص193. (م.س).

³ النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الأفاق، دار المكتبي، ط3، 1428هـ/2007م، ص55. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الأفاق. وانظر: النجار، السماء في القرآن، ص350. (م.س).

⁴ النجار، السماء في القرآن، ص349. (م.س).

وخمسين عاماً من اختتام القرآن، فكان من الإعجاز المزدوج أن يقيد الله نفي العمدة في الخلق والرفع بقوله (ترونها) والضمير المنصوب في ترونها يرجع أولاً إلى أقرب مذكور وهو (عمد) فيكون المعنى بغير عمد مرئية، أي بعمد من شأنها وفطرتها ألا ترى، والفعل المضارع في اللغة يشمل الحال والاستقبال أو هو حال مستمر؛ لأن القرآن مخاطب به الناس في كل عصر، وإذا أعيد الضمير إلى السماء كان المعنى أن السماء ترونها مخلوقة مرفوعة بغير عمد، وتكون العمدة هي ما يعهده الناس في أبنية الأرض".¹ إن نفي العمدة إنما يثبت وجهاً آخر في القدرة والعظمة والإحكام، وبيان الإعجاز، ويأتي اليوم العلماء محاولين إيجاد الكيفية التي تبقى السماء مرفوعة بغير عمد، فنراهم يشيرون إليها بالجاببية "القوة الخفية غير المرئية، فيما يحاول الغمراوي أن يفك الالتباس والإشكال مجتهداً بقوله: "ونفيها بهذا المعنى عن السماء المرفوعة - أيضاً - أمر عجيب لا يقدر عليه إلا الله وكلا الوجهين مفهوم من التعبير القرآني طبق للغة، وإن كان الأولى في اللغة هو الوجه الأول الذي يحوي الإعجاز العلمي. وإذن، فالوجهان كلاهما مرادان بالتعبير القرآني الكريم إذ لا مانع من أحدهما"² حيث يعتبر النجار أن الكون يبدو كنسيج شديد التلاحم والترابط، ورباطه هذه القوى العظمى التي تنتشر في كافة أرجائه وهي (الجاببية والقوة غير المرئية) التي تمثل النسيج الحقيقي الذي يربط كافة أجزاء الكون كما هو الحال بين الأرض والسماء، وهي القوة الرافعة للسموات بغير عمد مرئية"³ في سياق وصف النسيج الكوني يقول عبد الدايم كحيل: "والنسيج الكوني المحكم عبارة

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص366. (م.س).

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص367. (م.س).

³ النجار، السماء في القرآن، ص350-351. (م.س).

عن بناء، ولبنات هذا البناء هي المجرات؛ فكل خيط من خيوط هذا النسيج تتوضع عليه مئات المجرات وتمتد لملايين السنين الضوئية، وجميعها تقوم على قوى الجاذبية التي خلقها الله تعالى لضمان تماسك الكون وعدم انهياره¹ وبقينا، فقد كشف العلم عن تلك الكتل الضخمة من المجرات التي ترتبط وتتحرك بانتظام وكأنها مجموعة واحدة، وقد تم رفعها وتوضعها في أماكنها المخصصة لها دون أعمدة، بل بمجموعة قوانين فيزيائية خلقها الله تعالى وسخرها لاستمرار الكون؛ فقوى الجاذبية التي لا نراها هي الأعمدة؛ فلو لاها لانهار الكون ولما كان بهذا النظام². ويقول حسين عمري: "ويرى الفلكيون أن النجوم والمجرات والعناقيد المحمولة بجاذبية مادة مظلمة، هي السماوات المقصودة بالآية؛ فعلماء الكون يفترضون وجود كل من المادة المظلمة والطاقة المظلمة؛ إذ إن النجوم تجتمع داخل المجرة الواحدة، كما تجتمع المجرات داخل العنقود المجري بفعل جذب المادة المظلمة غير المرئية، وعلى اعتبار أن السماء تأتي بمعنى الفلك أو المجرات، فإنه يكون لها عمد غير مرئية، وهذا صحيح في اللغة في محل خفض نعت لكلمة عمد؛ أي رفعها بغير عمد مرئية، فهنا أثبت العمد إلا أنها غير مرئية"³

إن افتراض العلماء لوجود المادة المظلمة هو إعطاء تفسير حول تجمع النجوم داخل المجرة واجتماع المجرات داخل عنقود مجري. والترابط والتماسك فيما بين المجرات والكواكب والنجوم. ويقول الغمراوي: "وقد بقي من صور التعبير صورة،

¹ كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص 89. (م.س).

² كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص 89. (م.س).

³ عمري، حسين، خلق السماوات والأرض في ستة أيام. (م.س). وانظر: عمري، حسين، الكون ومقارنة بدايته مع نهايته، بحث رقم (35/4) جامعة مؤتة - الكرك - الأردن. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكون ومقارنة بدايته مع نهايته.

هي أن يقال (بعمد لا ترونها) بدلاً من (بغير عمد ترونها) وقد تجنبها القرآن الكريم لحكمة بالغة؛ فلو أنها جاءت فيه "بعمد لا ترونها" لاتجهت الأفكار - بادئ ذي بدء إلى إثبات عمد في السماء أو للسماء كالتي يعرفونها فيما يعلمون من بنيان، ولأثبت العلم بطلان ذلك وجل وعز وجه الله أن يلم خطأ ما بكتابه".¹

ومما تم عرضه من أقوال المفسرين يتضح أن للسماء عمداً، والعمد هي قدرة الله تعالى. يتضح من أقوال المفسرين أن العمد هي قدرة الله تعالى، وقد ظهرت بمعنى القدرة وعمدها إمساكها بقدرته تعالى، وأن للسماء عمداً لا ترى، والعمد هو قدرة الله وحفظه وتدبيره أما عند ابن كثير، فلها عمد غير مرئي، وهو إمساكها بقدرته تعالى.

ونستخلص مما ذكر من أقوال العلماء أن النسيج الكوني المتماسك بفعل هو عمد السماء، بل إن أقرب تفسير للعمد في القرآن الكريم هي كلمة (حبك) فهي نوع من التركيب الجاذبي؛ إذ إن عدة أمور مجتمعة تؤدي إلى حصول التوازن والنظام في حركة الأجرام وتباعدها ورفعها؛ فالحبك أقرب تفسير للعمد ولكن العلماء يتنوا كيف يتم الإمساك بالسموات بغير عمد، فقالوا بالجاذبية التي لا نراها، بحيث تمسك كل أجزاء السماوات والأرض.

وعليه، نرى بأن هناك تطابقاً بين النظريات العلمية وبين القرآن الكريم في تعريف مفهوم العمد (بغير عمد ترونها) أي بقوة لانراها، وفي أقوال العلماء تترابط وتتماسك بالجاذبية التي لا نراها. في محاولة من العلماء إعمال العقل في فهم الظواهر الكونية، بالبحث عن الأسباب والمسببات والكيفية التي تجعل من هذا الكون مترابطاً ومتماسكاً ويسير وفق ناموس إلهي خفي وعظيم، فيه من الأسرار ما يجعل

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص368. (م.س).

من العقل البشري في حيرة من صورة الإبداع والعظمة والإتقان التي تتجلى في عظمة الصانع وصنعتة. وكلما انكشف للعلماء عن سر من هذه الأسرار وقفوا مشدوهين لتلك العظمة، وهؤلاء الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾¹، ولأن العلماء حاولوا البحث عن الأسباب والعلاقات والقوانين التي تحكم هذا الكون، متسلحين بالأسباب المادية والعقلية، التي يعترضها القصور في أحيان كثيرة لفهم هذه القوانين والنواميس التي تحكم حركة هذا الكون، تراهم يقولون في أمر السماء بغير عمد "بأن السماوات وما فيهن من تماسك وترابط، إنما يعود ذلك إلى قوة الجاذبية، كتفسير للآية "بغير عمد ترونها". وبهذا يقر العلماء بأن السماء وما فيها من كواكب وأجرام متماسكة ومترابطة، إنما هو بفعل الجاذبية.

¹ سورة فاطر، الآية [28].

المبحث الخامس: مفهوم السموات السبع¹

العدد في القرآن الكريم، سر من أسرار الله، ولا يعلم المراد به على وجه الحقيقة إلا الله، وهناك أعداد ذكرت في آيات القرآن الكريم، منها العدد تسعة عشر، وثلاثون، وأربعون، وخمسون، وسبعة، وتسعة، اثنا عشر، وغيرها من الأعداد، ولكن العدد سبعة، كما في قوله تعالى ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾²

المطلب الأول: السماوات السبع في القرآن الكريم

سنعرض لمفهوم العدد سبعة في مجموعة من الآيات الكريمة، وسنبين دلالة هذا الرقم ومعناه في هذه السياقات المختلفة، كما ويلاحظ أن القرآن الكريم أفرد لفظ السماء أحياناً وذكره بالجمع وربطه بالعدد سبع أحياناً أخرى³.

والسما شامله لكل ما سما وارتفع ومنه استقى علماء اللغة دلالة السماء على الغلاف الجوي والسحب التي تجود بالمطر.

¹ السماوات السبع: تعبير إلهي ورد في القرآن الكريم للدلالة على هذه السماء المرئية، وما يليها من سماوات لا نعرف مداها وعمقها، وقد وردت السموات السبع بألفاظ صريحة وقد أورد القرآن الكريم وصفاً لها، كما أن النصوص تدل على وجود الأحياء فيها وهو غيب واسع لا يعلمه إلا الله عز وجل. انظر: مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص263. وانظر: بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، ص373، (م.س). أما علمياً: فهي وحدات أو أجزاء متعددة من الفضاء أو الكون أو النظام الشمسي عبر عنه القرآن الكريم بالعدد سبعة يتلقى من العلم الحديث تأكيداً له وذلك بفضل ملاحظات علماء الفلك عن نظم المجرات وعددها العظيم. انظر: حسيني، العلوم الفلكية في القرآن الكريم، ص53. (م.س). وانظر: بوكاي موريس، القرآن والتوراة والإنجيل، دراسة في ضوء العلم الحديث ترجمة عادل يوسف، الأهلية، عمان- الأردن، ط1، 2009م، ص199. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القرآن والتوراة والإنجيل.

² سورة الإسراء، الآية [44].

³ جاءت لفظة (السماء بالإفراد والجمع في ثلاثمائة وعشرة (310) مواضع في القرآن الكريم منها مائة وعشرون (120) موضعاً بصيغة الإفراد، ومائة وتسع وثمانون (189) بصيغة الجمع وتشير في غالبيتها إلى السماوات السبع. انظر: النجار، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر، ط2، 2006، ص149 وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: قضية الإعجاز العلمي.

ولكن ذكر السماوات السبع في القرآن الكريم جعل الذهن ينصرف إلى أن السماء جزء من السماوات السبع مع أن الحقيقة غير ذلك فمدلول السماء أوسع وأعم¹ من مدلول السماوات إذ أن لفظ السماوات محصور في سبع كما ورد في الآيات القرآنية وهذه السماوات السبع التي لم يصل العلماء إلى حقيقتها وماهيتها هي جزء من السماء العامة التي تحوي كل ما هو كائن ومكون.

فعدد السماوات سبع بالنص القرآني وهو عدد قليل لذلك جُمِعَ جَمَعِ السلامة بدلاً من جمع التكسير؛ لأن جمع التكسير يأخذ أعداداً كثيرة حسب ما أورده صاحب كتاب نتائج الفكر في النحو إذ قال "على أننا لا نسلّم أن السماوات جمع لسماء وإنما هو جمع لسماوة، وسماوة كل شيء أعلاه، وأما جمع (سماء) على لفظها (فأسْمِيَة) في التكسير، وسماءات في المسلم".²

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾³

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾⁴

وقال أيضاً: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾⁵

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾⁶

¹ المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ص272. (م.س). وانظر: السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان - الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص42-43. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: التعبير القرآني.

² السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص160. (م.س).

³ سورة يونس، الآية [31].

⁴ سورة إبراهيم، الآية [38].

⁵ سورة الإسراء، الآية [44].

⁶ سورة سبأ، الآية [24].

لقد ذكر القرآن الكريم أن عدد السماوات يبلغ سبعاً وذلك في عدة مواطن هي:

قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾¹

وقوله عز وجل: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾²

وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾³

وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁴

وقوله عز وجل: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾⁵

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ﴾⁶

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁷

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁸

وقوله عز وجل: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾⁹

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أن كلمة "السماوات" بالجمع جاءت نحو 189¹⁰ مرة؛ ما يؤكد أن السماوات سبع فهي جمع وليست واحدة، وقد ظهر هذا في كلام الكثير من المفسرين يقول الفراء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

¹ سورة البقرة، الآية [29].

² سورة الإسراء، الآية [44].

³ سورة المؤمنون، الآية [17].

⁴ سورة المؤمنون، الآية [86].

⁵ سورة فصلت، الآية [12].

⁶ سورة الطلاق، الآية [12].

⁷ سورة الملك، الآية [3].

⁸ سورة نوح، الآية [15].

⁹ سورة النبأ، الآية [12].

¹⁰ النجار، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، ص 149.

فَسَوَّاهُنَّ¹: "فإنَّ السماءَ في معنى جمع، فقال "فسَوَّاهُنَّ" للمعنى المعروف أنَّهنَّ سبعُ سماوات، وكذلك الأرض يقع عليها - وهي واحدة - الجمع، ويقع عليهما التوحيد وهما مجموعتان قال الله عز وجل: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾² ثم قال: "وما بينهما" ولم يقل بينهما، فهذا دليلٌ على ما قلتُ لك.³ وقد بين الإمام الطبري أن السماء في هذه الآية جاءت على تقدير الواحد ولكن يقصد بها الجمع، على اعتبار أن السماء جمع واحدها سماوة بدليل وجود الصيغة الجمعية في قوله تعالى "فسواهن" وذكر أن "الله جل ثناؤه استوى إلى السماء وهي دخان قبل أن يسويها سبع سماوات ثم سواها سبعاً، بعد استوائه إليها".⁴ وقد بين الرازي أن الضمير في "فسواهن" مبهم والسبع سماوات تفسر ذلك، وفائدة ذلك الإبهام أنه إذا بين هذا الإبهام كان أفخم وأعظم، وأكثر تشوقاً، كما أكد أن الضمير عائداً على السماء التي هي في معنى الجنس.⁵ وقد لاحظ الرازي أن "السماوات" في أكثر الأمر جاءت على صيغة الجمع بخلاف الأرض إذ استخدم لفظ الواحد "الأرض" وخلص إلى القول "فإنه لا بد من السماوات الكثيرة ليحصل بسببها الاتصالات المختلفة للكواكب وتغير مطارح الشعاعات، وأما الأرض فقابلية فكانت الأرض الواحدة كافية.⁶ ونبه أبو السعود إلى أن تأخير السبع سماوات عن ذكر خلق ما في الأرض - مع العلم أنه أقوى منه في الدلالة يعود إلى

¹ سورة البقرة، الآية [29].

² سورة الصافات، الآية [5].

³ الفراء، معاني القرآن، ج1، ص25، د.ط، د.م، دار السرور، (م.س). وانظر: الأخفش، سعيد بن مسعدة البخاري المجاشعي ت210 هـ معاني القرآن، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد عالم الكتب، بيروت- لبنان ط1424 هـ / 2003م، ص184-185 وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: معاني القرآن.

⁴ الطبري، جامع البيان عن تأويل، ص278-279. (م.س).

⁵ الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، م1، ص171، (م.س).

⁶ الرازي، تفسير الفخر الرازي، م1، ص118. (م.س).

المنافع الكثيرة والمنوطة بالأرض، ولتعلق مصالح العباد بها بشكلٍ أظهر.¹ كما استشهد مقاتل بن سليمان على أن خلق السموات السبعة دليل على عظيم خلق الله وقدرته وأن خلقه أعظم من خلق الإنسان،² وهذا ينطبق مع قوله تعالى ﴿خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾³. وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالسموات سماءً واحدة وأن السبعة المذكورة هي من المجاز فقالوا بأن السبعة والسبعين أيضاً تدل على تضاعيف القوة والشدة، وقد دأب العرب على استخدامها في هذا الهدف.⁴ وهذا التأويل يتفق مع المراد اللغوي الذي يعتبر أن "السماء" جائز أن يراد به الواحد فقط، وهذا بخلاف الرأي الأول الذي يعتبر السماء جمعاً كالسموات معتبرين واحدها سماوة أو سماءة.⁵ تأتي السموات والأرض مقترنة في عشرات الآيات دون التحديد بالعدد سبع وهي غالباً ما تعني الكون أجمع، أي تعني على وجه الخصوص السموات السبع والأرضين السبع.⁶

ومن هذه الآيات: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁷

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁸

¹ أبو السعود، تفسير أبو السعود أو ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص106. (م.س).

² ابن سليمان، مقاتل بن بشر، (150هـ)، تفسير مقاتل، (تحقيق أحمد فريد)، ج1، ص39، ط1. (م.س).

³ سورة غافر، الآية 57.

⁴ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج1، ص282، ط1، (م.س).

⁵ لمزيد من الإطلاع انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج14، ص398، ط1، بيروت: دار صادر، (1410هـ - 1990م).

⁶ الرياحي، باسل، نجم الشعري، دار البيارق، بيروت- لبنان، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1418هـ / 1998م، ص178-184. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: نجم الشعري.

⁷ سورة النور، الآية [35].

⁸ سورة الأنبياء، الآية [30].

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹

وقد تحدد بسبع سماوات، ومن هذه الآيات يُستنتج وجود سبع من الأرضين (الكواكب الأرضية) فلكل أرض من الأرضين السبع سماء، وهو الغلاف الجوي لها وما يدرك من خلاله إلى أبعد حدود الكون. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.² والآية الكريمة التالية: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٦﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾³.

يظهر من أقوال المفسرين أن السماء ليست واحدة بل هي متعددة والدليل على هذا التعدد هو (لفظة) سماوات إلا أن العدد (مقصود).

وأما السبع سماوات عند المفسرين ومنهم الرازي وابن عاشور فهي المجموعة الشمسية، والكواكب السيارة، لتأمل ما يقوله الرازي وابن عاشور.

يقول الرازي: "إعلم أن القرآن هاهنا قد دل على وجود سبع سماوات ونقل عن أصحاب الهيئة أن أقربها إلينا كرة القمر وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة

¹ سورة يونس، الآية [101].

² سورة الطلاق، الآية [12].

³ سورة فصلت، الآية [10-13].

المريخ، ثم كرة المشتري، ثم كرة زحل"،¹ وقال ابن عاشور في تفسيره الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾²

"قد عد الله تعالى في هذه الآية السماوات سبعاً وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية؛ أن المراد من السماوات الأجرام العلوية العظيمة، وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي"³.

يظهر من قول الرازي وابن عاشور؛ أن العدد غير مقصود لذاته فلا سبيل للعقول البشرية إدراك المقصود من هذا العدد إلا أن التخصيص على وجود سبع سماوات يحتم علينا الإيمان بوجودها إلا أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فالرازي جعل لكل مكون من مكونات المجموعة الشمسية سماء.

والعدد لا مفهوم له فلا تتعين دلالاته على كمية محدودة فإن كانت السماوات أكثر من سبع فالسبع منها ولكن لا يجوز أن تكون أقل،⁴ كما أن استخدام القرآن الكريم للعدد سبع هو تعبير معنوي عن شيء مادي قابل للفهم في حدود مقدرة العقل البشري فالتحديد خارج عن نطاق مقدرتنا وهذا ما أشار إليه الفندي في قوله: "تحديد للنوع لا الحكم"⁵

من العرض السابق لمفهوم السموات السبع، في القرآن، ومن خلال أقوال المفسرين نجدهم يذكرون أنها الكواكب السيارة السبع، وآخرون يذكرون أن العدد مجازي، وآخرون يقولون بأن علينا الإيمان بما جاء به القرآن في أنهن سبع سماوات. والأخذ بظاهر المعنى وليس بتأويله.

¹ الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص171. (م.س).

² سورة البقرة، الآية [29].

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص385. (م.س).

⁴ أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ص70. (م.س).

⁵ الفندي، الله والكون، ص243. (م.س).

إلا أنه ظهر بعض التعليقات على أن العدد سبع ليس ذا مفهوم محدد فمنها قول الأستاذ الغمراوي والدكتور خليل ابراهيم في كتابه ظاهرة التفسير العلمي للقرآن، والدكتور خالد علوان أثناء مناقشة الرسالة.

لنتأمل أقوالهم.

يقول الغمراوي: "ليس أصرح ولا أحكم من أن يصف الحق سبحانه وتعالى السماوات التي خلقها بأنها سبع، ويكرر ذلك في كتابه مرات عدة وكان مقتضى هذا أن يستمسكوا بالنص ولو خالف العدد عند اليونان، لكنهم لم يفعلوا بل تجرؤوا وقالوا أن العدد ليس له مفهوم، قاله القدامى وقاله المحدثون، لأنهم لم يجدوا توجيهاً ولا تفسيراً لهذا العدد الذي وصف الله به السماوات مراراً.

ويضيف: "والعلم لا يعرف إلى الآن ما هي السماوات السبع، ومن قبل لم يعرف أن السماء فوق هواء الأرض حالكة، والشمس طالعة بالنهار إلا بعد قرون تزيد على العشرة من نزول الآية القرآنية الكريمة التي تنص على هذه الحقيقة العجيبة، وكان الواجب إذا لم يجدوا في العلم تفسيراً لعدد السماوات أن يلتمسوا لعدد السبع تفسيراً في القرآن كتاب الله فهذا من تفسير القرآن بالقرآن، ولو أنهم اتجهوا هذا الاتجاه لكان من المؤكد أن يصلوا إلى تفسير صحيح، فالنفسير غير بعيد ممن يلتمسه مستعيناً باللغة من ناحية وبالآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع من ناحية أخرى".¹

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 296.

أما اللغة فتقول إن السماء ما علا الأرض، وعلم البديع يقول إن بين السماء والأرض
المقابلة حتى عدوا هذه المقابلة من بديعيات قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ
أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾¹.

فإذا ضمنا إلى هذا قوله تعالى في آخر سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ
الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عِلْمًا﴾².

فالمقابلة تامة اللغة بين كلمتي أرض وسماء، حين لم يكن إلا أرض واحدة وسماء واحدة
كان في ذلك إشارة معينة إلى أن السبع سماوات المذكورات في الآية: قال الله تعالى: ﴿قُلْ
أَنِتُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾³ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
وَهُىٰ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي
يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

يقتضي وجودهن وجود سبع أرضين يقمن بإزائهن: أرض تقابل كل سماء ولما كانت
إحداهن موجودة تامة الخلق بالفعل حين صدر الأمر، كان المخاطب المعني في الأمر "إتنيا"
هو الأرضين الست الأخرى المقابلة للسموات الست الجديدة، خلقهن سبحانه كلهن من السماء

¹ سورة هود، الآية [44].

² سورة الطلاق، الآية [12].

³ سورة فصلت، الآية [9-12].

الدخانية الأولى، ويزيد هذا المعنى تأييداً الآية الآنف الذكر من سورة الطلاق حيث يقول سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾¹.

وطبقاً لهذه المقابلة اللغوية ما بين الأرض والسماء تتحدد المثلية المنصوص عليها - في القرآن الكريم، وما دام أن هناك ست أرضين غير أرضنا، وكل أرض يقابلها سماء، فهناك إذن غير السماء المقابلة لأرضنا ست سماوات أخرى، لكل أرض سماؤها².

فهذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن الكريم، وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز، تحل لنا وللإنسانية مشكلة السماوات السبع حلاً حاسماً، كما يقول الغمراوي³.

أما الدكتور خليل أبو ذياب يعلق على قول الجوهرى؛ أن العدد في القرآن لا مفهوم له، فيقول: "إن هذا تقوّل على الله بغير علم، نعوذ به من مغبته، ولو صادف ذلك العدد حقيقة علمية ولن يصادف، لكان يمكن القول بذلك وما دام العلم قاصراً متطامناً أمام قدرة الله وجلاله وعظمته التي ندرك بعض آثارها من اتساع الكون، وما دام لم يدرك بعد حقيقة آية سماء من تلك السماوات، فكيف نرفض تحديد العدد ومفهومه في القرآن، وليس لدينا دليل من العلم المادي المحسوس أو المعقول نركن إليه ونأخذ به"⁴.

ويعلق على قول الفندي الذي يقول أن السماوات السبع هي المنظومة الشمسية⁵.

فيقول: "وبدل أن يعلن هؤلاء جهلهم بحقيقة السماوات السبع في القرآن نراهم يتخبطون فيزعمون أن الرقم سبعة لا مفهوم له، وأن المقصود أكثر من هذا العدد بدون تحديد، ولو

¹ سورة الطلاق، الآية [12].

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 297 بتصرف.

³ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 265.

⁴ أبو ذياب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، دار عمار، عمان - الأردن، ط1، 1420 هـ - 1999 م، ص 129.

⁵ الفندي، الله والكون، ص 298.

سألتهم على أي شيء اعتمدوا في رفض هذا الكم لم يكن لديهم رد معقول، أو لكان ردهم رجماً بالغيب، ولو أنهم سكتوا وأعلنوا عجزهم عن إدراك حقيقة هذه السماوات السبع لكان خيراً لهم من أن يفتروا على الله مثل هذا التأويل الذي لا يقبله عقل ولا يدعمه منطق أو نقل¹.

وأما الدكتور خالد علوان فقد قال إثر مناقشته للرسالة بأن حديث الإسراء والمعراج بيِّن المقصود بالسماوات السبع.

وإليك الحديث: **قال النبي صلى الله عليه وسلم بيِّنا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ... فاطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال جبريل: قيل من معك؟، قيل محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال: نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيبى جاء ...**

فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية قيل من هذا؟ قال جبريل: قيل من معك؟ قال محمد -صلى الله عليه وسلم- قيل أرسل إليه قال: نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيبى، جاء فأتيت على عيسى ويحيى فقلا مرحباً بك من أخ ونبي، فأتينا السماء الثالثة قيل من هذا؟ قيل جبريل قيل من معك؟ قيل محمد قيل وقد أرسل إليه، قال: نعم مرحباً به ولنعم المجيبى جاء، فأتيت يوسف فسلمت عليه، قال: مرحباً بك من أخ ونبي، فأتينا السماء الرابعة قيل من هذا؟ قيل جبريل قيل من معك؟ قيل محمد -صلى الله عليه وسلم- قيل وقد أرسل إليه قيل نعم، قيل مرحباً به ولنعم المجيبى جاء، فأتيت على إدريس فسلمت عليه، فقال: مرحباً من أخ ونبي، فأتينا السماء الخامسة قيل من هذا؟ قال جبريل: قيل ومن معك؟ قيل محمد -صلى الله عليه وسلم-، قيل وقد أرسل إليه قال: نعم مرحباً به ولنعم المجيبى جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من أخ

¹ أبو نيباب، المرجع السابق، 130.

ونبي، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جبريل، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم- قِيلَ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جبريل قِيلَ وَمَنْ مَعَهُ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنِ وَنَبِيِّ فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ.....¹

التعليق

نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى خلق سبع سماوات طباقاً، وهذا ما أخبرت عنه النصوص الشرعية القرآنية السابقة الذكر وحديث الإسراء والمعراج.

وهذا منطلق كل من الأستاذ الغمراوي في كتابة الاسلام في عصر العلم، والدكتور خليل في كتابه ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، والدكتور خالد علوان أثناء مناقشته هذه الرسالة، ومفاد ذلك أن العدد سبعة مقصود وذلك لتكراره في الآيات الكريمة.

أما تعليقي على ذلك هو أن السماوات سبع نعم إلا أن الآيات الكريمة لم توضح وتفسر مفهوم العدد سبع في الآيات الكريمة فهل يعني العدد من (1 - 7)؟

وهل تحدثت الآيات عن السماء الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة ... فالآيات لم تتحدث

إلا عن السماء الدنيا².

¹ البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، (194 - 256 هـ)، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج4، ص 133 - 134، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ط) . (د. ت) وفي رواية "فَعُرَجَ بي" بدل "فانطلقت مع جبريل: انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج1، ص97-98، مؤسسة التاريخ العربي- دار إحياء التراث العربي.

² عبد الجبار، شاکر، القرآن يفك لغز الأرض، ص25.

لكن هل السماء الدنيا هي دنيا المجموعة الشمسية مثلاً أم دنيا مجرة درب التبانة؟ إن السماء الأولى ليس أمرها ببسيط علينا ما دامت هي "الدنيا" فمجرة من ملياراتها كقيلة باستهلاك العمر البشري كله دون الخروج من حلقتها للسفر إلى مجرة أخرى...¹ فأبعاد المسافات في السماء الدنيا تدير الرؤوس حيث إن قطر مجرة درب التبانة مثلاً يبلغ مئة ألف سنة ضوئية، ولو كانت السنة أرضية لا تعترض علماء الكونيات في هذا العصر على ذلك، لأنهم يبصرون بتلسكوباتهم أجراماً تقع على بعد مليارات السنين الضوئية، وهم لا يحسون حدوداً ينتهي عندها الكون، فماذا تساوي الألف سنة لو كانت أرضية إلى جوار مليارات السنين الضوئية التي طالها علماء هذا العصر بتلسكوباتهم المتقضية للأبعاد والأجرام في صفحة السماء...؟ لكانوا إذن قد بلغوا آلاف السماوات².

وهذا رمز إلى أننا لا نستطيع تفسير العدد سبع في القرآن الكريم والأدلة التي تؤكد ذلك هي قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾³. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾⁴.

فلفظة يوم هي استدلال رمزي لشيء معين، فيوم بألف سنة، ويوم بخمسين ألف سنة، ورمز العدد سبع (7) قد يكون سبعة آلاف مثلاً، وهو يشير إلى تعدد غير محدود⁵.

¹ عبد الجبار، المرجع السابق والصفحة نفسها.

² عبد الجبار، المرجع السابق، ص 26 - 27 بتصرف.

³ سورة المعارج، الآية [4].

⁴ سورة الحج، الآية [47].

⁵ بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل، ص190.

ويوم الله تعالى يختلف عن يوم الإنسان، وكذلك يمكن القول في كل ما يتعلق بعالم الغيب ذي الكيفيات المجهولة، وإن اتفقت معنا في استخدام الألفاظ اللغوية، أو في أساليب التعبير عنها¹.

إن: لفظة يوم لا تعني اليوم الذي نعرفه مقارنة بما نعد، والعدد سبعة لا يعني العدد ذاته أي العد من (1 - 7) مقارنة بما نعرف، وإنما غير مقصود لذاته، أو مقصود لأهداف يعلمها الله تعالى فعدد السماوات سبع بالترار القرآني، ولكن ليست بالتفسير والمحتوى².

والعدد الظاهري المدرك مقصود بحد ذاته، والعدد الفعلي يعلمه الله سبحانه وتعالى فالسماوات الحقيقية التي عرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم هي سبع إلا أنه ليس هناك تفسير لمحتوياتها وفروعها، وقد يكون كل ما هو مدرك في السماء الدنيا، هو أثر لوجودها فلا معرفة بما هيته ولنأمل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾³.

وكل ما هو مدرك في السماء الدنيا من أجرام، ومجرات، تسبح في أفلاكها من الأصغر إلى الأكبر هو أثر ناتج عن وجود سماوات سبع تسبح في مركزها سماءنا الدنيا، ويقع الجزء المدرك من الكون تحت تأثيرها حسب ما يقوله الشديفات⁴.

وبالتالي يكون كل ما هو في السماء الدنيا أثر لوجود السبع السماوات فلا تفسير لمحتوياتها وفروعها كما هو الحال في الجزء المدرك من السماء الدنيا.

¹ أبو ذياب، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، ص 126.

² بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، ص 204، ص 189.

³ سورة نوح، الآية [15 - 16].

⁴ الشديفات، الله فاتق الرتق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، ص 369 بتصرف.

وتعليل آخر في الآية من سورة نوح ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ

الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾¹.

هو أن ما بين القمر والشمس (سماوات) فالقمر في سماء، والشمس في سماء، وإلا لقال (فيها) بدلاً من "وجعل فيهن" وهذا واضح في حياتنا من خلال المثال التالي نقول: فلان حصل على الدكتوراه، وللحصول عليها فهناك مراحل هي مرحلة الثاني عشر ومرحلة البكالوريوس ومرحلة الماجستير ومن ثم الدكتوراه فكل مرحلة من هذه المراحل بينها فئات وفترات والعالم فيثاغورس يقول: "أن فوق الأرض ثماني سماوات، هي (سماء القمر) أي القمر في سماء، وسماء عطارد، وسماء الزهرة، وسماء الشمس، وسماء المريخ، وسماء المشتري، وسماء زحل"² فالنظر من الأرض إلى القمر كم (سماء) ما بين القمر إلى آخر كوكب من كواكب المجموعة الشمسية.

والقرآن الكريم يقول بتعدد السماء ودليل هذا التعدد هو كلمة (السماوات)، والسماء لفظة أعم وأشمل حيث تشمل كل السماوات، والسماء تكون في المجرات، وفي (الحبك)، وفي (البروج)، وفي (سماء الرجع)، والسماء لا تكون إلا بمحتواها من المجرات والأجرام، فكل (سماء) من هذه المذكورة فيها (سماوات) ولا تعرف السماء إلا بمحتواها، وهذا ما سأليناه في الفصل الثالث. وقد تكون فروع السماء الواحدة لا تعداد لها، وبالتالي فالسماء هي فروع، وأنواع، ولو كانت واحدة لتحدث عنها القرآن الكريم بشكل متشابه، فكل واحدة تختلف في

¹ سورة نوح، الآية [15 - 16].

² فولكوف، الأرض والسماء، (د.ت) دون دار نشر، ص22.

الصفات عن الأخرى، وهذا دليل تعددها، والسماء تعرف بما فيها، فالسما فيها (حبك) والسماء فيها (بروج) حسب قول اليماني.¹

وبالتالي لا يعلم كم سماء موزعة على (شداد) و(حبك) و (بروج) لأننا لا نستطيع تحديد أبعاد المجرات، ولا ندري ما بداخل هذا المكون من أقمار، ونجوم، وكواكب، ومجرات، وما وراء هذا المكون الذي بداخل هذه السماء، وبناءً عليه فلا حصر لعددتها، "والتعبير بالسبع امتحان وابتلاء من الله تعالى لأنها تحير عقول الباحثين" كما يقول الجوهري.²

وأما حادثة الإسراء والمعراج فهي ثابتة في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾³.

ولا خلاف بين علماء المسلمين فيما يتعلق في أمر إسراء - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، حيث بلغ من سابعتها ما شاء الله أن يبلغ كما هو نص الحديث السابق وليس لأحد أن ينكر أنه أُسري به -صلى الله عليه وسلم- إلى بيت المقدس وعُرج به إلى السماوات العلى، فهذا أمر من الغيب الذي أمرنا الله تعالى أن نؤمن به قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁴.

على أن الحق سبحانه وتعالى قد اقتضت حكمته أن ينسخ ما ألقى الشيطان أو يُلقَى من شبهة في أمر الإسراء والمعراج بما يسر للإنسان من العلم النظري والتطبيقي في عصر العلم هذا، والتقدم العلمي التطبيقي مكن من قطع المسافات بسرعة تذهب بشبهة أن الإسراء لم يكن بالبدن، والتقدم النظري الذي أيدت التجربة نتائجه ذهب بشبهة أن المعراج لم يكن بالروح

¹ اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص63.

² جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، ج1، ط 51.

³ سورة الإسراء، الآية [1].

⁴ سورة البقرة، الآية [3].

ويكفي للذهاب بالشبهة في أمر الإسراء ما حققه الإنسان من سرعة الانتقال بالنفاثات الأسرع من الصوت والقُميرات الاصطناعية¹.

إلا أن رحلة الإنسان إلى القمر حتى نزل عليه لا تفسر أمر المعراج بل، ولا السير في الفضاء بسرعة الضوء على عظمها البالغ ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، لكن الذي يعين على تفسيره هو نظرية النسبية التي يتقبلها علماء العصر بعد أن حققت التجارب لها نتائج عدة، فإن من نتائجها الرياضية أنه لو وجد كائن له سرعة أكبر من سرعة الضوء لا نَمَحَت أمامه المسافات مهما عظمت، أي لأمكنه قطعها في غير زمن، فما علينا لتفسير نزول الملك بالوحي من السماء العلى وصعوده إليها في غير زمن إلا أن نستتبط من ذلك أن سرعته كانت أكبر من سرعة الضوء... والعلم يجيز أن تكون هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء وإن جهلها².

فالإسراء والمعراج به -صلى الله عليه وسلم- حدث والدليل واضح من القرآن الكريم في سورة الإسراء والحديث النبوي الشريف الذي نص على أن عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء لم يكن ذاتياً، ولكن كان بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، ولذا جاء حديث المعراج بصيغة البناء للمفعول أو المجهول، فلم يقل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عرجت إلى السماء ولكن (عُرِجَ بي)³ وفي رواية أخرى "فانطلقت مع جبريل"⁴. كما هو النص.

وبيّن الحديث الشريف أن نبي الله محمد وجد في السماء الأولى أو (السماء الدنيا) آدم، والثانية يحيى وعيسى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي

¹ الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 135 بتصرف.

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص 136 بتصرف.

³ انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج1، ص97-98. وانظر: الغمراوي، المصدر السابق نفسه، ص 137 بتصرف.

⁴ البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ذكر الملائكة، ج 4، ص 133.

السادسة موسى، ثم صعد إلى السماء السابعة فإذا بإبراهيم، مسند ظهره إلى البيت المعمور¹، فحديث المعراج هذا يُبَيِّنُ المقصود من العدد سبع للسماء الحقيقية التي أخبرنا عنها الله تعالى في محكم تنزيله، وليست السماء بمفهومها اللغوي والعلمي والمحمولة على المعنى المجازي. فهذا الحدث الغيبي جزء من عقيدة كل مؤمن بالله تعالى يدل على أن عدد السماء سبع، كما أنه ألقى الضوء على وجود عوالم وأكوان يقع كوننا ضمنه، وهذه هي أطروحة نظرية (الكون الأعظم) والتي هي ليست نظرية افتراضية فحسب بل هي نظرة احتمالية مستقبلية لها دلالاتها المنطقية والحدسية في ذلك الألفية الرابعة أو الخامسة حيث ستتغير نظرتنا للكون². والإنسان بمحاولاته لم يحقق سوى اختراق سماء السحب، وسماء الأمطار، وسماء البروج، أي أنه ما زال ضمن نطاق المجموعة الشمسية فقط، أما اختراق أقطار السماوات السبع المذكورة في القرآن الكريم فمستحيل، لأن الوصول إلى السماء الدنيا يحتاج إلى ملايين السنين الضوئية، إن استطعنا الانطلاق بسرعة الضوء هذا إن لم يكن بلايين السنين الضوئية من يدري؟³.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الاستحالة فقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكَذِّبُونَ يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِلٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُونَ﴾⁴.

والحديث النبوي يُبَيِّنُ أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لم يسمح له باختراق السماوات والأرض وهو بصحبة جبريل إلا بعد علم حُرَّاس السماء أن الله أرسل في طلبه

¹ البخاري، المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 133 - ص 134.

² دهبية، الجغرافيا الفلكية، ص 185.

³ اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص 89.

⁴ سورة الرحمن، الآية [33 - 35].

وأمر بفتح السماوات له حسب ما أشارت إليه أحاديث المعراج السابقة الذكر¹، فالوصول إلى أبواب السماء الدنيا ممكن إذا تحركنا بسرعة الضوء، إلا أن اختراقها لا يكون إلا بأمر الله تعالى² حسب ما أشارت إليه الآية الكريمة.

وبما أن الإمكانية لم تتحقق بعد وهي التحرك بسرعة الضوء البالغة (186.000) ميل/ث، فلن تُفسر النظرية النسبية، أمر المعراج وبناء على ذلك لم يكن حديث المعراج محط دراستنا المقارنة وهي السماء بين القرآن الكريم والعلم: دراسة تحليلية وذلك للأسباب التالية أولها: إن حديث المعراج، بيّن أن عدد السماوات سبع وليست واحدة وهذا دليل تعددها إلا أن الحديث والشروح عليه لم يُبيّن وتبيّن أي شيء يتطرق إلى مفهوم العدد سبعة وتوضيحاته العلمية، وفروع كل سماء، وأقسامها، وهو لم يتطرق ويتحدث عن أجرام لنقارنها بالعلم فالمقارنة تكون بما هو محسوس ومشاهد لا بما هو غيبي وقد تكون السماء الواحدة مجزئة إلى سماوات.

فهل لنا أن نقارن السماء التي عرج إليها سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، بسماء الغيوم التي رمز إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾³.

وبما أن الحديث لم يتعرض إلى أجرام فليس هناك مجال للمقارنة؛ لأن السماء بمفهومها؛ هي سماء بالنسبة لأمر (ما) كما وضحت في الفصل الأول (معاني السماء).

والسما تطلق على أمور عدة، وهي اللفظة الأعم وقد يكون كل ما هو كائن وموجود ضمن سماء لا يعلم حدودها إلا الله تعالى.

¹ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (773-852 هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (8) كتاب الصلاة 1- باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، حديث رقم (349)، ج1، ص456-457، بيت الأفكار الدولية، الرياض- جدة، (د. ط) (د. ت).

² اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص 89.

³ سورة إبراهيم، الآية [32].

وبما أن مجرة من مجرات السماء الدنيا وهي درب التبانة تستغرق 100.000 ألف سنة ضوئية لاختراق قطرها ذهاباً وإياباً فما بالك لو فكر الإنسان باختراق قطر مجرة عنقود العذراء بنفس الشروط، وذلك بإرسال سفينة فضائية بسرعة الضوء البالغة 300.000 كم/ث أي ما يعادل 186.000 ميل/ث فهذا من المستحيل لاختراق السماء الدنيا، فكيف (بالسماوات السبع) وبذلك يعجز العلم أن يعترف بعدد معين للسماوات لتفسير السماوات السبع¹.

ويعلق الباحث محمد محمود على أمر تفسير حديث المعراج لعدد السماوات السبع فيقول: "فهذا يعتبر ضرباً من الميتافيزيقيا المجهولة ومن المعميات والمبهمات التي لا تخضع للتفسير أو التبرير أو التقرير، لأنها محجوبة عن نظر العلماء عكس الطبيعة (الفيزياء) فهي تخضع لقوانين يتعاملون معها، فتصوروا من خلالها الأشكال المحتملة لكوننا وهيئته، فإذا كان علماء الفلك والفضاء ضعاف الرؤية في كوننا فما بالهم بالنسبة لما وراء الطبيعة خلف ستر الكون المنظور وهم تائهين في عدة بلايين من السنين الضوئية، لأنهم ما زالوا في رؤيتهم الضبابية يتعاملون مع الماضي القريب حسب أقصى مدى لرؤيتهم"²

المطلب الثاني: مفهوم السماوات السبع في العلم:

إن كلمة الأرض في هذه الآيات وفق ما أورده الرياحي تدل على الجمع، وهي تعني الأرضين السبع، فعندما جمعها الله مع السماء جعل لكل أرض منها سماء فكانت سماوات سبعة لأرضين سبع³. ويدل على هذا قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ

¹ اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص 87-89 بتصرف.

² دهبية، الجغرافيا الفلكية، ص 185 بتصرف.

³ الرياحي، نجم الشعرى، ص 179. (م.س).

لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ¹

ومن أمثلة ذلك: ﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾² وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ³ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا فِيهَا عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ⁴. ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾⁵ فقد تكون السبع سماوات الطباق هي الأغلفة الجوية لكل من الأرضين السبع. فطباق كل شيء غطاء ما تحته - كما مرّ - ولا يكون ما تحته زائداً عليه، ولا يكون الشيء طباقاً حتى يكون كقطعة واحدة لا خلل فيها، ولا فرجة وتعلو كل ما تحتها⁶ فطباق وفق ما جاء عند الرياحي هي صفة لكل سماء من السماوات، وليس للسماوات مجتمعة، أي أن كل سماء طباق على أرضها، وليس على سماء أخرى، ويتسق هذا المعنى⁷ مع نهاية الآية ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُتٍ﴾⁸.

ويجتهد الرياحي في معنى السماوات السبع بقوله: بمعنى الأغلفة الجوية المحيطة بكل من الأرضين السبع أو الأرضين الأخرى في الكون فكما أن السماء تعني (الغلاف الجوي) أي ما علا جو الأرض (كوكبنا الأرضي) فهناك سبع من الأرضين بنص الآيات الكريمة يقابل كل منها سماء من السماوات السبع⁹ وفي سورة الإسراء يقول تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ

¹ سورة البقرة، الآية [29].

² سورة الملك، الآية [4-6].

³ سورة نوح، الآية [15-16].

⁴ العرابلي، حقيقة السماوات، ص85. (م.س).

⁵ الرياحي، نجم الشعري في القرآن الكريم، ص182.

⁶ سورة الملك، الآية [3].

⁷ الرياحي، نجم الشعري في القرآن الكريم، ص181، ص175. (م.س).

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ¹ ﴿ وفي سورة المؤمنون يقول تعالى ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ² ﴿ وفي سورة فصلت ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا³ .

وفي سورة الطلاق ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ⁴ ﴿

وفي سورة الملك ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا⁵ ﴿

فالآيات تشير إلى وجود سبع سماوات بعضها فوق بعض طباقاً.

بينما يقول الفندي: "أما السموات السبع والله أعلم، تحديد للنوع لا الكم مما خلق

الله تعالى فوقنا من هواء - شهب - نيازك - أقمار مذنبات - كواكب شمس داخل

المجموعة الشمسية، وتتعدد هذه الأنواع إلى ما شاء الله من حيث العدد وهو معنى

(طباقاً)⁶

وقد اجتهد العلماء في تفسيرهم (للعدد سبع) أنه غير مقصود لذاته، وقد كان من

عادة العرب أنهم إذا أرادوا أن يبالغوا في العدد ذكروا السبعة أو السبعين أو سبعة

آلاف ونحوها.⁷

¹ سورة الإسراء، الآية [44].

² سورة المؤمنون، الآية (86)

³ سورة فصلت، الآية [11-12].

⁴ سورة الطلاق، الآية [12].

⁵ سورة الملك، الآية [3].

⁶ الفندي، الله والكون، ص243. (م.س).

⁷ أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ص70. (م.س).

ومعنى السبعة "إرادة الكثرة والتعدد"¹ ويقول العلامة "آثر فندلاي" في كتابه "على حافة العالم الأثيري" إن العلم أثبت أن السماوات: هي أفضية متساوية يتبعثر خلالها ويرتد ضوء الشمس السبع الأثيرية التي تحيط بالشمس الفيزيكية من كل جانب² وبناء على هذا فقد (تشير عبارة السماوات السبع) إلى نظامنا الشمسي؛ فالسماوات شيء فوق شيء آخر، والفضاء الكوني هو جزء من السماوات التي تضم نظامنا الشمسي أو حتى المجرات لكونها جميعاً فوق الأرض³ وحدود الكون، كما تمثلها السماء فقد ثبت علمياً أنها تتسع وتمتد⁴ فالمجموعات الشمسية العديدة مع بقية النجوم التي نراها نراها منتشرة في أرجاء السماء من فوقها، وتؤلف جميعها نظاماً فلكياً هائلاً يعرف بنظام (المجرة)، وأن هذه المجرة من الضخامة والاتساع يصعب معها معرفة عدد النجوم الداخلة فيها، إلا أن تقديرات الفلكيين تشير إلى أن هذا العدد يبلغ آلاف الملايين والنجوم تنتشر في داخل نظام المجرة على أبعاد خيالية⁵.

¹ الدراويش، حسين أحمد علي، سباعيات في علوم القرآن الكريم، قسم اللغة العربية - كلية الآداب، مطبعة بيت المقدس، القدس، ط1، 1424هـ/2004م، ص58. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: سباعيات في علوم القرآن الكريم.

² نوفل، عبد الرزاق، الله والعلم الحديث، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، ص159. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الله والعلم الحديث.

³ حسيني، العلوم الفلكية في القرآن الكريم، ص53. (م.س).

⁴ عبد الباقي، إبراهيم محمد، الدين والعلم الحديث، المكتبة التجارية الكبرى، مصر مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط1، 1384هـ/1964م، ص21. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الدين والعلم الحديث. انظر: بوكاي موريس، القرآن والتوراة والإنجيل. (م.س). ص221، وانظر: اللوح، عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص168. آفاق، غزة - فلسطين، ط2، 1423هـ/2002م. ص221. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

⁵ أبو سنيينة، أشرف، موسوعة عالم الكون، دار أسامة، عمان - الأردن، 2005م، ص7. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: موسوعة عالم الكون.

ففي الفضاء الفسيح أفلاكٌ ومدارات تسبح فيها الكواكب، وقد أثبت العلماء أن الكواكب والنجوم والمجرات، متباعد بعضها عن بعض، وبينها مسافات شاسعة يكل البصر عن مداها.

ويتساءل خلف الحسيني: "فلم لا تكون السماوات السبع هي طبقات الفضاء التي تسبح فيها تلك الأجرام الكثيرة التي لا ترى، وأن كل طبقة من الفضاء تحوي كواكبها ونجومها ومجراتها في محيطها"¹. أما محمد الفندي فيرى أن أجرام السماء (السماوات) كلها أجسام مادية منها الجرم المستعر كالشمس أو النجوم ومنها البارد المعتدل كالأرض وهي من الكواكب السيارة أو تكون منها أسراب الرمال الكونية ومجاريها كالشهب أو مجموعات الصخور والأحجار السماوية كالنيازك، أو قد تكون منها عائلة المذنبات. وكلها تجري منطلقة حول الشمس بعضها فوق بعض في مسارات متباينة.² وأما قاسم فيؤكد أن "الكون بكرويته يتكون من سبع طبقات مغلقة، مكور بعضها على بعض بشكل يشبه البصلة وأكثف طبقات السماء هي القريبة من مركزها، ثم تخف الكثافة كلما اتجهنا نحو المحيط الكوني، وهي طبقات ليست كتيمة؛ بل هي طبقات من النجوم تفصل بينها السنين الضوئية."³

أقول لا سبيل للعقول البشرية معرفة ماهية العدد سبعة، فالسماوات متعددة ودليل هذا التعدد هو: تعدد النصوص القرآنية الدالة على تعدد السماوات، ولوجود بعض القرائن اللغوية الدالة على ذلك مما يجعلنا نأخذ بظاهر الآية، ونبتعد عن التأويل من

¹ الحسيني، دليل الحيران في آيات من القرآن، ص98. (م.س).

² الفندي، الله والكون، ص212-213. (م.س).

³ قاسم، محمود، الإسلام والحقائق العلمية، دار الهجرة - بيروت، ط1، 1986م، ص91. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الإسلام والحقائق العلمية.

دون دليل - والله تعالى أعلى وأعلم. فيما يجهل العلماء لغاية الآن عددها وماهيتها. إلا أن الرازي يعتقد بوجود سبع سماوات، ولكن سماعنا غير تلك السبعة في قوله "وقد وضحت الآيات الكريمة السابقة أن السماء الدنيا غير السماوات السبع في النصوص الشرعية. لذلك أعطوا تصورات على أنها أكثر من سبع على اعتبار أن العدد غير مقصود لذاته كما ظهر ذلك في تفسير الرازي.¹ لذلك فإن العلماء قد اتفقوا على عدد السماوات (وهو سبع) واختلفوا على مفهوم السماوات السبع الذي لا تتعين دلالاته على كمية محدودة؛ فإن كانت السماوات أكثر من سبع فالسبع منها، ولكن لا يجوز أن تكون أقل، كما أن هناك فارقاً معنوياً واضحاً بين كلمتين (السماء الدنيا) (السماوات العلى) فالأولى مفردة وتحمل إحياء الانخفاض والضآلة، أما الثانية فهي تأتي بصيغة الجمع وتحمل إحياء ارتفاع القدر وعظم الشأن.²

فيقول سبحانه: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾³

ويقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁴.

فيما يخالف أبو ذياب رأي الرازي بشأن الرقم سبعة، وأن المقصود بذلك أكثر قائلاً: "ولو سألتهم على أي شيء اعتمدوا في رفض هذا الكم لم يكن لديهم ردّ معقول، أو لكان ردهم رجماً بالغيب، ولو أنهم سكتوا وأعلنوا عجزهم عن إدراك

¹ الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج1، ص171. (م.س).

² عبد الجبار، القرآن يفك لغز الأرض، ص25. (م.س).

³ سورة طه، الآية [4].

⁴ سورة الملك، الآية [3].

حقيقة هذه السموات السبع لكان خيراً لهم من أن يفتروا على الله مثل هذا التأويل الذي لا يقبله عقل ولا يدعمه منطق أو نقل".¹

فمن يرى أن السموات أكثر من سبع مثل الرازي، وأن العدد غير مقصود لذاته كأبي العينين، ومن يرى أن السموات السبع هي المجموعة الشمسية كالفندي. فهذا يعني أنه ليس وراء هذه سموات أخرى؛ فهذا نقص في الفهم بين مفهوم السماء والسموات السبع، فالسموات السبع محصورة في العدد سبعة أما السماء فهي أعم وأشمل؛ إذ تشمل كل ما علا حتى السموات السبع. فرأي الفندي، حيث أكد تحديد السموات بالعدد الذي ذكره الله تعالى فقال: "إن الآيات من سورة فصلت مع الآيات من سورة الطلاق تحل الإشكال وهو [السموات السبع ما هي] وهل هناك أكثر من سبع؟ "لا أكثر ولا أقل من سبع ما دام فاطر السموات قد أخبر أنه خلق سبع سموات وسبع أرضين "ومن الأرض مثلهن" كل سماء يقابلها أرضها، وكل أرض تعلوها سماؤها بمقتضى الآي القرآني مع المعنى اللغوي لكلمة سماء"² بينما نرى أن هناك من يشكك بوصول العلم إلى معرفة حقيقية حول ماهية السبع سموات، ويعتمد على النص في الخبر حول ماهيتها، وذلك أمثال منصور حسب النبي بقوله "إن العلم لا يعرف إلى الآن ما هي السموات والأرضون السبع ولكننا نستطيع أن نفهم من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾³ أن هناك ستة أرضين أخرى غير أرضنا، ولكل أرض سماؤها التي تعلوها، ومما يؤيد

¹ أبو نيباب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، ص130. (م.س).

² الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص306. (م.س).

³ سورة الطلاق، الآية [12].

هذا التفسير قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا**

أَظْلَنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَنَ"¹

ويقول: "إن الأمر الإلهي المشار إليه في الآية "يتنزل الأمر بينهن" موجهاً إلى كائنات عاقلة موجودة على هذه الأرضين الست الأخرى،² وهذا ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾³ إذ في ذلك إشارة على احتمال التقاء العوالم في الحياة الدنيا والآخرة. ويتبين لنا من خلال أقوال العلماء أن عدد السماوات معنوي وليس واقعياً، فلا يعني الرقم (7) العدد نفسه [1-7] فاستخدام القرآن الكريم للعدد (سبع) هو تعبير معنوي عن شيء مادي قابل للفهم في حدود مقدرة العقل البشري، كما يظهر من قول الفندي أننا لا نستطيع أن نحدد أن هذه (سماوات سبع) كما فعل العديد من الباحثين الذين ذكروا أن عدد السماوات سبع وذلك بالرجوع إلى طبقات الغلاف الجوي، والواقع أننا لا نستطيع أن نجزم بأن عدد هذه السماوات سبع.. فبعض العلماء يرون أن المقصود بالسماوات السبع هو أن هناك سبع كواكب، كما يرى آخرون أن المقصود بذلك.. أن عدد طبقات الغلاف الجوي سبع في حين أننا لا نستطيع أن نؤكد المعنى المقصود بكلمة سبع، خاصة وأن كلمة سبع قد وردت في

¹ النسائي، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت (303هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، (151) باب، باب الدعاء عند رؤية القرية التي يريد دخولها رقم الحديث (8775)، ج8، ص117.

² حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997م. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الكون والإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

³ سورة الشورى، الآية [29].

سياقات أخرى مما يؤكد عدم مقدرتنا على الوقوف أمام المقصود من التحديد فهو خارج نطاق مقدرتنا.

وتقر الباحثة بالعجز كما أقر العلماء في تحديد مفهوم السماوات السبع، وتقول ذلك للعلماء القادمين، والباحثين الشادين.

نتائج الفصل الثاني

وفيما يلي إجمال لما توصلت إليه في هذا الفصل:

فيما يتعلق بأصل تكون السماء من ناحية البناء والتكون في العلم والقرآن، تبين من خلال عرض أقوال المفسرين أن هناك شبه إجماع على معنى واحد في أصل تكون السماء، وهو أن الله خلق الماء أولاً، ومن ثم خلق من الماء بخاراً كالمدخان ومنه خلق الله السماء ومن خلال العرض السابق لمفهوم البناء السماوي من خلال النظريات العلمية، متمثلاً بتعابير العلماء عن المفهوم، فقد تجلّى أن المدخان كان من الرتق السماوي الذي كانت فيه الأرض والسماء كتلة واحدة ففتقتا، مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ وعليه فإننا نرى بأن المدخان أصل تكون السماء وهذا يتطابق مع الآية القرآنية ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. وفي هذا تطابق بين المعنى في العلم وبين المعنى في القرآن الكريم.

وأما فيما يتعلق بمفهوم السقف المحفوظ من خلال العرض لأراء المفسرين، وأقوال العلماء في ماهية السقف المحفوظ، يتضح أن رب العالمين قد جعل السماء سقفاً محفوظاً من أن يقع ويسقط على الأرض وسقفاً محفوظاً من الشياطين، وفي العلم، السقف هو الطبقة الهوائية التي تمنع اجتياز النوازل القاتلة النازلة من الفضاء الكوني. إن الذي يقوم بالحفظ هما الطبقة (الأوزونية) و(المتأينة). وقد تبين أن هناك نوعين من النوازل كما حددها محمود القاسم: إشعاعات كونية أو رجوم تنزل من السماء الكونية بسرعة هائلة، وهي مكونة من صخور مختلفة. وأن هناك تطابقاً بين العلم والقرآن في تفسير مفهوم السقف المحفوظ، حيث بين العلماء أن الغلاف الجوي

المحيط بالأرض يمثل سقفاً محفوظاً، وحافظاً للأرض من إشعاعات الكواكب والشهب والنيازك، التي من شأنها أن تفتك بحياة الإنسان، وبأهل الأرض جميعاً، ولكن جلت عظمته بأن جعل هذا الغلاف سقفاً محفوظاً.

فيما يتعلق بمفهوم السماء "سقف مرفوع بغير عمد"، تبين أن اللغويين أشاروا إليه بمعنى العماد أو السند، أما من جهة أهل التفسير، فقد تبين أن معنى العمد هي قدرة الله "بغير عمد ترونها" وعمدها إمساكها بقدرته، وأما من جهة أهل العلم والنظريات العلمية، فقد أشاروا إلى أن "بغير عمد لا ترونها" التماسك في نظرهم بفعل الجاذبية الأرضية. ونستخلص من أن أقوال المفسرين دالة على قدرة الله المتجلية في رفع السماء وفي نظر العلماء بالجاذبية التي لا ترى، وإنما نرى أثرها، وعليه، هناك تشابه في محتوى المعنى لكل من القرآن الكريم ونظريات العلم الحديث.

وفيما يتعلق بمفهوم السماوات السبع تبين من خلال العرض السابق لأقوال المفسرين والعلماء، أن المفسرين فسروا السماوات السبع بالمجموعة الشمسية، وأفلاك الكواكب السيارة كالرازي وابن عاثور وهذه حدود المعرفة في زمنهم، وطبقات الغلاف الجوي كما أشار يحيى هارون وممن نهج نهجهم من الباحثين في الإعجاز العلمي في الآيات الكونية محاولين الخوض في ماهية عددها دون جدوى.

إذ إن كل مكون في المجموعة الشمسية (وفي السماء) له (سماء) كما أشار إلى ذلك الفندي وأبو العينين، فالعدد سبع لا يمكن أن يتعين المقصود منه، ولو اقتصرنا على أن السماوات السبع هي طبقات الغلاف الجوي أو كواكب المجموعة الشمسية والنجوم فنكون قد أخرجنا بلايين المجرات والنجوم والسدم وبقية عناصر السماء الأولى وبقية بقية السماوات الست الأخرى خارج التعريف وهذا نقص في الفهم.

فالأفلاك وطبقات الفضاء تتعدد وتتابع، وبالتالي لا تعريف نهائي للسماء ولا حدود لها لا قديماً ولا زماناً لاحقاً، والسبعة المذكورة في النص لا تعني السبعة التي نعرفها، ولا يتعين دلالة العدد على كمية محدودة.

فالعلماء يجتهدون ويقولون في مفهوم السماء، والسموات ولم يصلوا إلى شيء نهائي في مفهومها وعددها، وهذا يدلّ على إعجاز السماء، وارتباط وجودها بوجود الله تعالى ووحدانيته.

وبهذا أرى أن وجود السموات السبع الطباق صدى لما ذكرته، فليس السموات السبع بذاتها؛ لأن تحديدها على نحو حاسم، أمر خارج عن نطاق مقدرتنا البشرية.

الفصل الثالث: أوصاف سماوية مرفوقة ورد فيها العدد (7)

المبحث الأول: السماء سبع طرائق

المطلب الأول: السبع طرائق في اللغة

المطلب الثاني: الطرائق السبع في القرآن الكريم

المطلب الثالث: الطرائق السبع في العلم

المبحث الثاني: السماوات سبع طباق

المطلب الأول: السبع طباق في القرآن الكريم

المطلب الثاني: السبع طباق في العلم

المبحث الثالث: السبع الشداد في القرآن الكريم والعلم

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في آيات السماء في القرآن الكريم

المطلب الأول: السماء ذات البروج

المطلب الثاني: السماء ذات الحبك

المطلب الثالث: السماء ذات الرجع

إن المتدبر لكتاب الله عز وجل، يلاحظ بأن هناك عدداً من الآيات التي تم ذكر العدد فيها. وبيّن الله من خلال الآيات في سورة الإسراء المغزى من ذلك في قوله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصِيلاً﴾¹ إن تتابع الليل والنهار مؤشر على الزمن، وقد جاءت الآيات الذاكرة للعدد كثيرة مبنية أن هناك زمناً إلهياً غير الزمن الأرضي كما بينه الله في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾² ومحل هذه الآية هو لتبيان وجه الحقيقة لمفهوم العدد، ولكن وراء ذكر الله للأعداد حكمة خفية وسراً عظيماً، نحاول فيه نحن -البشر- أن نخمن ونقوم بتأويل المراد منه، متأملين في ذلك معرفة كنهها ولكن يبقى الأمر تأويلاً ليس إلا. ومع تكرار العدد سبعة في مواضع كثيرة، في القرآن وفي أعمال تعبدية كثيرة، من أن الأيام سبعة، وعدد أشواط الطواف سبعة حول الكعبة وبين الصفا والمروة كذلك، أليس هناك سر في عددها؟ فالعدد في القرآن الكريم، سر من أسرار الله، ولا يعلم المراد به على وجه الحقيقة إلا الله، وهناك أعداد ذكرت في آيات القرآن الكريم، منها العدد تسعة عشر، وثلاثون، وخمسون، وسبعة، اثنا عشر، وغيرها من الأعداد، ولكن العدد سبعة، كما في قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾³ وقد اقترن كثيراً وفي مواضع متعددة بالسموات.

وقد اشتمل هذا الفصل الأخير على أوصاف للسماء وردت في الآيات الكونية، لذا كان من الضروري تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث فالبمبحث الأول والثاني

¹ سورة الإسراء، الآية [12].

² سورة الحج، الآية [47].

³ سورة الإسراء، الآية [44].

والتالث ورد فيهن أوصاف للسماء ارتبطت بكونها سبع، حينما ذكر القرآن الكريم السماوات السبع عبر عنها أحياناً بقوله سبع طرائق، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾¹

وبقوله سبع طباق ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾²

وبقوله سبع شداد: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾³

لذا قمتُ بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تحدثت في المبحث الأول: عن السماء سبع طرائق عند علماء اللغة وعند المفسرين، وفي العلم.
وأما المبحث الثاني: تحدثت فيه عن السماوات سبع طباق، وبينت فيه عبر مطلبين مفهوم السبع طباق عند المفسرين، ومفهومها في العلم.
وأما المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن مفهوم السبع شداد عند المفسرين، ومفهومها في العلم.

¹ سورة المؤمنون، الآية [17].

² سورة نوح، الآية [15].

³ سورة النبا، الآية [12].

المبحث الأول: السماء سبع طرائق

وسأعرض الآن لمقولة السماء سبع طرائق، والسماء سبع طباق، والسبع الشداد على النحو الآتي:

في هذا المطلب سأقوم بعرض آراء أهل اللغة في تعريفهم لمفهوم الطرائق، ومن ثم سأقوم بعرض آراء المفسرين للآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾¹ وفهم السمرقندي، صاحب تفسير بحر العلوم، والجامع لأحكام القرآن، وتفسير التحرير والتنوير، وتفسير عبد الرحمن السعدي، تفسير البقاعي، ومن ثم سأعرض على قول العلماء أمثال: الشديقات، وأبي العينين والعرابلي، والعبدي، وعبد العليم لمعرفة مفهوم السبع طباق لديهم، ثم نجمل المطلب.

المطلب الأول: السبع طرائق في اللغة:

عند النظر في دلالة كلمة الطريق في هذه الآية أجد أن علماء اللغة يقولون إن الطريق "هي السبيل، يذكر ويؤنث، نقول الطريق الأعظم والطريق العظمى والجمع أطرقة وطرق" والطرُق: ثني القربة، والجمع أطراق وهي أثنأوها" والطرُق في الريش أن يكون بعضها فوق بعض، واطرق جناح الطير أي التف "يقال هذا مطراق هذا: أي تلوه ونظيره والجمع مطاريق يقال: جاءت الإبل مطاريق إذا جاءت يتبع بعضها بعضاً"². ويستتبع الجوهرى قائلًا: والطرُق: "الضرب بالحصى.. وطرُق

¹ سورة المؤمنون، الآية [17].

² الجوهرى، الصحاح في اللغة والعلوم، ص668. (م.س).

النجاد الصوفَ يَطْرُقُهُ طَرْقًا إِذَا ضَرَبَهُ وَالْقَضِيبَ الَّذِي يَضْرِبُهُ بِهِ يَسْمَى مِطْرَقَةً
وكذلك مِطْرَقَةُ الْحَدَّادِينَ وَإِطْرَقَتِ الْإِبِلُ وَتَطَارَقَتْ إِذَا ذَهَبَ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ..
وَطَارَقَ الرَّجُلُ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ إِذَا ظَاهَرَ بَيْنَهُمَا؛ أَي لَبَسَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ.¹ ويلاحظ
أن مادة (طَرَقَ) دارت حول الضرب في الباطن، فطرقُ الصوف يكون بضرب
باطنه لينتفش وكذلك في طرق الحديد لِبَسْطَةِ يَطْرُقُ بَاطِنَهُ بِالْمِطْرَاقِ حَتَّى يَتَسَّعَ.

ومن دلالة كذلك جاءت الإبل مطاريق، أي تتبع بعضها بعضاً... ومن طارق
الرجل بين الثوبين تبيّن أن الطرائق جمع طريقة والطريقة واحدة شيء مكون من
طبقات بعضها فوق بعض.

وقد فسر السعدي الطرائق بأنها: "تدل على الطريق، والطريق إنما هي للسير،
أي أنها مسارات، والطرائق هي مسارات ومدارات السماوات السبع، فهذا وصف
للسماوات السبع بأنها (طرائق) سبع فهي توجد في طرق ومسارات سبع فهي تسير
في سبع طرق معلومات، وهذه المسارات يقع بعضها فوق بعض توازي في
مساراتها بعضها البعض"². يقول عبد المجيد: "لقد بينت هذه الآية أن كل السماوات
طرائق: أي أن كل سماء تتأثر من باطنها؛ أي من السماوات التي أسفل منها ومن
الأرض، وأن كل سماء مستقلة بذاتها وبمسارها مع أنها جزء من باقي السماوات
وهذا يوافق قوله تعالى ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾³

¹ الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص 669. (م.س). وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 196/197. (م.س).

² السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص 64. (م.س).

³ سورة فصلت، الآية [12].

ويضيف العرابلي بقوله: "وأن في وصف السماوات بالطرائق ما يفيد النفس الذي أشارت إليه آية فتق السماوات والأرض"¹. ومما سبق نلاحظ أن هناك اتفاقاً حول تعريف الطريق من معظم أقوال المفسرين كما سنرى في اللغة على أن الطرائق بمعنى الطريق.

المطلب الثاني: الطرائق السبع في القرآن الكريم:

ومن أقوال المفسرين في الآية الكريمة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾². يقول السمرقندي في تفسيرها: "سبع طرائق سبع سماوات بعضها فوق بعض كالقبة والطرائق واحدها طريقة، ويقال طارقت الشيء يعني إذا جعلت بعضه فوق بعض، وإنما سمي الطرائق؛ لأن بعضها فوق بعض... وغلط كل سماء خمسمائة عام وبين كل سماءين كذلك"³

ويقول صاحب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل: "سبع طرائق يعني السماوات وسماها طرائق؛ لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل الأفلاك لأنها طرق الكواكب"⁴. ويقول صاحب الجامع لأحكام القرآن: "سبع طرائق، أي سبع سماوات وطارقت الشيء؛ أي جعلت بعضه فوق بعض، فقيل للسماوات طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة، وقيل لأنها طرائق

¹ العرابلي، حقيقة السماوات، ص86/87. (م.س).

² سورة المؤمنون، الآية [17].

³ السمرقندي، تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، ج2، ص410. (م.س).

⁴ بن جزى الكلبي، محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط4، 1403هـ/ 1983م. ج3، ص49. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: التسهيل لعلوم التنزيل.

الملائكة¹. أما في تفسير التحرير والتنوير "طرائق جمع طريقة... وهي الطريق شبه بها أفلاك الكواكب"² والتشبيه بالطرائق يعني أن كل الأجرام تتحرك. يقول الله تعالى ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³ والأفلاك هي مجاري النجوم.

وقوله (سبع طرائق) قال مجاهد يعني السماوات السبع، وهذه كقوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁴ وقوله ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁵ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾⁶ وهكذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾⁷ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾⁸

ولعل وصف السماوات بالطرائق؛ لأنها طرق للملائكة⁹ لقول الله تعالى ﴿يُدَبِّرُ

الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾¹⁰

وقوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾¹¹

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص104.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص27، (م.س).

³ سورة يس، الآية [40]، وسورة الأنبياء، الآية [32].

⁴ سورة الملك، الآية [3].

⁵ سورة نوح، الآية [15-16].

⁶ سورة الطلاق، الآية [12].

⁷ سورة المؤمنون، الآية [17].

⁸ سورة الحديد، الآية [4].

⁹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص242-243.

¹⁰ سورة السجدة، الآية [5].

¹¹ سورة الشعراء، الآية [4-5].

فسميت السماوات بالطرائق؛ لأنها طُرق لتنزلات الملائكة ولأنها طرق لنزول أمر الله إلى الأرض بالآيات، وطرق لنزول المطر، كذلك توجد في مسارات وطرق مساراتها سبع.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "سبع طرائق" أي؛ سبع سماوات طباقاً كل طبقة فوق الأخرى قد زينت بالنجوم والشمس والقمر".¹

ف قيل للسماوات طرائق؛ لأنها فوق بعضها البعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وورود لفظ (السماوات) بالجمع يدل على تمييز الموصوف إلى طبقات.

ويقول البقاعي: "ولما بيّن لهم أن فكرهم فيهم يكفيهم، ولاعتقاد البعث يعنيهم أتبعه دليلاً آخر بالتنكير بخلق ما هو أكبر منهم، وبتدبيرهم بخلقه خلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم فقال: "ولقد خلقنا فوقكم" في جميع جهة الفوق في ارتفاع لا تتركونه حق الإدراك" وإرادة التعظيم أضاف إلى جمع كثرة فقال "طرائق" أي سماوات لا تتغير عن حالتها التي دبرناها عليها إلى أن نريد وبعضها فوق بعض متطابقة، وكل واحدة منها على طريقة تخصها وفيها طرق لكواكبها... وأصل الطرق الضرب ومع كون السماوات مطابقة بعضها فوق بعض فهي طرق للملائكة ينتزلون فيها بأوامره سبحانه وتعالى"² مما سبق من عرض لآراء المفسرين يتبين بأن الطرائق هي السماوات المتطابقة بعضها فوق بعض، وكما يظهر من التفاسير أن

¹ السعدي، عبد الرحمن، بن ناصر، ت(1376هـ)، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: بن عثيمين مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1421هـ/ 2000م، ج1، ص549. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

² البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص189-190. (م.س).

"الطرائق" الفلكية هي نفسها السماوات السبع يقول صاحب تفسير القرآن العظيم: "لما ذكر الله تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السماوات السبع، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السماوات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾¹

المطلب الثالث: الطرائق السبع في العلم:

ظهر من أقوال المفسرين أن (الطرائق) هي السماوات والسماوات تسير في سبع طرق معلومات، وهذه المسارات يقع بعضها فوق بعض فالسبع طرائق كما ورد في كتب اللغة هي السبع الطباق. كما أن (الطرائق)؛ هي الأفلاك التي تحدث نتيجة السباحة الكونية للأجرام² والأفلاك هي السماوات. فالطرق سميت بالأفلاك والأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب وجميع الكواكب سيارة متحركة تجري في هذه الطرق. أما فيما يقوله العلم، فنقول عالمة الفيزياء (ليزا داندال): "قد ألفت كتاباً مشهوراً يحمل "الطرق المتعرجة" تكشف خفايا الكون، أبعاد الكون المخفية وتقول: "عندما أناقش موضوع الأبعاد العليا سأستعمل كلمة طرق (طرائق) في عناوين أجزاء الكتاب"³

¹ سورة غافر، الآية [57].

² السباحة الكونية: حركة انتقالية للجرم مصحوبة بحركة ذاتية من الجسم المتحرك، والسبح قانون عام يشمل الوجود كله، قال الله تعالى: "كل في فلك يسبحون" سورة الأنبياء آية 33. انظر: حسب النبي، سباحة الأرض وجريانها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1417هـ/1997م، ص27. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: سباحة الأرض وجريانها. وانظر: السعدي، داوود سلمان، أسرار الكون في القرآن، ص80. ولفظة القرآن (يسبحون) هي اللفظة الصحيحة، وليس (يدورون)، وذلك؛ لأن (الدوران) يخالف حقيقة (اتساع السماء)، فالدوران يبدأ بنقطة وينتهي عندها، فمثلاً جسم يتحرك محافظاً على مسافة ثابتة من نقطة ثابتة فلا بد أن يعود إلى النقطة التي انطلق منها من الاتجاه الآخر، فتوسع السماء يلغي مفهوم الدوران. انظر: الشديفات، الله فاتق الرنق، ص292-294. (م.س).

³ الشديفات، الله فاتق الرنق، ص360-361. (م.س).

يبدو أن هذه العالمة استخدمت اللفظة الصحيحة وهي لفظة القرآن الكريم، فالطرائق هي الأفلاك.

إن كلمة (فوقنا) في الآية السابقة تعني أننا نقع تحت تأثير سبعة (أفلاك) وهي الأفلاك تسبح فيها الأجرام السماوية من الأصغر إلى الأكبر، إذ إن حركتها تكون ضمن (فلك) ووصفت هذه الحركة في هذه الأفلاك (بالسباحة) فانتهال الأجرام في المدار مصحوب بحركة ذاتية منها".¹

فهذه الأجرام السماوية توزع في طبقات يجعل أفلاكها أي مداراتها محلاً كالطرائق؛ فالقرآن الكريم تفرد دون أي كتاب نسبة الحركة للأجرام السماوية ذاتها، وجعل مساراتها (طرائق).

ويصور الشديفات السباحات في (أفلاك) فيقول: "إن هذه السباحات للأجرام ستترك لنا سبعة أفلاك عليا نقع تحت تأثيرها وهذه الأفلاك هي:

1. فلك الأرض الذي يسبح فيه.
2. فلك الشمس الذي يسبح من.
3. فلك مجرتنا (درب التبانة) التي تسبح في فلك.
4. مجموعة المجرات المحلية التي تسبح في فلك
5. فلك عنقود المجرات الذي يسبح في فلك
6. حشود المجرات العظمى التي تسبح في
7. فلك "الحائط العظيم"²

¹ حسب النبي، سباحة الأرض وجريانها، ص38. (م.س).

² الشديفات، الله فاتق الرتق، ص348. (م.س).

وفي تعليق لأبي العينين على ذلك بقوله: "ويبدو أن هذه الأجرام الكثيرة التي لا ترى كلها تسبح في طبقات الفضاء؛ فكل طبقة من الفضاء تحوي كواكبها ونجومها ومجراتها في محيطها، فالأفلاك¹ محلات للأجرام السماوية كالطرائق؛ فهناك في الفضاء اللانهائي بلايين الكوكبات والمجرات والسدم التي تسبح في فضاءات سماوية متتابعة يعلو بعضها البعض. فلماذا لا تكون طبقات الفضاء هي السماوات السبع.² ويضيف على ذلك بقوله "لفظة السماء تدل على كل ما يقع فوق الأرض من جميع الجهات؛ فهي تتضمن نطاق الغلاف الغازي للأرض ثم يعلو هذه الطبقات الغازية السماء الدنيا التي تسبح فيها المجرات ومنها مجرة (درب التبانة)³ التي تعد شمسنا وكواكبها جزءاً منها، ويعلو هذه (السماء الدنيا)⁴ (سماء سابعة) هائلة الامتداد تقع فيها السدم وما وراءها والله أعلم.⁵ واستناداً إلى منجزات علم الفلك حاول بعضهم أن يصور السماوات السبع كسماوات متتالية يقول القبيسي: "السماء الأولى تضم كل ما في نظامنا الشمسي بشعاع عشرة مليارات كيلو متر تقريباً، والسماء الثانية: تضم ملايين النجوم القريبة من الأرض، والسماء الثالثة: تضم مجرتنا (درب التبانة) التي يبلغ قطرها مائة وخمسين ألف سنة ضوئية تقريباً، والسماء الرابعة: تضم مع

¹ الأفلاك: مفردها الفلك: مصطلح تراثي قديم، يعني في اللغة العربية مدار النجوم، وفي التراث الفلكي: جسم كروي مشفّ مجوّف. انظر: الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص876. (م.س). وانظر: مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص343. (م.س).

² أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ص71. (م.س). وانظر: الحسيني، دليل الحيران في آيات من القرآن، ص98. وانظر: الطوخي: السماء والأرض والفضاء، ص71. (م.س).

³ درب التبانة: وشاح ضعيف ومضيء يحيط السماء، ويشبه القرص علماً بأن قطر مجرتنا يحتمل أن يكون مساوياً 300 ألف سنة ضوئية وبكتلة أكثر كثافة في المركز تصل إلى 10.000 آلاف سنة ضوئية. انظر: مجموعة من الباحثين الإيطاليين، قراءة في سطوح السماء، ص283. (م.س).

⁴ سبق ذكرها ص46.

⁵ أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ص72. (م.س).

مجرتنا التجمع المحلي لأكثر من عشرين مجرة بقطر ثمانية ملايين سنة ضوئية تقريباً وهكذا دواليك مروراً بالتجمعات الفائقة للمجرات حتى السماء السابعة الأخيرة¹.

وفي سياق منجزات علم الفلك أضاف العبيدي بقوله: "لقد تم تقسيم السماوات في علم الفلك إلى عدة سماوات، وأن بين كل سماء وأخرى بوابات خاصة، وهذه السماوات هي سماء الأرض، وسماء المجموعة الشمسية، وسماء مجرتنا (درب التبانة) وسماء المجرات المحلية، مجموعة المجرات الكبرى، نهايات الكون المرئي"² ثم يستطرد قائلاً: "وكل سماء من السماوات تسبح حول مركز السماء الأعلى منها عكس عقرب الساعة، فالأرض مع سمائها (الغلاف الجوي) يسبح في سماء المجموعة الشمسية حول الشمس عكس عقرب الساعة، والشمس مع توابعها تسبح في سماء المجرة (درب التبانة) بنفس الأسلوب وهكذا وهذا الدوران هو نفس دوران الحجاج حول بيت الله الحرام، وهذا هو أسلوب التوحيد في الخلق"³. ويشير عبد العليم خضر أن أمر هذه الكواكب محكوم بأمر الله: "فكل كوكب وكل نجم، وكل مذنب، يسبح في فلكه الذي قدر له لا يحيد ولا يتحول عنه، والكل في وحدة متماسكة مترابطة بفعل الجاذبية والتي تنطق بوحدانية الله خالق هذا النظام ومبدعه، ولكن تحتفظ الأجرام السماوية بأبعاد ثابتة فيما بينها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فيما بينها تجاذباً صغيراً محدوداً بحجم كل منها وكتلته وبعده عن الشمس، ووقت هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فيما بينها ثابتة، والأجرام وشمسها على مسافات وأبعاد تتحقق للجميع سباحاً وطوافاً دون تماس أو صدام؛ إنه ميزان الله

¹ قبيسي، دانيال، تنبؤات علمية على ضوء الدين، دار المناهل، بيروت- لبنان، ط1، 1416هـ / 1995م، ص42. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: تنبؤات علمية على ضوء الدين.

² العبيدي، خالد فائق، الفلك، ص60. (م.س).

³ العبيدي، خالد فائق، الفلك، ص49. (م.س).

الدقيق الذي أودعه في قانونه الأعظم للكون"¹ ويخلص القبيسي إلى: "إن هذا التقسيم يحمل معنى (الطباق) وهو (التطابق)؛ أي المساواة في الحجم مع التداخل، وبهذا تكون السماء الأولية قد قسمت إلى سبعة أقسام متساوية، وهذه الأقسام ليست متجاورة أو متراكبة بل هي متداخلة فيما بينها على كل المستويات؛ فكل نقطة تضم جزءاً صغيراً من هذه السماوات مجتمعة، ولكن هي -أيضاً- مستقلة الواحدة عن الأخرى، تماماً كما اللون الأبيض يتضمن في جوهره كل الألوان الأخرى كما أن لكل سماء فضاءها الزمكاني الخاص بها من حيث الأبعاد ومادتها الخاصة الملائمة له".² فالسماوات السبع كما عند النجار متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل، وإلا ما كان جميع ما في السماء الدنيا واقعاً في داخل باقي السماوات السبع فيكون كل من القمر والشمس وهما من أجرام السماء الدنيا واقعين في كل السماوات السبع".³ ويؤكد الشديفات بأن السماوات مطوية حول بعضها بعضاً ومتطابقة تتوسع؛ ما يعني بأن السماوات تتحرك بداخل بعضها بحيث تتحرك السماء الدنيا في السماء الثانية، فيما تتحرك السماء الثانية في الثالثة والثالثة في الرابعة وهكذا.⁴ وإن الآيات تحمل معنى الحركة في سبعة أفلاك عليا وحركة الأفلاك وسباحتها الأصغر في الأكبر من ذلك بيان لأثر حركة السماوات السبع في بعضها على حركة الأفلاك في سماءنا فالسماوات الدنيا وكونها السماء الأخيرة من الداخل، فإن حركتها تقع تحت تأثير السماوات الست الأخرى.. فهذا الأثر الذي تركته السماوات على (مواد السماء الدنيا) يدل على وجود السماوات السبع الطباق.⁵ إن التداخل والتراكب بين الأفلاك الحاملة للعناقيد المجرية بعضها في بعض بين مفهوم، بل أثار وجود

¹ خضر، عبد العليم، المنهج الإيماني للدراسات الكونية، ص33. (م.س).

² قبيسي، دانيال، تنبؤات علمية على ضوء الدين، ص22. (م.س).

³ النجار، السماء في القرآن، ص278. (م.س).

⁴ الشديفات، الله فاتق الرئق، ص353. (م.س).

⁵ الشديفات، الله فاتق الرئق، ص353-367، بتصرف. (م.س).

السموات الطباق، وهذا يتضح من الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾¹ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾². وعليه واستناداً على ما تم عرضه يظهر من أقوال المفسرين أن "الطرائق" الفلكية هي نفسها السموات السبع يقول صاحب تفسير القرآن العظيم: "لما ذكر الله تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السموات السبع، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾"³ ويتضح من أقوال العلماء أن طبقات من الأفلاك في السموات والطرائق هي الأفلاك التي تحوي الأجرام السماوية وتضمها. فمجرات علم الفلك تعطي تصوراً وأثراً لوجود السموات السبع الطباق. وهنا يتطابق فهم العلم مع ما جاء به القرآن في تعريف الطرائق والذي أشار إلى ذلك قبل ألف وأربعمائة عام، ليأتي العلم اليوم ليؤكد ما جاء به القرآن الكريم.

¹ سورة الملك، الآية [3].

² سورة نوح، الآية [15-16].

³ سورة غافر، الآية [57].

المبحث الثاني: السماوات سبع طباق:

سأوضح في هذا المبحث مفهوم الطباق في اللغة، ومفهومها عند المفسرين، وما توصل إليه العلم الحديث في تفسير (الطباق)، لذا فإنني قمت بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

فالمطلب الأول: بيّن مفهوم الطباق لغةً، وتفسيراً.

وأما المطلب الثاني: بيّن مفهوم السبع طباق في العلم

المطلب الأول: السبع طباق في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾¹

يقول الزجاج: في معنى (طباق) أي: مطبق بعضها على بعض، وطباق مصدر طوبقت (طباقاً) (وتفاوت) أي ما ترى في خلقه السماء اختلافاً ولا اضطراباً². ويقول الأزهري "ونصب طباقاً على وجهين: أحدهما مطابقة طباقاً، والآخر من نعت سَبَع أي خلق سبعا ذات طباق، وقال الليث: السماوات طباق بعضها على بعض، وكل واحد من الطباق طبقة ويذكر فيقال طبق ويقال: طابقتُ بين الشيء؛ إذا جعلتهما على حدو واحد"³.

¹ سورة نوح، الآية [15].

² الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم بن السري (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: دكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، 1418هـ، 1997م، ط2، م5، ص198. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: معاني القرآن وإعرابه.

³ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت370هـ) تهذيب اللغة، تقديم: فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، م3، ص32.

بينما يرى العراقي في كتابه "حقيقة السماوات" بأن: "طباق كل شيء غطاء ما تحته، ولا يكون ما تحته زائداً، ولا يكون الشيء طباقاً حتى يكون كقطعة واحدة لا خلل فيها، ولا فرجة وتعلو كل ما تحتها فكل سماء مطبقة على ما تحتها، وهن مطبقات على الأرض؛ فلا شقوق ولا فطور ولا تباعد بين أجزاء كل سماء، ولا بين كل سماء وسماء فلا طباق من متباعدات ولا متفرقات".¹

ويقول السمرقندي في تفسيره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ﴾ يعني أفلم تنظروا فتعتبروا كيف خلق الله تعالى ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ يعني مطبقاً بعضها فوق بعض "﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾" يعني ضياء لبني آدم وإنما قال فيهن أراد به سماء الدنيا لأنه إحداهن"². بينما يرى صاحب تفسير الجامع لأحكام القرآن: "ذكر لهم دليلاً آخر: أي ألم تعلموا أن الذي قدر على هذا، فهو الذي يجب أن يُعبد، ومعنى (طباقاً): بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب.. وقال الحسن: خلق الله سبع سماوات طباقاً على سبع أرضين بين كل أرض وأرض وسماء وسماء خلق وأمر وقوله: "ألم تروا" على جهة الإخبار لا المعاينة، كما تقول: ألم ترني كيف صنعت بفلان كذا (وطباقاً) نصب على أنه مصدر؛ أي مطابقة طباقاً أو حال بمعنى ذات طباق، فحذف ذات وأقام طباق مقامه"³. وفي تفسير ابن كثير يورد المعنى بقوله: "أي واحدة فوق واحدة... والطباق عنده الكواكب السيارة التي تلي بعضها البعض"⁴ بينما يرى صاحب تفسير نظم الدرر: "ولما كانت المطابقة بين المتقابلات

¹ العراقي، حقيقة السماوات، ص 85-86.

² السمرقندي، تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم، ج3، ص407. (م.س).

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص278-279. (م.س).

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص425. (م.س).

في غاية الصعوبة لا يكاد يقدر عليها من جميع الوجوه أحد قال: "طباقاً" أي؛ متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها محيطتها بها "مالها من فروج" لا يكون تمام المطابقة إلا كذلك بالإحاطة من كل جانب"¹.

استناداً على ماتم عرضه من أقوال المفسرين يظهر أن السماوات سبعٌ، وطباق أي مطبقة على بعضها بعضاً وتحيط ببعضها بعضاً بحيث يغلف الخارج منها الداخل.

المطلب الثاني: السبع طباق في العلم:

في الحقيقة، هناك اختلاف في رؤية العلماء لمفهوم السبع طباق؛ فمنهم من يفسر السبع طباق بأنها الأغلفة الجوية لكل من الأرضين السبع، فالغلاف الجوي لأي من الأرضين مطبق ومحكم الإغلاق عليها فطباق هي صفة لكل سماء من السماوات، وليست للسماوات مجتمعة؛ أي أن كل سماء طباق على أرضها وليس على سماء أخرى... فالسماء الدنيا محكمة الإطباق على أرضنا، والحال كذلك بالنسبة لسماوات المخلوقات على الكواكب الأرضية الأخرى.²

ويضيف العرابلي: من الصعب الوقوف على عدد السماوات دون معرفة ما اختصت به كل سماء عن غيرها؛ فالآيات من سورة "فصلت" تبين أن كل سماء اختصت بأمر من الأمور فلكل سماء مهمة أوحيت إليها بها"³

¹ البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص171. (م.س).

² الرياحي، نجم الشعري في القرآن الكريم، ص182. (م.س).

³ العرابلي، حقيقة السماوات، ص82. (م.س).

وقد تبين لأهل العلم شيءٌ كثيرٌ عن طبيعة السماء التي أصبحت تسمّى بالغلّاف الغازي (الغلّاف الجوي) على اعتبار المادة التي تتكون منها، ومكانتها وعلاقتها بالأرض؛ فالغلّاف الجوي قسم إلى طبقات سبع.¹

بينما يفسر هارون يحيى (السبع الطباق) بأنها طبقات الغلّاف الجوي فيقول: "بينما كان الناس قبل 14 قرناً يظنون أن السماء قطعة واحدة ذكر القرآن بشكل معجز بأن السماء تتكون من طبقات مختلفة وأن عدد هذه الطبقات هو سبعة أما العلم الحديث فلم يتوصل إلى أن عدد طبقات الغلّاف الجوي المحيط بالأرض هو سبع طبقات إلا منذ بضع سنين"²

أما التفسير العلمي الآخر للسبع الطباق فهو الكواكب السيارة، وهو ما أورده الرازي في تفسيره: "إعلم أن القرآن - هاهنا - قد دل على وجود سبع سماوات، ونقل عن أصحاب الهيئة أن أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد ثم كرة الزهرة ثم كرة الشمس ثم كرة المريخ ثم كرة المشتري ثم كرة زحل...³ ويظهر من قول الرازي أن العدد غير مقصود لذاته؛ فلا سبيل للعقول البشرية إدراك المقصود من هذا العدد إلا أن التنصيص على وجود سبع سماوات يحتم علينا الإيمان بوجودها إلا أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد؛ فالرازي جعل لكل مكون من مكونات المجموعة الشمسية سماء."⁴

¹ الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص67. (م.س).

² هارون، يحيى، المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م. ص26- ص27 وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: المعجزات القرآنية.

³ الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص171. (م.س).

⁴ أبو العينين، مع آيات الله في السماء، ص70. (م.س).

يقول الفندي: "أما السماوات السبع والله أعلم" تحديد للنوع مما خلق الله فوقنا من هواء - شهب - نيازك - أقمار - مذنبات - كواكب شمس داخل المجموعة الشمسية، وتتعدد هذه الأنواع إلى أن ما شاء الله من حيث العدد وهو معنى (طباقاً)¹ وفي غير موضع من كتابه يقول: "وأنا عندما أقول مثلاً أن السماوات السبع اسم للنوع إنما ألتزم بما نراه، ونرصده في كتاب الله المنظور، وأعني به الكون، وليست هذه نظرية، بل حقيقة علمية فمن منا يستطيع في ظل تعريف السماء لغة بأنها كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا ألا يقول إن الهواء سماء، وإن الشهب سماء".²

أما (الطباق) فيحتمل أن يكون المراد طباقاً كونها متوازية؛ لأن لكل كوكب حيزاً، وهذه الكواكب مجموع الأجرام السماوية المائتة للفضاء وليس لتلك الأجرام حد معلوم، أو تكون طباقاً باعتبار حركتها وحيزها وطبيعتها، فإنها تنقسم إلى نجوم وشموس وكواكب وتوابع، وذوات أذنان، وكلها بحسب الظاهر طبقات على حسب البعد عنها. "فكل جرم منها أرض تحيط بها سماء".³

استناداً على ما تم عرضه لأقوال المفسرين يظهر أن السماوات سبع، وطباق أي مطبقة على بعضها بعضاً وتحيط ببعضها بعضاً بحيث يغلف الخارج منها الداخل. وعند النظر في كلام العلماء القدماء والمحدثين في معنى السبع الطباق لوحظ أنهم يحملون معنى السبع الطباق على طبقات الغلاف الجوي والمجموعة الشمسية، ويبدو أن الرأي الأرجح هو أنها سبع سماوات طباق حقيقية فوق بعضها بعضاً وليست الكواكب أو النجوم ذلك؛ لأننا لو سلمنا لهؤلاء العلماء بأن السبع الطباق هي الشمس

¹ الفندي، الله والكون، ص243. (م.س).

² الفندي، الله والكون، ص301. (م.س).

³ الطوخي، السماء والأرض والفضاء، ج5، ص74. (م.س).

والنجوم فأين باقي المجرات وبقية النجوم وعناصر السماء الأولى، (محتوياتها) فهنا نخرج تلك العناصر عن السماء الأولى وتبقى بقية السماوات الأخرى خارج التعريف، وهذا نقص في الفهم. واتكأً على ذلك يتبين أن هناك اتفاقاً في تحديد مفهوم السبع طباق بين نظريات العلم والقرآن؛ حيث بين المفسرون أن السموات سبع طباق، وأن العلماء قالوا بوجود سبع طبقات للغلاف الجوي، ويبدو من قولهم أنها سبع سماوات طباق حقيقية.

المبحث الثالث: السبع الشداد في القرآن الكريم والعلم:

يتطرق هذا المبحث لبيان مفهوم السبع شداد عند المفسرين وممن بحث في

الإعجاز العلمي في الآيات الكونية.

"يقول الله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾¹ "أي؛ سبع سماوات محكمات؛ أي محكمة

الخلق وثيقة البنين"² ويقول المفسر محمد عبده: "والسبع الشداد" هي الطرائق السبع، وهي ما

فيها من الكواكب السبع السيارة المشهورة، وخصها بالذكر لظهورها ومعرفة العامة لها، وإلا

فقد بني ما هو أعظم منها، وهو ما وراءها من عوالم السماوات، ووصفها بالشدة لأنها محكمة

متينة، لا يؤثر فيها مرور الزمان"³. والذي يبدو للباحثة من، أقوال المفسرين أن هذا وصف

للسماوات بأنها سبع شداد، قويات، محكمات بالنص القرآني الكريم، وما فسره محمد عبده

بأنها الطرائق السبع أي طرائق الكواكب السيارة الظاهرة والمعروفة لدى العامة، وهذا ما

تشير إليه كلمة "فوقكم" وما هذا إلا أثر وجود السبع سماوات الطرائق المطبقة بعضها على

بعض. فكما هي طرائق الكواكب السيارة مطبقة على بعضها بعضاً، هكذا السماوات السبع

فطرائقها سبع مطبقة على بعضها بعضاً، وما أثبتته العلم، ما هو إلا أثر لوجود السماوات

السبع الشداد الطرائق، حيث أثبت أن الأفلاك السابحة في بعضها البعض بدءاً بفلك القمر إلى

فلك الحائط العظيم، أنها شديدة نبقى تحت تأثيرها، وما هذا إلا أثر لوجود السماوات السبع

الشداد.

وهذا ما أشار إليه الشديفات بقوله: "فالسبع الشداد هي الأفلاك التي تسبح فيها

الأجرام السماوية من الأصغر إلى الأكبر، ويقول: "وهي الطرائق حسب ما أشارت

¹ سورة النبأ، الآية [12].

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م10، ج19، ص150 (م.س).

³ محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج5، ص329. (م.س).

إليه عالمة الفيزياء (ليزا داندال) في كتابها "الطرق الطرائق المتعرجة، تكشف خفايا
أبعاد الكون المخفية" إذ قالت: "عندما أناقش موضوع الأبعاد العليا "الأفلاك"
سأستعمل طرق (طرائق) في عناوين أجزاء الكتاب".¹

ما تم عرضه من أقوال المفسرين وآراء العلماء تبين أن مفهوم السبع الشداد هي
السبع سماوات، وجاءت بمعنى السبع طرائق في العلم.

¹ الشديفات، الله فاتق الرتق، ص360-361 بتصرف. (م.س).

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي في آيات السماء في القرآن الكريم

جزء من السماء العامة خُصص، فكل مستوى من مستوياتها مختلف عن الآخر، مما يدلُّ على أن السماء متعددة فقول الله تعالى "سماوات" هو دليل على تعددها، فالله سبحانه وتعالى يقسم بكل نوع من السماوات مخصصة بالبروج، والحبك، والرجع، مما يعرفه وما سيرفه الناس على مر العصور فذكر الله تعالى لهذه الأوصاف السماوية خَصَّصَ العام من السماوات فكل واحدة في العلو تختلف في صفاتها عن الأخرى وإلا لخاطبهم الله تعالى بها بشكل متشابه وهذا ما أشار إليه المفسر الشنقيطي بقوله: "وحمل نصوص الوحي على مدلولاتها اللغوية واجب إلا لدليل يدل على تخصيصها أو صرفها عن ظاهرها المتبادر منها كما هو مقرر في الأصول".¹

فذاذ الرجع هي مستوى السماء الذي فيه الغيوم، وذاذ البروج منازل النجوم، وذاذ الحبك؛ هي مسارات ومدارات الأجرام والمجرات فكل مستوى مختلف عن الآخر.

فتعريف السماء يكون بما فيها من حبك ومسارات وهذا ما أشار إليه اليماني في كتابه فقال: "إن كلمة السماء تعني محتواها من المجرات والأجرام السماوية، فبدون هذا المحتوى لا يكون هناك سماء، ولا يمكن تصور السماء إلا بمحتواها".²

¹ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (ت1393هـ)، أضواء البيان تفسير في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، 1415هـ/1995م، ج2، ص266. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: أضواء البيان تفسير في إيضاح القرآن بالقرآن.

² اليماني، الكون في القرآن الكريم، ص63. (م.س).

ويتطرق هذا المبحث إلى أقوال اللغويين والمفسرين والنظريات العلمية في الآيات الكريمة: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾¹، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾² و﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾³.
لقد تناولت هذه الآيات ظواهر كونية قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً، جاء العلم بعدها ليكتشف صدقها وإعجازها ، وذلك تأكيداً للإعجاز العلمي الذي يمتاز به القرآن الكريم.

المطلب الأول: السماء ذات البروج:

فيما يخص دلالة النص القرآني تعددت رؤى المفسرين فمنهم من قال إن المقصود منه هو التنبيه إلى روعة خلق السماء وإتقان صنعها، ومنهم من قال بأن المقصود بالتنبيه إليه: هي النجوم التي تنتشر فيها بتجمعاتها المبهرة إلى قائل بأن المقصود بذلك: هي منازل الشمس والقمر عبر تجمعات تلك النجوم.⁴ من جهة القسم، فالقسم الذي جاء في الآية الكريمة ينبّه إلى أهمية الأمر المُقسم به لكن، ما هي هذه البروج التي في السماء والتي أقسم الله تعالى بها، وسمى سورة من سور القرآن باسمها؟ لذا على الباحثة أن تبين مفهومها لغة وقرآناً.

الفرع الأول: البروج في اللغة:

ورد عند الأزهرى في كتابه "تهذيب اللغة" في معنى برج "بَرَجَ: قال الليث: البُرُوجُ واحد من بُرُوجِ الْفَلَكَ، وهي اثنا عشر بُرُجاً، كل بُرُجٍ منها مَنْزِلَاتٌ وَتُلُثُ

¹ سورة البروج، الآية [1].

² سورة الذاريات، الآية [7].

³ سورة الطارق، الآية [11].

⁴ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص323. (م.س).

والقصر وفي الفلك: منطقة من السماء تقع على الدائرة¹ العظمى لمدار الشمس التوهمي حول الأرض الدائرة (الكسوفية) ويبلغ عدد البروج اثني عشر بُرجاً موزعة بالتساوي على فصول السنة الأربعة² وردت لفظة (البروج) مرتبطة بالسماء ثلاث مرات في القرآن الكريم في مواضع مختلفة كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾³ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾⁴ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾⁵ وقد جاءت كلمة (البروج) بمعنى: الحصن مرة واحدة في قوله تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا دَرَككُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾⁶ وجاء الفعل (تَبَرَّجَ) والاسم (تَبَرُّجٌ) والصفة (مُتَبَرِّجَاتٍ) في النهي عن السفور وإبداء الزينة.⁷

¹ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الكبير، مؤسسة روز اليوسف، 1427هـ / 2006م، ج2. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: المعجم الكبير.

² انظر: غوري، إبراهيم حلمي، كوكبات النجوم والبروج، دار الشروق العربي- بيروت، ص16-17. (م.س) وانظر: موسى، علي حسن، بروج السماء، مطبعة الشام- دار مشق، (د.ط)، (د.ت)، ص6-7. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: بروج السماء.

³ سورة الحجر، الآية [16].

⁴ سورة الفرقان، الآية [61].

⁵ سورة البروج، الآية [1].

⁶ سورة النساء، الآية [78].

⁷ انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، م11، ص40. (م.س). وانظر: الزبيدي، تابع العروس، م3، ص292-294. (م.س).

الفرع الثاني: البروج عند المفسرين:

وفيما يخص أقوال المفسرين في بيان قول الله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾¹ يقول القرطبي: "في البروج أقوال أربعة: أحدها: ذات النجوم قاله الحسن وقتادة والثاني: القصور، قاله ابن عباس وعكرمة وهي قصور في السماء والبروج فيها الحرس، الثالث: ذات الخلق الحسن، والرابع: ذات المنازل وهي اثنا عشر بُرْجاً: وهي منازل الكواكب والشمس والقمر، يسير القمر في كل بُرج منها يومين وثلاث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يوماً ثم يستتر ليلتين، وتسير الشمس في كل بُرج منها شهراً وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والبروج في كلام العرب: القصور"² قال الله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾³ ويقول محمد عبده: "البروج جمع برج يطلق في اللغة على الحصن وعلى القصر، وعلى البروج الإثنى عشر التي ترى صورها في الأشكال الحاصل من اجتماع بعض الكواكب على نسب خاصة وتنتقل فيها الشمس،⁴ ويقول: "وقد فسرت البروج في الآية بالنجوم وبالبروج وبالقصور على التشبيه ولا ريب في أن النجوم أبنية فخيمة عظيمة، فيصح إطلاق البروج عليها تشبيهاً لها بما يبني من الحصون والقصور في الأرض."⁵

وذكر صاحب الظلال: "السماء ذات البروج وهي إما أن تكون أجرام النجوم الهائلة، وكأنها

بروج السماء الضخمة، أي قصورها المبنية، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا

¹ سورة البروج، الآية [1].

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص244. (م.س).

³ سورة النساء، الآية [78].

⁴ عبده، محمد، تفسير القرآن الكريم، (جزء عم). Wwwwarab-rationalists.com ص56.

⁵ عبده، محمد، تفسير جزء عم، ص57. (م.س).

لْمُوسِعُونَ¹. وكما قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾² فالآية تربط بين السماء وما فيها من بروج هائلة واليوم الموعود وأحداثه الضخام والحشود التي تشهده، والأحداث المشهودة فيه، تربط بين هذا كله وبين الحادث ونقمة السماء على أصحابه البغاة،³ وإما أن تكون هي المنازل التي تنتقل فيها تلك الأجرام في أثناء دورانها، وهي مجالاتها التي لا تتعدها في جريانها في السماء والإشارة إليها توحى بالضخامة وهي الظل المراد إلقاءه في هذا الجو...⁴

قال الصابوني: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أي وأقسم بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة، التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها، وسميت هذه المنازل بروجاً لظهورها، وشبهت بالقصور لعلوها وارتفاعها، لأنها منازل للكواكب السيارة.⁵

وعلى ما تقدم من عرض فقد أورد أصحاب اللغة قولهم في معنى البروج: إنها جاءت بمعنى الحصن، وبمعنى القصور في السماء، فالبروج هي الحصون، وأما ما تستنتجه الباحثة من خلال النظر في كتب التفسير في معنى (البروج) فهي (المنازل) والمنازل هي المدارات في علم الفلك؛ فكل جرم سماوي مداره الخاص به؛ فهناك سبعة كواكب تدور حول الشمس تدعى كواكب المجموعة الشمسية؛ فهي متحركة وتقع في بُرج من الأبراج. ونستخلص، من ذلك أن البروج جاءت بمعنى القصور الضخمة، وجاءت بمعنى المنازل التي تنزل من خلالها الكواكب.

¹ سورة الذاريات، الآية [47].

² سورة النازعات، الآية [27].

³ قطب، في ظلال القرآن، ج30، ص3872. (م.س).

⁴ قطب، في ظلال القرآن، ج30، ص3873. (م.س).

⁵ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار التراث العربي، القاهرة، (د.ط) (د.ت)، م3، ص541. وعند إعادة ذكره ذكره سيشار إليه هكذا: صفوة التفاسير.

الفرع الثالث: البروج في علوم الفلك:

لقد أطلق العلماء الأقدمون على كل مجموعة نجمية منتظمة في السماء وفق ترتيب محدد، تصوروا بهيئة صورة أرضية أو إحيائية معينة، اسم كوكبة أو برجاً أو صورة سماوية¹.

ولكن هذه الكلمة (برج) كانت تستخدم سابقاً للدلالة على أية صورة نجومية أما في الأزمنة الحديثة استخدمت كلمة (الكوكبة) لتدل على أي صورة سماوية من صور دائرة البروج الثمانية والثمانين المحددة الآن، إلا أنه عند الحديث عن صور السماء في دائرة البروج، استخدم مصطلح "البرج" للدلالة على الكوكبة في نطاق فلك الشمس إن لفظة (البروج) مصطلح معروف لدى العامة ليبدل على صور السماء بخاصيتها وعامتها². وفي سياق الفهم العلمي لمعنى البروج، فإن العلماء اليوم لا يتحدثون عن بناء متكامل (برج متكامل)، إنما يتحدثون عن أعمدة، وجسور، وجدران، وقد يكتشفون حديثاً أو بعد مدة أن في الكون أبنية، كل بناء يشبه البرج في بنائه وهندسته وارتفاعه، وسوف يكون القرآن الكريم أول كتاب يتحدث عن هذه الأبنية الكونية العظيمة³ في قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾⁴

وللباحث عدنان الشريف رأي، وذلك بقوله (فالبروج) إذن: هي كل تجمع للنجوم وليس فقط منازل الشمس والقمر والكواكب بالنسبة للنجوم، وهي إثنا عشر تجمعاً من

¹ موسى، علي حسن، بروج السماء، ص6-7.

² موسى، علي حسن، (نفس المصدر) ونفس الصفحة، وانظر: هوكنز، جيرالد، بدائع السماء، ترجمة: الدكتور عبد الرحيم بدر، مراجعة: الدكتور فؤاد صروف، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، موسوعة فرنكلين، بيروت- نيويورك 1967، ص305-307.

³ كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص31-31. (م.س).

⁴ سورة الفرقان، الآية [61].

النجوم، سميت (بالبروج)، تسير في كل برج منها شهراً، ويسير القمر في كل منها يومين وثلاث يوم.¹

وهي تشكل شريطاً ممتداً على جانبي خلفية مدار الأرض حول الشمس بامتداد تسع درجات على كل من جانبيه، ويقسم إلى اثنتي عشرة منطقة أساسية يشغل كل منها حوالي 30 درجة من درجات خطوط الطول السماوية بزيادة أو بنقص قليل في كل منطقة. وتمثل هذه البروج الخلفية النجمية التي تجري عبرها المجموعة الشمسية على صفحة السماء² خلال السنة الشمسية³. وللبروج أهمية وظائفية في هذا الكون المتناسق والمحكم التنظيم فهي مسخرة للإسكاف بأطراف السماء الدنيا. إن البروج بنجومها وباقي أجرامها وعلى الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها، فهي مرتبطة مع بعضها بالاتزان الدقيق بين كل من قوى الجاذبية والقوى الطاردة المركزية، وعلى الرغم من تحركاتها بسرعة مذهلة في صفحة السماء⁴.

الفرع الرابع: وصف العلماء للبروج:

وهذه البروج تتوالى بمنظر ثابت يميز كل شهر على حده، وقسمها القدماء اثني عشر برجاً على مدار عام واحد لدوران الأرض دورة واحدة حول الشمس، وأعطوها أسماء تتمشى مع مهنة الرعي والزراعة التي كانت سائدة في قديم الزمان،

¹ الشريف، من علم الفلك القرآني، ص45. (م.س).

² النجار، السماء في القرآن الكريم، ص329. (م.س).

³ والسنة الشمسية: اسم لوحدة طبيعية من وحدات قياس الزمن تعتمد أساساً على دوران الكرة الأرضية حول الشمس، فالوقت الذي تستغرقه الأرض لتدور دورة كاملة حول الشمس بالنسبة إلى نقطة معينة هو السنة ويساوي ما يقارب 365 يوم وربع اليوم على التقريب وهي قطع الشمس البروج الإثنا عشر. انظر: مؤمن عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص265. (م.س).

⁴ النجار، السماء في القرآن، ص336.

بحيث يظهر في كل شهر برج بشكل معين في السماء بعدد شهور السنة، ابتداءً من شهر مارس الترتيب [الحمل- الثور- الجوزاء- السرطان- الأسد- السنبلة- الميزان- العقرب- القوس- الجدي- الدلو- الحوت].

وكلها أسماء عربية تخيلها الراصدون العرب بهذا الترتيب طبقاً لشكلها الذي يوحى¹ في نظرهم بهذه الأسماء.

قسم علماء الفلك منذ القدم النجوم التي تسبح في الفضاء إلى مجموعات عرفت باسم (الكوكبات)²، وقد ميّز العلماء أكثر من 28 كوكبة نجمية تقع في السماء الشمالية في نصف الكرة الشمالي، و 49 كوكبة نجمية تقع في السماء الجنوبية في نصف الكرة الجنوبي، وتشاهد 12 كوكبة حول الدائرة الكسوفية التي تمثل المسار السنوي الظاهري للشمس حول القبة السماوية، وتعرف باسم الكوكبات البروجية، ويمكن مشاهدة هذه الكوكبات في أي مكان من سطح الأرض في أوقات ظهورها في أبراجها.³

الفرع الخامس: البروج تجمعات من النجوم وليس منازل الشمس والقمر:

وفي المنظور الفلكي يعد البرج أو الكوكبة منطقة على الكرة السماوية تظهر بها مواقع للنجوم يعطي تقاربها إحياء بالشكل أو الهيئة المستوحاة من هذا التقارب، وحسب موقعها بالنسبة لخط الاستواء الوهمي للقبة السماوية يمكننا التمييز بين

¹ حسب النبي، منصور، سلسلة المعارف الكونية بين العلم والقرآن، ص8.

² الكوكبات: مفردها كوكبة، والكوكبة لا علاقة لها باسم الكوكب، فالكوكبة من كل شيء تعني المجموعة السماوية أو المجموعة النجمية التي تبدو للراصد كأنها صورة أو شكل معين في السماء وفي حقيقتها مجموعة نجوم إذ يقال (كوكبة من الفرسان)، (وكوكبة من النجوم). انظر: غوري، كوكبات النجوم والبروج، ص12. (م.س) وانظر: مؤمن، عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص402. (م.س).

³ أبو العينين، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص116. (م.س).

كوكبات نصف الكرة السماوية الشمالي (الكوكبات الشمالية) وكوكبات المنطقة الاستوائية السماوية (كوكبات دائرة البروج)، وكوكبات نصف الكرة السماوية الجنوبي (الكوكبات الجنوبية)¹⁻².

نلاحظ أن العلماء فسروا الآية الكريمة على أن البروج الكونية هي: النجوم التي تصطف بطريقة معينة توحى إليهم ببعض الحيوانات مثل الثور والعقرب والجدي، فأطلقوا على هذه أسماء البروج وعددها اثنا عشر برجاً³.

البروج تزين السماء بحيث إن كل برج منها يتكون من مجموعة من النجوم التي لا تقع في مستوى واحد إنها عظمة الإلتقان الإلهي في إبداعه لهذه الصور الجميلة في صفحة السماء وكل هذه الروعة سببها مواقع النجوم⁴. وعلى ما سبق، فإن البروج في سياق العلم، جاءت متعددة، فمنها ما جاء على أنها المنازل للقمر والكواكب الأخرى، ومنهم من قال بأنها تجمعات لنجوم بأشكال معينة على هيئة الحيوانات مثل الثور، والجدي، وهذا ما يعرفونه في عصرهم وحتى العصور هذه إلا أن اكتشافات العلماء عبر تلسكوباتهم بينت أن البروج ليست هذه المذكورة، وإنما هناك

¹ النجار، السماء في القرآن الكريم، ص332. (م.س).

² تم تقسيم السماء إلى قطبية شمالية، وقطبية جنوبية، والمنطقة المتوسطة بينهما إلى ستة أجزاء لتسهيل عملية التعرف على الإحداثيات السماوية للكوكبات، ولتسهيل معرفتها باستخدام علامات مرجعية، وقد قسمت الكوكبات إلى 88 كوكبة، استوعبت أنحاء السماء ورسمت ضمن زوايا قائمة كل صورة منها تسمى باسم الشيء المشبه لها، مثل كوكبة الجوزاء، وكوكبة الجاثي على ركبتيه، وقد استخدمت للكشف عن مواقع الأجرام والظواهر الكونية. انظر: مؤمن عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، ص401-402. وانظر: لين نيكلسون، علم الفلك، ترجمة علي مصطفى بن الأشهر، معهد الإنماء العربي، مكتبة الثقافة العلمية الميسرة، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1983، ص12. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: علم الفلك.

³ كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص31. (م.س).

⁴ الشديفات، الله فاتق الرتق، ص451. (م.س).

أبنية من النجوم والأبراج بل هي أعمدة وجدران وجسور تشبه البروج لعلوها وارتفاعها ودقة بنائها وهندستها.

المطلب الثاني: السماء ذات الحُبُك

قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾¹

تمهيد:

يقسم الله بصفات السماء، وذلك لعظمة مدلول هذه الصفات، في هذا المطلب سنقوم بتعريف إحدى هذه الصفات وهي الحُبُك، لغويًا ومن ثم سنخرج على أقوال المفسرين " في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ومن ثم نتناول دلالات الحُبُك في سياق العلم الحديث. السماء (ذات الحُبُك) بمعنى ذات الترابط المحكم الشديد: وهذا ينطبق على تلك "الخيوط الجبارة غير المرئية"، أو القوى التي تشد مكونات الكون إلى بعضها البعض²

الفرع الأول: الحُبُك في اللغة:

يشير الجوهري إليه بقوله "حَبَك: الحِبَاكُ والحَبِيكَةُ: الطريقة في الرمل ونحوه، وجمع الحِبَاكِ حُبُكٌ، وجمع الحَبِيكَةِ حَبَائِكُ"³.

وقوله تعالى وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ؛ هي ذات الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة، ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة

¹ سورة الذاريات، الآية [7].

² السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص135. (م.س).

³ الجوهري، حماد، الصحاح في اللغة والعلوم، ص178. (م.س).

بالبصيرة، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً تُبْطِلُنَا فَبِعَذَابِ النَّارِ﴾¹ قال الأصفهاني وأصله من قولهم بعير محبوبك القرا" أي: مُحْكَمُهُ، والاحتباك: شد الإزار². وكذا في كتاب مختار الصحاح، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قالوا: طرائق النجوم وقال الفراء (الحُبُكُ) تكسر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرت به الريح، ودرع الحديد لها حُبُكٌ والشعرة الجعدة تَكْسُرُهَا حُبُكٌ.³ وقد ورد في المعجم الكبير ما معناه (الحُبُكُ): "الشَّدُّ والإحكام" وتحسين أثر الصنعة" قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَالكَافُ أَصْلٌ مُنْقَاسٌ مطرد، وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد" وحبك الشيء حبكا: أي شدّه وأحكمه والثوب: أجاده وحسّن أثر الصنعة فيه يقال: "جَادَ حَبَكَ الثَّوْبَ" إذا أجاز نسجه" والحَبْلُ: شَدَّهُ والشَّعْرُ: جَعَدَهُ ومن صفة الدجال "مُحَبِّكُ الشَّعْرِ" والريحُ الرَّمْلُ والماء الساكن: مَوَجَّتَهُ وجعلت فيه طرائق" وحبك السماء: "طرائق نجومها"⁴، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي: ذات الطرائق الحسنة المحكمة" وحبك كل شيء ما تكسّر منه" والحبيك: "طرائق الرمل بما تحبُّكهُ الرِّيحُ إذا جرت" والحبيكة: "إحدى طرائق النجوم في السماء".⁵ ومن معاني "ذات الحبك" أن السماء ذات مسالك وطرق وأفلاك محددة لكل جرم من أجرامها على الرغم من تعاضم أعدادها واستمرارية

¹ سورة آل عمران، الآية [191].

² الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص217. (م.س).

³ الرازي، مختار الصحاح، ص67. (م.س).

⁴ محروس، عبد الصمد علي، وسليمان، إقبال زكي، المعجم الكبير، مراجعة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج5، ص41-44.

⁵ محروس، وسليمان، المعجم الكبير، ج5، ص41-44.

دورانها حول محاورها وسحبها في أفلاكها كل حول محوره وفي مداره المخصص له،¹ ومعنى آخر في (والسماوات الحكب) ذات الكثافات المتباينة في مختلف أجزائها؛ فهناك تباين في كثافة المادة السماوية بين النجوم والمجرات، يجعلها مجمدة كتجعد الرمل،² حيث تعمل على تماسكها وتماسك كل من أجرامها ومختلف صور المادة، وأشكال الطاقة وإلا لزالَت وانهارت³، ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾⁴.

وقد سبق القرآن الكريم اكتشاف العلماء بذكره أن الكون كله مليء بالمدارات أو الأفلاك والممرات المتشابهة.⁵ وإن في معنى التجعد والتثني أيضاً يضاف (معنى الاستدارة) على معنى الطريق، فيصير معنى (الحكب) هنا: الطرق المستديرة، أي (المدارات) وهذه الكلمة تعطي من المعنى فوق ما تعطيه كلمة (المسارات)، وهذا يدل على إعجاز الكلمة القرآنية ودقتها.⁶ فالأقدمون لم يعرفوا من النجوم إلا أنها تسير معاً في صفحة السماء من جهة لأخرى، ولم يعرفوا طرقها المستديرة أو مداراتها.⁷ ومن معانيها: "ذات الإحكام في الخلق"

¹ النجار، السماء في القرآن، ص313.

² النجار، السماء في القرآن، ص321.

³ سورة فاطر، الآية [41].

⁴ سورة فاطر، الآية [41].

⁵ يحيى، المعجزات القرآنية، ص16.

⁶ السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص134.

⁷ السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص134.

الفرع الثاني: الحبك في أقوال المفسرين:

وأما من جهة المفسرين وأقوالهم، والنظر والتمعن فيما قالوه، نجد أنهم لم يبتعدوا عن هذا المفهوم اللغوي لكلمة (الْحُبُكِ)، ففي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في تفسيره للآية: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يقول: قيل المراد بالسماء هاهنا السُّحْبُ التي تظل الأرض، وقيل هي السماء المرفوعة، وقيل السماء السابعة، (والْحُبُكِ) ذات الخلق الحسن المستوي، وحبك الثوب أجاد نسجه، وكل شيء أحكمته وأحسننت عمله فقد احتبكته، وهي ذات الزينة.¹ "وهي ذات النجوم" (وذات الطرائق) يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح (حُبُك) (ودرع الحديد لها حُبُك) والشعرة الجَعْدَةُ تكسرُها حُبُك (وهي ذات الشدة) لقول الله تعالى ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾² "وذات الحبك هي ذات الطرق" والمراد بالطرق: المجرة التي في السماء سميت بذلك لأنها كأثر المَجَرِّ³ ويرى صاحب الظلال في تفسير "السماء ذات الحبك فيقول: "يقسم الله سبحانه بالسماء المنسقة المحكمة التركيب كتتنسيق الزرد (أي الدرع) المتشابك المتداخل الحلقات" وقد تكون هذه إحدى هيئات السحب في السماء حين تكون موشاة كالزرد مجعدة تجعد الماء والرمل إذا ضربته الريح، وقد يكون هذا وضعاً دائماً لتركيب الأفلاك ومداراتها المتشابكة المتناسقة⁴. فالله يقسم بالسماء المنسقة المحبوكة على أنهم في قولٍ مختلفٍ مضطرب لا استقرار فيه كما هي

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص31. (م.س).

² سورة النبأ، الآية [12].

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص31-32. (م.س).

⁴ قطب، في ظلال القرآن، ج27، ص3375-3376. (م.س).

السماء المختلفة المدارات والمسارات، إذ يتضح اضطرابهم واختلافهم حين يعرض في ظل السماء ذات الحبك.¹

من خلال أقوال المفسرين تبين أن الحبك تعني المحكم والمنسق "والسماء ذات الحبك" بمعنى ذات الصنع المحكم الترابط وذات الطرائق الدقيقة والحسن الجميل.

الفرع الثالث: مفهوم الحبك في سياق النظريات العلمية:

إن أعظم اكتشاف في القرن الحادي والعشرين (هو النسيج الكوني)، وأن هذا النسيج يمثل أعظم بناء كوني رآه الإنسان في تاريخ البشرية،² ولذلك، فإن الله تعالى أقسم بهذا النسيج أن القرآن حق فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾³.

ويعتقد علماء الكون المعاصرون "أن الفوتونات التي تنتشت عند اصطدامها مع الدقائق الأولية تحدث اضطراباً قليلاً في الكثافة ينتشر كأموح صوتية محدثة تضاعفات وتخلخلات، والتضاعفات تسخن الغاز بينما تبرده التخلخلات، وبالتالي، فإن أي اضطراب في الكون المبكر يبقى ظاهراً كتغاير بسيط في درجة حرارة إشعاع الخليفة الكوني"⁴

¹ قطب، في ظلال القرآن، ج27، ص3376.

² كحيل، عبد الدايم، ظواهر كونية بين العلم والإيمان، ص142-143، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1429هـ/ 2008م، الإمارات العربية المتحدة، www.kaheel7.com وسيشار إليه عند إعادة ذكره هكذا: ظواهر كونية.

³ سورة الذاريات، الآية [23].

⁴ العمري، حسين يوسف، وأبو خرمة، محمود حسن، حبك السماء بالأمواج الصوتية والإعجاز في قوله تعالى "والسماء ذات الحبك" بحث، رقم (21 / 25)، جامعة مؤتة، الكرك، وجامعة البلقاء التطبيقية، عمان، - الأردن، ص2. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: حبك السماء بالأمواج الصوتية والإعجاز.

وفي سياق بحثهم في مجال الفلك ذكروا أن الفوتونات التي انبعثت من المناطق الأسخن الأكثر كثافة كانت تمتلك طاقة أكبر من طاقة الفوتونات التي انبعثت من المناطق المخلفة والباردة نسبياً، وبالتالي، فإن النمذجة والنسق للمناطق الحارة والباردة الذي أحدثته الأمواج الصوتية قد تجسّد كتغايير طفيف في درجة حرارة إشعاع الخلفية الكونية؛ فضغط الإشعاع الذي كان في حالة الرتق يعيق تقلص التجمعات الصغيرة للمادة وذات الكثافة الكبيرة¹

يقول العرابلي: "إن وصفنا للحبك بالطرق أو المسارات يُعطي إن هو جاء من دون تخصيص وتوضيح لمعناها معنى الطريق وحسب، أي طريق، وهو غالباً ما يكون في رأي العين مستقيماً، أو هو قد يكون غير منتظم". وأما (الطرائق) فهي لا تتقاطع؛ بل إن بعضها فوق بعض؛ فهي متوازية تماماً كما يقول الناس هي "طوابق"² ولقد تبين لعلماء الفلك أثناء رصدهم (للمادة المظلمة) عبر التلسكوبات الضخمة العملاقة (أن الأجرام السماوية تتحرك على هذه المادة عبر (طرق)³ من خصائصها (التموج والتعرج) ونظراً لذلك ستتخرج هذه المادة وتتموج، والمادة التي تستطيع أن تحمل كل هذه الصفات ذات الطرائق والعقد النسيجية المتموجة والمتعرجة السابحة سواءً كانت مادتها نسيجاً أم ماء أم رمالاً تسمى في اللغة العربية (ذات حبك).⁴

ويعتقد عدنان الشريف بأن العلماء المسلمين يفسرون (الحبك): بالقوى الكونية الأربعة [القوة النووية الشديدة، والقوة الذرية الضعيفة، والقوة الكهرومغناطيسية، وقوة

¹ عمري، حبك السماء، بحث رقم (25/5)، ص5. (م.س).

² السعدي، أسرار الكون في القرآن، ص134. (م.س).

³ انظر الملحق رقم (2).

⁴ الشديقات، الله فاتق الرتق، ص256. (م.س).

الاجاذبية]؛ لأنها تعمل على تماسك الأجرام، وتختلف صور المادة وأشكال الطاقة فيها بشدة. مع أن هذه [القوى الكونية] لم يذكرها القرآن الكريم، واكتفى بالإشارة إليها وبالرمز لها (بالحق، العمدة، الحبك)، ربما، لأن الناس في العصر السابق لم يكن مستواهم العلمي يسمح لهم بفهم كلمات علمية كالجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية والنووية، في حين أن معاني كلمات (الحق) (العمدة) و(الحبك)، هي مستوى كل الناس وفي جميع العصور. والله أعلم¹.

يقول عبد الدايم كحيل: " وأدركت بأن القرآن تحدث صراحة عن النسيج الكوني الذي يفتخر علماء الغرب اليوم بأنهم هم أول من تحدث عنه"².

ويقول الدباغ: "إن المتمعن لهذه الآية ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يجد التصريح بأن السماء ذات طرق محكمة النسيج، وانظر إلى التصوير البديع؛ فالنسيج المحبوك بإتقان يكون متداخلاً متشابكاً ولكن بجمال وتنظيم؛ فالدلالة أن السماء ليست فقط ذات مسالك وطرق وأفلاك بل كذلك أنها كثيرة متداخلة ومتشابكة في تنظيم وإحكام وجمال؛ فهي متقنة النسيج، والقسم بالسماء (ذات الحبك) إشارة إلى أنها ليست مجالاً حرّاً للسبح بل بطرق محددة، فهي ليست مجرد مسير عبثي فوضوي، بل هو سبوح محدد لغاية معينة³

¹ الشريف، من علم الفلك القرآني، ص63. (م.س).

² كحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص88. (م.س).

عن: http://www.mpa-garching.mpa.de/~jgc/hubble_public.html

وعن مقالة بعنوان " اكتشاف الخيوط الكونية باستخدام نموذج كاندلي "

.Detection of cosmic filaments using the candy model

³ الدباغ، مصطفى، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط1، 1982، ص87. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: وجوه من الإعجاز القرآني.

يقول أبو العينين: "يقسم الله تعالى بالسماء (ذات الحيك) المنسقة المحكمة التركيب المحبوكة الزرد المتشابك المتداخل الحلقات، ومع ذلك لا يحدث تصادم بين ملايين البلايين من المجرات والحشود المجرية والكوكبات والنجوم والكواكب والأقمار؛ فكل منها مسخر في مداره بمشيئة الله جل وعلا يسبح فيه بسرعة هائلة منتظمة دون ملل¹.

يرى الشديفات بأن "الحركة المستديرة التي تتحركها السماء على نفس طريقة حركة الورقة المطوية المتوسعة ستؤدي إلى حصول دوامات داخلية تعمل انبعاثاً أو تقوراً في وسط الدوامة، وهو ما يسمّى اليوم "بالثقوب السوداء"² ويسمّيها القرآن الكريم "الخنس" وبما أنها تشبه السلال أو الحفر فلا شك أنها ستعمل على جذب مخلفات الأجرام الكونية التي بلغت أجلها المسمّى وماتت، إذ إن وجودها ضروري في السماء لكي تعمل على تنظيم حركة الأجرام وسيرها، وتنظيف مخلفات النجوم، وجذب الإشعاعات والأضواء التي تملأ الكون، وهذه الثقوب تتأثر بحركة الكون المتوسعة والمستديرة فستجري بسرعات عالية، فهي خنس في ثقوبها وجوار كُنس في سرعتها وتنظيفها.³ وفيما يخص المادة المظلمة التي من خلالها تتحرك الأجرام السماوية، والتي تبين لعلماء الفلك أثناء رصدهم لها عبر التلسكوبات الضخمة العملاقة (أن الأجرام السماوية تتحرك على هذه المادة عبر (طرقاً) من خصائصها (التموج والتعرج)، ونظراً لذلك ستتخرج هذه المادة وتتموج، والمادة التي تستطيع

¹ أبو العينين، أحمد، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص126-127. (م.س).

² الثقوب السوداء: منطقة من المكان (الزمان)؛ حيث لا يمكن لأي شيء، ولا حتى الضوء، أن يفلت؛ لأن الجاذبية بالغة القوة، والثقب الأسود عادة هو بقية منضغطة لنجم ميت. أنظر: هوكنج، ستيفن، الكون في قشرة جوز، ص181، (م.س) وأنظر: هوكنج، الثقوب السوداء، ص249. (م.س).

³ الشديفات، الله فاتق الرتق، ص256-257. (م.س).

أن تحمل كل هذه الصفات ذات الطرائق والعقد النسيجية المتموجة والمتعرجة
السابحة سواء أكانت مادتها نسيجاً أو ماءً أو رمالاً تسمى في اللغة العربية (ذات
حبك)¹. فنتبين أن مفهوم (النسيج الكوني) (والحبك) لم يكن معروفاً زمن نزول
القرآن والتفسير الوحيد له في القرآن، قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾².

¹ الشديقات، الله فائق الرنق، ص256. (م.س).

² سورة الفرقان، الآية [6].

خلاصة المبحث: "السماء ذات الحبك"

يتضح من معاني كلمة الحبك في اللغة ما يلي:

1. السماء ذات الصنع المحكم والإبداع في الخلق

2. وهي ذات الروابط الشديدة والسبح المحكم

3. وهي ذات التباين الواضح في كثافة المادة المكونة لها.

4. وهي ذات المدارات المحددة لجميع الأجرام الجارية فيها.

وعليه، فالمعاني اللغوية تتسجم مع اكتشاف علماء الكون وتفسيراتهم، فهي تمتاز بقوة الأحكام المبين؛ ذلك لأنها بناء الله العلي القدير، وهي التي أشار إليها سبحانه في معرض التعريض بقدرته على الخلق قائلاً ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾¹ فلولا هذه الحبك لهوت النجوم وانتهى الكون كله. بالاعتماد على ماتم عرضه في سياق معرفة مفهوم السماء ذات الحبك، فإن أهل اللغة يقولون بأنها. "ذات الأحكام"، وذات مسالك وطرق محددة لكل جرم، محبوكة، بشكل حسن ومحكم.

وأهل التفسير يرون في أن "ذات الحبك" تعني من خلال أقوال المفسرين المحكم والمنسق "والسماء ذات الحبك" بمعنى ذات الصنع المحكم الترابط وذات الطرائق الدقيقة والحسن الجميل. وأما في سياق النظريات العلمية تبين أن "ذات الحبك" تعني أنها ذات الطرائق المتعرجة ولكنها المحكمة والمنسقة، وذات طرق محكمة النسج، والمحبوكة والمتشابكة ولكنها لا تصطدم، وعليه، نرى بأن هناك تشابهاً إلى حد كبير بين أقوال المفسرين والنظريات العلمية في تعريفهم لمعنى الحبك.

¹ سورة النازعات، الآية [27].

المطلب الثالث: السماء ذات الرجح:

سأتناول في هذا المطلب: مفهوم الرجح عند اللغويين، ومفهوم الرجح عن المفسرين، ومفهومه في العلم

الفرع الأول: مفهوم ذات الرجح عند اللغويين:

هذه صفة أخرى من صفات السماء تبين حقيقة من حقائق السماء، فبعد أن تعرف الإنسان إلى مكونات السماء الغازية وجد أن هناك دورة للمياه، ودورة لكل عنصر من عناصر الغازات.

فالماء الذي ينزل من السماء، ويسقط على الأرض، إما أن يتجمع ويجري لينتهي في البحار، وإما أن يلج في الأرض ليخرج ينابيع وأنهاراً، وإما أن يتبخر مباشرة من البر قبل أن يلج في الأرض ثانية، وإما أن ينتج من سطوح أوراق النبات الذي امتصه، أو يتبخر من سطوح البحار ليرجع مرة ثانية إلى السماء في دورة مستمرة في الأرض¹

من هنا يجب أن نبين مفهوم الرجح في اللغة، وكذلك مفهومه عند المفسرين، وكذلك تفسيره تفسيراً علمياً، يقول الله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْحِ﴾²، الرجح لغة هو: رَجَعَ يَرْجَعُ رجوعاً ورجوعاً أي انصرف والرجح محبس الماء، والرجح المطر، ورجح الصوت صده³.

¹ العرابلي، حقيقة السماوات، ص112. (م.س)، أنظر: النجار، السماء في القرآن الكريم، ص293، 296، 299.

² سورة الطارق، الآية [11].

³ أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على الطبع: حسن علي عطية ومحمد أمين، ط2، (د.ت) ج1، ص331.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أي ذات النفع، والرجع هو الغدير.¹

والرجع هو العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود والرجع الإعادة.

الفرع الثاني: مفهوم ذات الرجع عند المفسرين:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أي المطر، وسمي رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء،²

وسمي الغدير رجعا إما لتسميته بالمطر الذي فيه، وإما لتراجع أمواجه وتردده في

مكانه "والسما ذات الرجع، أي ذات المطر، ترجع كل سنة مطراً بعد مطر" وهذا

قول عامة المفسرين وأهل اللغة، قال عبد الرحمن بن زيد، الشمس والقمر والنجوم

يرجعن في السماء، تطلع من ناحية، وتغيب في أخرى، وقيل ذات الملائكة،

لرجوعهم إليها بأعمال العباد.³ والغازات التي أودعها الله تعالى في الأجواء ذات

رجع، فهذا الأكسجين الذي يستنشقه الإنسان ينفثه غاز فحم، ثم يأخذه النبات فينفثه

أوكسجيناً، فحتى الغازات لها دورة طبيعية، من أكسجين إلى غاز الفحم، إلى

أكسجين.⁴

فكلمة الرجع تعني الرد والإعادة، وكما هو معروف، فإن الغلاف الجوي المحيط

بالأرض يتكون من العديد من الطبقات، ولكل من هذه الطبقات وظيفة مهمة بالنسبة

للحياة على الأرض، وهذا فهم المفسرين الأوائل مثل ابن عباس، السحاب فيه المطر

تمطر ثم تمطر، وعن قتادة ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت

¹ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص343، مادة (رجع)، (م.س)، وأنظر: الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص368. (م.س).

² البغوي، معالم التنزيل، ج5، ص346. (م.س).

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م10، ج20، ص10-11. (م.س).

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص498.

مواشيهم¹، ويضيف سيد قطب أن هذان مشهدان (والسماة ذات الرجع) (والأرض ذات الصدع) يمثلان مشهداً للحياة في صورة من صورها حياة النبات ونشأته الأولى: ماءً يتدفق من السماء، ونبتٌ ينبثق من الأرض، قال سيد قطب: "الرجعة والابتلاء هو الحق، كما هي السماء ترجع بالمطر كل سنة"²

الفرع الثالث: مفهوم ذات الرجع في العلم:

في مسيرة العلماء للبحث عن المجهول في هذا الكون، والوقوف على بعض من استمراره، وفي سياق دراسة العلماء للغلاف الجوي تبين أنه "عند دراسة هذه الطبقات اتضح أن لكل منها خصائص إعادة المواد أو الأشعة التي تصل إلى الفضاء أو إمرارها إلى الأرض"³ وقد قسم العلماء الغلاف الجوي المحيط بالأرض إلى خمس مناطق فيها سبع طبقات، المنطقة الأولى هي: التروبوسفير (troposphere) نطاق موجود مباشرة فوق سطح الأرض، وهو نطاق رقيق جداً سمكه يتراوح بين 9كم فوق القطب و17كم فوق خط الاستواء، إنه أهم نطاق بالنسبة للحياة على الأرض، وذلك لأنه يحوي غاز الأكسجين وثاني أكسيد الكربون وهو الأساسي في عملية التمثيل الضوئي، ويحوي بخار الماء الخارج من البحار والمحيطات ومن اليابسة

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص498.

² قطب، في ظلال القرآن، ج30، ص3880. (م.س).

³ يحيى، هارون يحيى، القرآن والعلم، تعريب د. إبراهيم الصنافيري ص31، مكتبة الشروق الدولية - روكسي - القاهرة، 1425هـ/2004م وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: القرآن والعلم.

والذي يوزع في هذا النطاق، ويسقط على سطح الأرض غالباً على شكل مطر أو ثلج¹.

ففي نطاق التروبوسفير هذا تتكون الغيوم وتتحرك في جميع الاتجاهات وتمطر.

إن: يتكثف بخار الماء في هذه الطبقة، المتصاعد من الأرض ليعود إليها على هيئة مطر، وبذلك إن السماء تُرجع بخار الماء أمطاراً وترده لنا، كما أن الغازات في هذا النطاق، وفي النطق الذي تعلوه تمنع جزئياً أو كلياً الأشعة القصيرة الموجة الضارة من الوصول إلى الأرض، حيث تعكس جزءاً وتمتص معظم الباقي، وتمتص الأشعة الأرضية طويلة الموجة².

إن: هذه الطبقة تحافظ على نسبة درجات الحرارة في الليل أثناء غياب الشمس، وذلك بإرجاع الحرارة إليها على شكل غاز ثاني أكسيد الكربون CO_2^3

كما اكتشف علماء الفلك أيضاً طبقة الستراتوسفير (Stratospher) وهي الطبقة الرئيسية الثانية التي تلي طبقة التروبوسفير، فطبقة الستراتوسفير تمتد في المتوسط حتى ارتفاع 50 كم، فالكيلومترات العشرة الأولى من هذه الطبقة تمتاز بثبات درجة الحرارة، وعدم تغيرها بالارتفاع. والمصدر الرئيسي للطاقة في هذه الطبقة؛ هو الأشعة فوق البنفسجية التي تمتصها طبقة الأوزون الموجودة على ارتفاع

¹ صالحة، حكم عبد الجبار صالحة، الجيولوجيا العامة، ص39 كلية العلوم - قسم علوم الأرض والبيئة - جامعة اليرموك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان- العبدلي، ط1، 1426هـ - 2005م. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الجيولوجيا العامة.

² صالحة، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

³ البارودي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص28، (م.س).

(30-35) كم¹ وتحتوي هذه الطبقة غازات متميزة عن غازات ومكونات الطبقة التي دونها (التروبوسفير) فأهم مكونات هذه الطبقة الغازية هو غاز الأوزون الذي يعمل على إرجاع وعكس الإشعاعات الضارة فوق بنفسجية إلى الفضاء الخارجي، وبالتالي فهي تحمي الأرض من الإشعاعات الكونية الفاتلة، فهي تعتبر حاجزاً منيعاً يحول دون وصول كميات كبيرة من ضوء الشمس وحرارتها إلى الأرض.² ويقصد بقوله تعالى والسماوات ذات الرجوع أي أنها تقوم بإرجاع الإشعاعات الضارة عن الأرض.

يعد الأكسجين والإشعاع الشمسي فوق البنفسجي عاملين لتشكيل الأوزون³ الذي يتولد من الأوكسجين تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية. عرفنا مفهوم هذه الطبقة، وأين توجد وما هي أهميتها، وقد أطلق عليها القرآن الكريم كلمة سماء ووصفها بالرجع (اختصاراً)؛ لأن كل ما علا هو سماء فهي عموميات لجميع الأجيال.

ويتبين من خلال ما سبق أن الرجوع في اللغة هو الإعادة، كما في ظاهرة تكون المطر، من حيث المنشأ والمآل، وتبين النظريات العلمية - أن المقصود بالرجع أنها تقوم بإرجاع الإشعاعات الضارة عن الأرض. فالتشابه بين تفسير العلم لصفة "ذات الرجع" يتطابق إلى حد كبير مع ما أخبرنا به القرآن الكريم.

¹ شحادة، نعمان شحادة، علم المناخ المعاصر، الإمارات العربية المتحدة - دبي، دار القلم، ط1، 1419هـ/1998م، ص35. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: علم المناخ المعاصر.

² البارودي، مرجع سبق توثيقه، ص29.

³ موسى، علي حسن موسى، الأوزون الجوي، ص17 دار الفكر، دمشق - سورية - 1999م. وعند إعادة ذكره سيشار إليه هكذا: الأوزون الجوي.

نتائج الفصل الثالث:

من خلال العرض السابق لأراء كل من أهل اللغة والتفسير والعلم فيما يتعلق بمفهوم الطرائق السبع نستطيع أن نستخلص من التفاسير أن "الطرائق" الفلكية هي نفسها السماوات السبع. يقول صاحب تفسير القرآن العظيم: "لما ذكر الله تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السماوات السبع، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السماوات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى ﴿خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾¹ ويتضح من أقوال العلماء أن طبقات من الأفلاك في السماوات والطرائق هي الأفلاك التي تحوي الأجرام السماوية وتضمها. فمجرات علم الفلك تعطي تصوراً وأثراً لوجود السماوات السبع الطباق. وهنا يتطابق فهم العلم مع ما جاء به القرآن في تعريف الطرائق والذي أشار إلى ذلك قبل ألف وأربعمائة عام، ليأتي العلم اليوم ليؤكد ما جاء به القرآن الكريم.

وأما فيما يخص السبع الطباق، نلاحظ من خلال عرضنا لأقوال المفسرين أن السماوات سبع وطباق؛ أي مطبقة على بعضها بعضاً وتحيط ببعضها بعضاً بحيث يغلف الخارج منها الداخل. وعند النظر في كلام العلماء القدماء والمحدثين في معنى السبع الطباق لوحظ أنهم يحملون معنى السبع الطباق على طبقات الغلاف الجوي والمجموعة الشمسية، واستناداً إلى العرض السابق، يتبين لنا أن هناك اتفاق في تحديد مفهوم السبع طباق بين نظريات العلم والقرآن، حيث بين المفسرون أن السماوات سبع طباق، وأن العلماء قالوا بوجود سبع طبقات للغلاف الجوي، ويبدو من قولهم أنها سبع سماوات طباق حقيقية.

¹ سورة غافر، الآية [57].

أما فيما يتعلق بمفهوم السبع الشداد مما تم عرضه من أقوال المفسرين وآراء العلماء، تبين أن مفهوم السبع الشداد هي السبع سماوات، وجاءت بمعنى السبع طرائق في العلم.

وأما فيما يخص مفهوم "الموسعون" فقد تبين أن معنى "الموسعون" لقادرون على التوسع، طاقة الوسع التي من خلالها يتم التوسع، وفي نظريات العلماء أكدوا على أن طاقة الوضع تحول إلى طاقة حركة توسع السماوات، وفي هذا تطابق بين ما جاءت به نظريات العلم وبين ما أخبرنا به القرآن الكريم من أن الكون يتمدد ويتوسع، ويتفق العلم مع ما جاء به القرآن الكريم من أن الكون يتوسع، وأن هناك قوة وطاقة تعمل على تمدده وتوسعه.

وأما فيما يتعلق بمفهوم البروج، تبين من اللغويين في معنى البروج، أنها جاءت بمعنى الحصن، وبمعنى القصور في السماء والبروج هي الحصون، وأما ما تستنتجه الباحثة من خلال النظر في كتب التفسير، فإن (البروج) هي (المنازل) والمنازل هي المدارات في علم الفلك؛ فلكل جرم سماوي مداره الخاص به؛ فهناك سبعة كواكب تدور حول الشمس تدعى كواكب المجموعة الشمسية؛ فهي متحركة وتقع في بُرج من الأبراج. ونستخلص، من ذلك أن البروج جاءت بمعنى القصور الضخمة، وجاءت بمعنى المنازل التي تنزل من خلالها الكواكب، وفي سياق العلم، جاءت متعددة، فمنها ما جاء على أنها المنازل للقمر والكواكب الأخرى، ومنهم من قال بأنها تجمعات لنجوم بأشكال معينة: على هيئة الحيوانات مثل الثور، والجدي.

وفيما يتعلق بمفهوم "ذات الحبك" بالاعتماد على ماتم عرضه في سياق معرفة مفهوم السماء ذات الحبك، فإن أهل اللغة يقولون بأنها ذات الإحكام، وذات مسالك

وطرق محددة لكل جرم، محبوكة، بشكل حسن ومحكم، وأما أهل التفسير يرون في أن "ذات الحبك" تعني: "المحكم والمنسق" والسماة ذات الحبك" بمعنى ذات الصنع المحكم الترابط وذات الطرائق الدقيقة والحسن الجميل.

وأما في سياق النظريات العلمية تبين أن ذات الحبك تعني أنها ذات الطرائق المتعرجة ولكنها المحكمة والمنسقة، وذات طرق محكمة النسج، والمحبوكة والمتشابكة ولكنها لا تصطدم، وعليه، نرى بأن هناك تشابهاً إلى حد كبير بين أقوال المفسرين، والنظريات العلمية في تعريفهم لمعنى "ذات الحبك".

وفيما يتعلق بمفهوم "ذات الرجع"، تبين من خلال ما سبق أن الرجع في اللغة هو الإعادة وبهذا يتبين معنى "ذات الرجع" في العلم من خلال النظريات العلمية لتفسير ظاهرة تكوّن المطر، من حيث المنشأ والمآل، وتبيّن النظريات العلمية - كذلك - أن "ذات الرجع"؛ أي أنها تقوم بإرجاع الإشعاعات الضارة عن الأرض. فالتشابه بين تفسير العلم لصفة "ذات الرجع" قائم/ حاصل إلى حد كبير مع ما أخبرنا به القرآن الكريم.

النتائج النهائية

نتيجة الفصل الأول

هذا الجزء من البحث بعرض لما توصلت إليه الباحثة من خلال عرضها لأقوال أهل اللغة وأهل التفسير، وآراء العلماء القدماء والمحدثين فيما يخص موضوعه مفهوم السماء.

• من الملاحظ من خلال التعريفات اللغوية للسماء جاءت بمعنى السحاب، والمطر، والعلو، والسمو، وما علاك فأظلك. على أن السماء تأتي بصيغة المذكر، وكذلك بصيغة المؤنث، وذلك تبعاً للسياق الذي وردت فيه كلمة سماء، وجاءت معاني السماء لتدل على الارتفاع والسمو، وبمعنى "كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت (سماء) وللحباب "سماء"

• أما فيما يتعلق بمفهوم: السماء في القرآن الكريم فكانت النتيجة أن هناك تطابقاً في مفهوم السماء من اللغويين والمفسرين، وذلك، لأن؛ اللغويين فهموا السماء بمعنى السحاب، والمطر، والعلو، والسمو، والرزق، وما "علاك فأظلك" ولاحظنا من خلال العرض لأقوال المفسرين للآيات التي تدل على معنى السماء أنها بمعنى، المطر، والسحاب، والرزق، والعلو، وعليه يمكن القول أن هناك تطابقاً بين المعنى اللغوي للسماء، وبين معنى السماء في السياق القرآني.

• وفيما يخص مفهوم السماء في العلم، فقد تبين أنه ومن خلال العرض السابق لأقوال العلماء في مفهوم السماء، تبين أن السماء بمعنى الفضاء، وبأنه الساحة وما اتسع من الأرض، والقول إن الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سماوات فوق سماوات تتألف منها عوالم الكون.

وجاءت بمعنى "كل ما علاك فأظلك"، وجاءت -كذلك- بمعنى الفضاء السحيق المترامي الأطراف الممتد إلى ما لا نهاية، وهي الكون بأسره والوجود بكليته "وهي: كل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية، وبذلك فإنها كل ما يحيط بالكرة الأرضية". وفي الموسوعة الفلكية هي: "كل ما يحيط بنا من أجرام ومجرات ونجوم وسدم وكواكب وفراغ بينهما. والسماء كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها، ابتداء من الغلاف الجوي الذي يرتفع عن سطح الأرض.

- ومع ذلك تبقى بعض وجوه الحقيقة خفية، لا يعلمها إلا الله، بعدد السماوات وما هو المقصود بالسماوات، وليس لنا إلا أن نأخذ المعنى المجازي لها، ولكن العلماء حاولوا الاجتهاد في فهمها بناءً على المحسوس، وكما نعلم أن هناك أموراً لا يستطيع العقل البشري أن يتصورها، وهذا جلي، في محدودية العقل البشري على الإحاطة بالأبعاد، والأحجام، والأزمان المتعلقة بعدد النجوم والكواكب، والشهب ودرجة حرارتها، إنه خالق عظيم، لا يعلم سر هذا الوجود إلا الذي أبدعه. ما أردنا توضيحه وبيانه فيما سبق من أقوال العلماء المحدثين والقدماء في مفهوم السماء من جهة، وماذا يقول القرآن الكريم من جهة أخرى.

نتائج الفصل الثاني

فيما يتعلق بأصل بناء السماء من ناحية البناء والتكون في العلم والقرآن، تبين من خلال العرض أقوال المفسرين أن هناك شبه إجماع على معنى واحد في أصل تكون السماء وهو أن الله خلق الماء أولاً، ومن ثم خلق من الماء بخاراً كالمدخان ومنه خلق الله السماء ومن خلال العرض السابق لمفهوم البناء السماوي من خلال النظريات العلمية، متمثلاً بتعابير العلماء عن المفهوم، فقد تجلّى أن المدخان كان من الرتق السماوي الذي كانت فيه الأرض والسماء كتلة واحدة ففتقتا، مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ وعليه فإننا نرى بأن المدخان أصل تكون السماء وهذا يتطابق مع الآية القرآنية ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. وفي هذا تطابق بين المعنى في العلم وبين المعنى في القرآن الكريم.

وأما فيما يتعلق بمفهوم السقف المحفوظ من خلال عرض آراء المفسرين، وأقوال العلماء في ماهية السقف المحفوظ، يتضح أن رب العالمين قد جعل السماء سقفاً محفوظاً من أن يقع ويسقط على الأرض وسقفاً محفوظاً من الشياطين "الشر"، وفي العلم، السقف هو الطبقة الهوائية التي تمنع اجتياز النوازل القاتلة النازلة من الفضاء الكوني. إن الذي يقوم بالحفظ هما الطبقة (الأوزونية) و(المتأينة). وقد تبين أن هناك نوعين من النوازل كما حددها محمود القاسم: إشعاعات كونية أو رجوم تنزل من السماء الكونية بسرعة هائلة وهي مكونة من صخور مختلفة. وإن هناك تطابقاً ما بين العلم والقرآن في تفسير مفهوم السقف المحفوظ، حيث بين العلماء أن الغلاف الجوي المحيط بالأرض يمثل سقفاً محفوظاً، وحافظاً للأرض من إشعاعات

الكواكب والشهب والنيازك، التي من شأنها أن تفتك بحياة الإنسان وبأهل الأرض جميعاً، ولكن جلت عظمته بأن جعل هذا الغلاف "سقف محفوظ".

فيما يتعلق مفهوم السماء سقف مرفوع بغير عمد، تبين أن اللغويين أشاروا إليه بمعنى العماد أو السند، أما من جهة أهل التفسير فقد تبين أن معنى العمدة هي قدرة الله "بغير عمد ترونها" وعمدها إمساكها بقدرته، وأما من جهة أهل العلم والنظريات العلمية، فقد أشاروا إلى أن "بغير عمد لا ترونها" التماسك في نظرهم بفعل الجاذبية الأرضية. ونستخلص من أن أقوال المفسرين أدلة على قدرة الله المتجلية في رفع السماء، وفي نظر العلماء بالجاذبية التي لا ترى، وإنما نرى أثرها، وعليه هناك تشابه في محتوى المعنى لكل من القرآن الكريم ونظريات العلم الحديث.

وفيما يتعلق بمفهوم السماوات السبع تبين إن أهل التفسير حاولوا الخوض في ماهية عددها، وأجمع المفسرون بأخذ النص على ما هو عليه دون الولوج إلى لجج التأويل، وقد سبق أن وضحنا أن المقصود بالسماوات السبع إما عدد طبقات الجو أو عدد الكواكب السيارة أو عدد الأفلاك التي تقع تحت شدتها.

من خلال العرض السابق لأقوال المفسرين والعلماء أجد أن المفسرين فسروا السماوات بالمجموعة الشمسية وأفلاك الكواكب السيارة كالرازي، وابن عاشور، وهذه حدود المعرفة في زمنهم.

إذ أن كل مكون في المجموعة الشمسية (وفي السماء) له (سماء) كما أشار إلى ذلك الفندي وأبو العينين فالعدد سبع لا يمكن أن يتعين المقصود منه، ولو اقتصرنا على أن السماوات السبع هي طبقات الغلاف الجوي أو كواكب المجموعة الشمسية والنجوم فنكون قد أخرجنا

بلايين المجرات والنجوم والسدم وبقية عناصر السماء الأولى وتبقي بقية السماوات الست الأخرى خارج التعريف وهذا نقص في الفهم.

فالأفلاك وطبقات الفضاء تتعدد وتتابع، وبالتالي لا تعريف نهائي للسماء ولا حدود لها لا قديماً ولا زماناً لاحقاً، والسبعة المذكورة في النص لا تعني السبعة التي نعرفها، ولا يتعين دلالة العدد على كمية محدودة.

فالعلماء يجتهدون ويقولون في مفهوم السماء، والسماوات ولم يصلوا إلى شيء نهائي في مفهومها وعددها، وهذا يدلّ على إعجاز السماء، وارتباط وجودها بوجود الله تعالى ووحدانيته.

نتائج الفصل الثالث

من خلال العرض السابق لمفهوم الطرائق السبع نستطيع أن نستخلص من التفسير أن "الطرائق" الفلكية؛ هي نفسها السماوات السبع يقول صاحب تفسير القرآن العظيم: "لما ذكر الله تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السماوات السبع، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السماوات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى ﴿خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ ويتضح من أقوال العلماء أن طبقات من الأفلاك في السماوات والطرائق؛ هي الأفلاك التي تحوي الأجرام السماوية وتضمها. فمجرات علم الفلك تعطي تصوراً وأثراً لوجود السماوات السبع الطباق. وهنا يتطابق فهم العلم مع ما جاء به القرآن في تعريف الطرائق الذي أشار إلى ذلك قبل ألف وأربعمائة عام، ليأتي العلم اليوم ليؤكد ما جاء به القرآن الكريم.

وأما فيما يخص السبع الطباق نلاحظ من خلال عرض أقوال المفسرين يظهر أن السماوات سبع، وطباق؛ أي مطبقة على بعضها بعضاً وتحيط ببعضها بعضاً بحيث يغلف الخارج منها الداخل. وعند النظر في كلام العلماء القدماء والمحدثين في معنى السبع الطباق يلاحظ أنهم يحملون معنى السبع الطباق على طبقات الغلاف الجوي والمجموعة الشمسية، واستناداً إلى العرض السابق، يتبين أن هناك اتفاقاً في تحديد مفهوم السبع طباق بين نظريات العلم والقرآن؛ حيث بين المفسرون أن السماوات سبع طباق، وأن العلماء قالوا بوجود سبع طبقات للغلاف الجوي، ويبدو من قولهم أنها سبع سماوات طباق حقيقية.

¹. سورة غافر، آية [57].

أما فيما يتعلق بمفهوم السبع الشداد مما تم عرضه من أقوال المفسرين وآراء العلماء تبين أن مفهوم السبع الشداد هي السبع سماوات، وجاءت بمعنى السبع طرائق في العلم.

وأما فيما يخص مفهوم "لموسعون" فقد تبين أن معنى لموسعون لقادرون على التوسع، طاقة الوسع التي من خلالها يتم التوسع، وفي نظريات العلماء أكدوا أن طاقة الوضع تحول إلى طاقة حركة توسع السماوات، وفي هذا تطابق بين ما جاءت به نظريات العلم وبين ما أخبرنا به القرآن الكريم في أن الكون يتمدد ويتوسع، ويتفق العلم مع ما جاء به القرآن الكريم من أن الكون يتوسع، وأن هناك قوة وطاقة تعمل على تمده وتوسعه.

وفيما يتعلق بمفهوم البروج، تبين من اللغويين في معنى البروج، أنها جاءت بمعنى الحصن، وبمعنى القصور في السماء والبروج؛ هي الحصون. وأما ما تستنتجه الباحثة من خلال النظر في كتب التفسير، فإن (البروج) هي (المنازل) والمنازل هي المدارات في علم الفلك؛ فلكل جرم سماوي مداره الخاص به؛ فهناك سبعة كواكب تدور حول الشمس تدعى كواكب المجموعة الشمسية؛ فهي متحركة وتقع في بُرج من الأبراج. ونستخلص، من ذلك أن البروج جاءت بمعنى القصور الضخمة، وجاءت بمعنى المنازل التي تنزل من خلالها الكواكب وفي سياق العلم، جاءت متعددة، فمنها ما جاء على أنها المنازل للقمر والكواكب الأخرى، ومنهم من قال بأنها تجمعات لنجوم بأشكال معينة على هيئة الحيوانات مثل الثور، والجدي

وفيما يتعلق بمفهوم " ذات الحبك" بالاعتماد على ماتم عرضه في سياق معرفة مفهوم السماء ذات الحبك، فإن أهل اللغة يقولون بأنها. ذات الإحكام، وذات مسالك

وطرق محددة لكل جرم، محبوكة، بشكل حسن ومحكم، وأما أهل التفسير يرون في أن "ذات الحبك" تعني: "المحكم والمنسق" والسماة ذات الحبك" بمعنى ذات الصنع المحكم الترابط، وذات الطرائق الدقيقة والحسن الجميل. وأما في سياق النظريات العلمية تبين أن "ذات الحبك" تعني أنها ذات الطرائق المتعرجة، ولكنها المحكمة والمنسقة، وذات طرق محكمة النسج، والمحبوكة والمتشابكة ولكنها لا تصطدم، وعليه، نرى بأن هناك تشابهاً إلى حد كبير بين أقوال المفسرين والنظريات العلمية في تعريفهم لمعنى "ذات الحبك".

وفيما يتعلق بمفهوم "ذات الرجع"، تبين من خلال ما سبق أن الرجع في اللغة هو الإعادة وبهذا يتبين معنى "ذات الرجع" في العلم من خلال النظريات العلمية لتفسير ظاهرة تكون المطر، من حيث المنشأ والمأل، وتبين النظريات العلمية كذلك أن "ذات الرجع"؛ أي أنها تقوم بإرجاع الإشعاعات الضارة عن الأرض. فالتشابه بين تفسير العلم لصفة "ذات الرجع" متشابه إلى حد كبير مع ما أخبرنا به القرآن الكريم.

الخاتمة

استعرضت هذه الدراسة كافة الآيات القرآنية الشريفة التي تتصل بـ "السماء" وما يتصل به من مفردات أخرى ونصوص، ثم تم التقاط مدلول تلك النصوص، وفهم ما تتطوي عليه من ظواهر كونية وفلكية، ليجري بعد ذلك مقارنتها مع النظريات العلمية الحديثة التي تسفر عن نفس تلك الظواهر.

أما أهم النتائج والتوصيات فيمكن إدراجها على النحو التالي:

1. لقد أثبتت هذه الدراسة النتيجة الإيجابية للفرضية التي انطلقت للإجابة عنها، وهي أنه يمكن بلرة التفسيرات القرآنية للظواهر الفلكية والكونية والطبيعية بعد بناء تلك الظواهر بالاستناد إلى القرآن الكريم ونصوصه، ثم مقارنتها بأخر النظريات العلمية الحديثة، وحقائق الفلك والعلوم الطبيعية الأخرى التي تفسر نفس الظواهر. وقد كان من اليسير اكتشاف مدى التطابق والتشابه بين النظريات القرآنية، والعلمية لنفس الظواهر الفلكية فيما اتصل بـ "السماء" وما يتصل به من مفردات قرآنية أخرى.

2. إن المنهجية بتتبع الظواهر الكونية والفلكية والطبيعية طبقاً لتفسيرات وإشارات القرآن الكريم هي إحدى أشكال البحث والاشتغال بالقرآن الكريم، لا تخالف قواعد التفسير والتأويل المقررة عند العلماء المفسرين واللغويين المشتغلين، بتفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة وبعد ذلك باللغة العربية، لأن هذا وحده الذي يمكن الباحث، أي باحث من فهم مدلول نصوص القرآن الكريم، بمنطوقه ومعقوله ومفهومه.

3. إن إجراء مقارنات ومفاضلات بين الظواهر الطبيعية والكونية والفلكية الواردة في القرآن الكريم مع النظريات العلمية الحديثة والجديدة، لا يقصد منه البحث إلى أدلة لتأكيد إن هذا القرآن كلام الله، فأعجازه لكل البشر على مر العصور ثابت بشهود التواتر، وإنما المقصود استخدام الإشارات والمؤشرات القرآنية في الدعوة للإسلام إضافة إلى وجود أدلة إضافية على قدسيته ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويتم مخاطبة المصريين على المنهج العلمي بمستواهم الفكري، وبمنهجيتهم التي يحترمونها؛ ما يفتح باب الدعوة إلى الله من هذا الطريق أيضاً.
4. يمكن أن يشكل هذا البحث تشجيعاً للقيام بأبحاث أكثر عمقاً وشمولية على صعيد إجراء المقارنات بين النص القرآني والقانون العلمي، فلا خلاف فعلاً بين صريح النقل وصريح العقل.
5. إن التعمق في تفسير القرآن الكريم وفي اللغة العربية في موضوع دال "السماء" ومتعلقاته يشكل أمراً مهماً في توضيح تلك المصطلحات القرآنية والجمع بين معانيها وتوضيحها للناس.
6. إن خدمة هذا القرآن العظيم لن تنقطع على شكل معين، وطالما كان الاشتغال بهذا الكتاب والاتصال به مستمراً والدافع الذاتي موجوداً، فإن استخراج كنوز هذا الكتاب لن تنقطع ابداً، وإن استمرار الحاجة إلى مفسرين وباحثين سيبقى أمراً ملحاً حتى قيام الساعة.
7. تبين من آيات القرآن الكريم واكتشافات العلماء الحديثة عظم صغر الإنسان وعلمه وعقله في هذا الكون.

8. وصفت ودونت السماء في القرآن الكريم بكلمات بسيطة وعبارات غاية في الدقة والإبداع ما إن لو وصفه العلماء في كافة العصور في نظريات واكتشافات وتجارب لتبتلع مئات الآلاف من الصفحات لبلوغ الغاية.
9. إن توسع الكون وإعادته كما وصف في القرآن الكريم يستدعي بحثاً دائماً في كيفية ذلك علمياً فيما هو توسع إيجابي إلى ما هو توسع سلبي يضم أجزاء الكون.
10. إن الله على كل شيء قدير هو غاية تفكير للعلماء حتى نهاية عصر البشر على هذا الكوكب وفي هذا الكون وسباحتنا في الكون مهما صغرت كالأرض أو كبرت كالمجرات إنما هو في سماوات نبحر فيها إلى نهاية هي قدر يعلمه الله وحده.
11. إن دعوة الله تعالى في القرآن الكريم البشر للتفكير في خلق السماوات ثبت أنه تحدٍ للبشر في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة والبصر حسير إلى يوم الدين ووجود السماء يصلح لهذا التحدي.
12. السماء سمو الأمر الرباني وقوته ولن نبلغه ولن نستطيع فك كنه السماء بالعلم البشري حتى ما بعد الأبد الذي هو ما بعد الخلود.
13. إن المادة القائمة والطاقة والتي اكتشفت بانكسار الضوء حديثاً أكدها القرآن الكريم بآياته قبل أن يصنع الإنسان من التلسكوب الفضائي بزمان يبعد عن زمن نزول القرآن الكريم.
14. لم يستطع العلم والإنسان إلى تسمية أو وصف أو تحديد الكون أبغ ما جاء في القرآن الكريم من كلمة "سماوات".
15. إن تعدد أوصاف السماء فيه استهداف علمي وديني على حد سواء فالقرآن الكريم يعطينا (أنماطاً) وصوراً للسماء، إنها (صور قوة)، ومجموع هذه الصور تشكل في عقل المخاطب مفهوم السماء، فمفهوم السماء، مفهوم تركيبى ليس بمفرد يقوم على تصور

معاني السماء في الآيات التي وردت فيها تلك المعاني في القرآن الكريم، ومن مجموع

هذه المعاني يُكوّن الباحث الصورة الحقيقية للسماء في عقله.

إن هذه الدراسة تهدف إلى ربط القرآن الكريم بالكون أي إلى ربط آيات الله المتلوّه بآيات الله المنظورة المبنوثة في الكون مما يوثق علاقة المؤمن بهذا الكون البديع في صنعه وإتقانه وينمي عبادة التفكير في خلق الله، فعلاقة الإنسان بالكون؛ هي علاقة تسخير واستثمار تقود إلى تحقيق مهام الاستخلاف في الأرض وإعمارها وتقوي عبادة الناس لخالقهم، فالله سبحانه وتعالى وهبنا نعمة العقل والفطرة وجعل وسيلة الإيضاح؛ هذا الكون البديع كل ذلك لنفكر ونصل إلى حقيقة وجود الله ووحدانيته المرتبطة دوماً بخلق السماء والأرض لعظمتها ودقتها ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولا شك أن السماوات والأرض أطاعت أمر ربها بكامل إرادتها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

بكامل إرادتها فحري بك أيها الإنسان وأنت القادر على استكناه حقيقة الكون الذي تعيش فيه والذي سخر من أجلك على أن تفهم هذا المعنى وتقبل بكليتك على الله تعالى طائِعاً خاضعاً.

السماء لا تعني مكان واحد بل هناك عدة أمور يطلق عليها "سماء"، فهي لفظة مختصرة، إذ هي عموميات لجميع الأجيال، فهي مظهر للتحدي على مر العصور والأزمان، وهي معانٍ لأشياء هائلة فما نصل إليه من تلك اللفظة أنها ليست لفظة مطلقة، بل هي شيء تابع لشيء، وبذلك نصل إلى مفهوم تقريبي وليس مفهوماً تاماً لمعنى "السماء".

من التوصيات:

1. استناد الإعجاز العلمي إلى حقائق علمية لا مجرد نظريات وإشارات ومن ثم ربطها بآيات القرآن الكريم.
2. عدم المبالغة في ربط آيات القرآن الكريم بما لا تحتمل وتطبيق من المعاني والحقائق.

الملاحق

ملحق رقم 1

يخبرنا الله تعالى أن شكل السماء كالورقة المطوية والدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي

السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾¹

وبذلك يتضح لنا أن السماء كانت عند بدء خلقها مثل الورقة المطوية، وعندما أمر الله

تعالى بفتح الرتق اللامح ما بين السماوات والأرض أخذت السماء بالتحرك من طيها.

ومثال ذلك فإن الذي يقوم بطي الورقة ويمنحها قوة ضغط كبيرة ويسد أطرافها، كي

لا تعود إلى شكلها الأصلي فلن تندفع متسعة إلا إذا فتق مكان الالتحام الذي كان يسد طريق

الورقة المطوية ويمنعها من الاتساع ويفك هذا الالتحام تحركت الورقة بالتوسع، فالورقة عند

طيها تأخذ شكلها الهندسي بامتلاكها ثلاثة أبعاد تتحني وتتخرج، وبذلك تخزن طاقة وضع،

وما أن نقوم بفتح هذا الخيط الذي يسد طريق الورقة المطوية ويمنعها من الحركة إلا وتبدأ

تتحرك وتتوسع وترتفع عن بعضها البعض وبشكل مستمر دون تدخل منا.²

والذي جعلها تتحرك وترتفع إلى أعلى وتتوسع هي القوة الناتجة عن طاقة الوضع،

التي منحت للورقة أثناء طيها، وعندما تطلق هذه الورقة المطوية من اليد بعد فك الالتحام

بينهما تتحول طاقة الوضع المخزنة فيها إلى طاقة حركة تقوم هذه الطاقة برفع الورقة عن

بعضها ومن ثم توسعها وعملية رفع الورقة تم من غير أعمدة.³

ومثال آخر: هو سيارة تقف على طريق أسفل جبل تريد أن تصل إلى سطح الجبل

فحتى تستطيع هذه السيارة الوصول إلى تلك النقطة لا بد أن تحتاج إلى تسارع عالي في

البداية تجعلها قادرة على المحافظة على سيرها باتجاه أعلى الجبل.

¹ سورة الأنبياء أية 104

² الشديفات، الله فائق الرتق، ص251 بنصرف.

³ الشديفات، المرجع السابق، ص255.

فلم توجد سيارة تستطيع تحقيق ذلك التسارع، لكنه التحدي بالاستطاعة جعل المراقبون يشغلون مناظيرهم الفلكية وبدأ العد التنازلي ودقّت ساعة الصفر، فأطلقت العنان لمحرّكيّ السيارة، فانطلقت السيارة سريعاً متسارعة إلى النقطة المطلوبة ففوجئ الجميع، لأنهم رأوا السيارة تسير بخطى ثابتة إلى أعلى الجبل، وبدأت الحيرة والدهشة على وجوههم ما الذي جعلها تصل إلى هناك؟؟

فهم لم يشاهدوا السيارة لحظة بلحظة ورجعوا إلى كاميراتهم ولم يشاهدوا كيف انطلقت؟؟

وذلك لأنه لم يكن لديهم علم بالمحرك الإضافي المساند لمحرك السيارة الأصلي، فقد عمل المحرك المساند مع المحرك الأصلي للسيارة على زيادة تسارع السيارة إلى السرعة المطلوبة للوصول إلى تلك النقطة على الطريق الجبلي، والذي استهلك خزاناً كاملاً من الوقود الإضافي وانتهى عمره خلال مسافة بسيطة وفترة بسيطة وكان هذا الوقود قد ملأ المكان من خلف السيارة (بالدخان) فتلبّدت أجواء المراقبون ولم يشاهدوا السيارة إلا والسائق يسير على سطح الجبل فالمراقبون أسفل الجبل لم يشاهدوا إلا (الدخان) ومراقبون آخرون على سطح الجبل يؤكدون أنهم شاهدوا سائق السيارة يمر من عندهم بسيارته التي انطلق بها وما أن سمع (آلان جث)¹ بالخبر حتى وصل إلى تفسير مقنع وبيّن بحسابات فيزيائية؛ أن سائق السيارة لم يستطع الوصول إلى أعلى الجبل إلا ويكون قد تسارعت سيارته بسرعة عالية عندما انطلقت تغلّبت بها على انحدار الجبل الحاد.

¹ آلان جث، هو عالم فيزياء، وهو صاحب نظرية التضخم السريع للكون عند خلقه، انظر: الشديفات، مرجع سابق، ص278.

وحسب ما وصفت الصور التي جاءت بها مناظير (هبل) الموجودة في طائرة المراقبة أنه بعد أن تسارع سائق السيارة بقوة خلال الفترة الزمنية الأولى لانطلاقه، بدأت السرعة تتناقص، وسائق السيارة يصعد إلى الجبل، زادت سرعة السائق فجأة علماً بأن الحسابات التي أجريت على محرك السيارة أنه من المستحيل أن تزداد سرعة السائق.

إن الذي يعرف ذلك هو السائق الذي أخفى المحرك الإضافي المساند فهو وحده الذي يعرف أنه تسارعت سرعته بحيث تغلب على انحدار الجبل بسبب وجود المحرك الإضافي المساعد وهو محرك التسارع، وبعد ذلك سرعته قلّت لأن المحرك الإضافي تآكلت أجزائه وتعطل، ولم يبقى لديه إلا محرك واحد فسرعة السائق قلّت لأنه أصبح يسير بمحرك واحد، وهو الوحيد الذي لديه ساعات دقيقة جداً في السيارة أشارت بأن معدل انحدار الجبل قد قل بعد قطعه مسافة معينة فكان هذا تفسير سبب زيادة سرعته وتسارعه من عند تلك اللحظة.¹

(فكانت النتيجة) هي: أدى إنخفاض معدل إنحناء أو انخفاض حدة انحدار الجبل باتجاه الاستواء إلى زيادة سرعة السائق وفي حالة كوننا فإن ما جرى من تضخم وتسارع في التوسع في البداية ومن ثم انخفاض السرعة، ثم عودة السرعة إلى الزيادة يشبه ما جرى مع هذه السيارة، فالسيارة انطلقت بمحركين أحدهما خلف ورائه (دخاناً)، وكوننا بعد فتق الرتق انطلق بطاقتين: أحدهما الطاقة الناتجة عن انفتاح الرتق وخلفت ورائها حرارة ودخاناً أما الأخرى فهي طاقة الوضع المخزونة في السماء المطوية، والتي تعمل على التقليل من انحناء السماء، بتحويل طاقة الوضع هذه إلى طاقة حركة توسع السماوات وتحررها من طيها فيقل انحناءها مع الوقت.

¹ الشدفيات، مرجع سابق، ص280، بتصرف.

وإذا عدنا إلى حالة السيارة نجد أنها تسارعت بقوة نظراً لوجود محركين يحركانها، وفي حالة السماوات، نرى أنها تسارعت بقوة بعد انفتاح الرتق نتيجة لوجود طاقتين تعملان على مسارعة توسع الكون أو تضخمه، وإذا عدنا إلى السيارة نرى أنها ومع ضعف المحرك المساعد وتعطله، بقي فقط المحرك الأصلي يعمل وحيداً، لذا قلت سرعة السيارة، وبنفس الطريقة فقد قلت قوة الطاقة المنطلقة من الانفتاح العظيم إلى أن تلاشت الأمر الذي ترك طاقة الوضع المخترنة في السماوات تعمل وحيدة على توسعته، لذا أدى غياب طاقة (الانفتاح العظيم)، إلى نزول في سرعة توسع الكون، وإذا عدنا إلى السيارة سيرى أنه ومع نقصان حدة انحدار الجبل زادت سرعتها، أما في حال السماوات فمع الوقت ومع ازدياد اتساع الكون التدريجي، أصبح معدل انحناءه أقل حتى وصل إلى نقطة أصبحت فيها طاقة الوضع قادرة على التحول بسهولة أكثر إلى المزيد من طاقة الحركة، وزيادة طاقة الحركة هذه وجدت سهولة فيها زيادة سرعة الكون الذي أصبح أقل انحناء، وهكذا كلما قل الانحناء زادت السرعة أو لنقل زاد تسارع توسع الكون.¹

وبذلك نستطيع أن نفسر مبدأ تناقص انحناء السماء كيفية توسع الكون ونفي تمددها، وتفسير كيفية زيادة سرعة الكون بعد أن كانت هذه السرعة قليلة، وهاتين الفكرتين العظيمتين علمياً انطبقتا بكل انسجام مع الآية أم الآيات الكونية، وفسرتنا كيفية ذلك بطريقة صحيحة وواضحة في وقت لا يزال العلماء لهذا اليوم لا يعرفون ذلك وانسجمت أيضاً مع أعظم اكتشافين مشاهدين رأهما البشر في كل من تلسكوب (هبل) الأرضي عام 1929م وتلسكوب (هبل) الفضائي عام 1998م. فزيادة سرعة توسع الكون لا تُعرف إلا في حالة واحدة هي: معرفة شكل الكون وكيف يتحرك، وهذا أمر مستحيل، لأنه لن يستطيع البشر النفاذ من أقطار

¹ الشذيفات، الله فاتق الرتق، ص279 - ص281، بتصرف.

السموات إلى خارجها ليروا شكلها وحركتها إلا أن خبر الوحي جاء بأن شكل السماء كالورقة المطوية المتوسعة إذ يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ

نُعِيدُهُ﴾¹

فيظهر مدى الانسجام والتطابق بين الآية السابقة أم الآيات الكونية، والآيات الأخرى السابقة الذكر مع مشاهدات العلم الصحيح وكيف فسرت ما هو غامض ومستحيل على العلم والعلماء.

ليس للعلم أن يؤكد حقيقة معينة كنشوء السماء، ومادة السماء، وتوسع السماء، لأنه لا كلمة أخيرة له، فالتفسيرات التي قدمها العلماء لنشوء السماء وتوسعها كلها نظريات قابلة للنقد والفحص، فليس للعلم أن يؤكد حقيقة ما، فرحلة الضوء الواصلة إلينا من النجوم تُعبّر عن ماضيها السحيق وأثناء مرور أضواءها صار تغيرها.

وأما توسع السماء: فقد برهن العلماء نظريتهم بعده دلائل منها:

1. حركة تباعد المجرات عن بعضها البعض، وبعدها عنا بسرعة هائلة، وقد وضع (هبل) قانوناً يشرح هذا التباعد عام 1929، والذي سمي "بقاعدة هبل"، ويقول هذا القانون: "أن سرعة ابتعاد المجرات عن بعضها بعضاً يتناسب طردياً مع بعدها عنا".² وفسر العلماء هذه الظاهرة بأنها ناتجة عن اتساع المكان.

2. انزياح الطيف نحو اللون الأحمر، فسّر حركة التباعد للمجرات فكلما اقترب الضوء نحونا شاهدنا اللون الأزرق، وكلما ابتعد مصدره عنا شاهدنا اللون الأحمر، فوجود الاحمرار في ضوء الشيء، يدل على أنه يبتعد عنا وكلما زاد الاحمرار، زاد البعد ومن خلال النظر في

¹ سورة الأنبياء آية 104.

² النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص86.

التلسكوب وجد العلماء حُمْرة في أطياف الضوء الواصل إلينا من آفاق الكون البعيد.¹ فما أكدته قياسات (هبل) ثمة علماء عارضوا فيما بينهم نظريته، وقالوا أن الكون في حالة انكماش أو ينتشر في الفضاء ولا نعرف في أي اتجاه سيتجه فهل سيتجه إلى الانكماش والتقلص ليصل إلى حالة الانسحاق؟ لكن الكون على حد نظرية (هبل) ما زال يتجه سريعاً في تمده ... والضوء إلى وقت قريب وحسب نظرية "آينشتاين" كان يعتبر سرعته هي السرعة القصوى بالكون.²

والإضاءة في الكون تفسر لنا كيفية تكوين المجرات والتعرف على الطبيعة كما أن الحيود نحو الأحمر ظاهرة لا سبيل إلى إنكارها ولكن تفسيرها عرضة للشك، لذلك سمي بالحيود نحو الأحمر بدلاً من أن يسميه "تباعده المجرات" فلم يكن تفسيراً له إلا التباعده في حالة عدم وجود تفسير آخر بديل، ولا يزال يطلق عليه الانزياح نحو الأحمر وهو أثر "دوبلر"³، فلم يرد تفسير واضح لظاهرة الحيود نحو الأحمر، فعلى العلماء أن يقدموا لنا التفسيرات عن تكوين المجرات، أو تطورها، وفنائها، وعن النجوم التوائم، ثنائياتها ومتعددها، وعن العناقيد والعناقيد العليا.

¹ عبد الحليم، سمير، الإعجاز القرآني، ص11.

² دهية، الجغرافيا الفلكية، ص140.

³ أثر دوبلر: هي ظاهرة استخدمت في دراسة الخطوط الطيفية المنفصلة وهي تغير الطول الموجي الضوئي الكهرومغناطيسي المنبعث من جسم متحرك، تبعاً لحركتها بالنسبة لراصدها، فهي تقصر فيزداد حدة إذا كانت صادرة عن جسم يتحرك نحو الراصد، أو تطول فتخف حدتها إذا كانت صادرة عن جسم يبتعد عن راصده وقد برهن العلماء في عام 1868م أن في الخطوط المظلمة من أطياف بعض النجوم إزاحة بسيطة نحو الأحمر أو الأزرق مقارنة مع طيف الشمس، وقد اكتشف هذه الظاهرة كريستيان جوهان دوبلر Doppler وهو فيزيائي فلكي نمساوي. انظر: عوض، محمد فتحي، الكون وأحجار الفضاء، دار الوثيقة، دمشق، ط2، 1983م، ص42.

فظاهرة الحيود نحو الأحمر لا تنفي وسع السماء، ولكنها لا تفسره، فسرعة تباعد المجرات تفسر بالانزياح نحو اللون الأحمر حتى نجد دليلاً غير ذلك، وهذا ما أشار إليه جيرالد هوكنز¹ فقال:

"فهناك مجرات خافتة قليلة اللمعان تقع على أبعاد سحيقة منا، وهذه المجرات لها سرعة التباعد الكبرى، وهذه الأضواء تخبر عن أحداث مضت منذ بلايين السنين، فكيف نستطيع بهذه الظاهرة (الحيود نحو الأحمر) تفسير تباعد المجرات"؟²

فاتساع السماء تبقى نظرية حتى يستطيع العلماء إيجاد تفسير بديل لسرعة التباعد المجرية.

إلا أن وجود هذه التفسيرات العلمية التي أشارت إليها الآيات القرآنية الكريمة تبقى حقائق قرآنية مثبتة طالما تحدث عنها القرآن الكريم ولو كشف العلم عن أجزاء منها.

¹ جيرالد هوكنز: ولد في إنجلترا، ودرس في جامعتي نوتنجهام ومانشستر، ونال الدكتوراه في علم الرادار الخاص بالنيازك وهو الآن مدير مرصد جامعة بوسطن، وأستاذ مشارك لعلم الفلك فيها، ومشارك أبحاث في مرصد هارفرد، له مقالات علمية عديدة، انظر: مقدمة المترجم الدكتور عبد الرحيم بدر، ص7.

² هوكنز، جيرالد، بدائع السماء، ص423، ص424، ص438.

ملحق رقم 2

لأن المكان ما بين أجرام السماء مملوء بالمادة والطاقة وهذا ما اكتشفه العلماء حديثاً وقرروه بعد اكتشافهم المادة المظلمة وذلك منذ سنوات قليلة وهذه المادة المظلمة هي التي تقود الأجرام والمجرات وتجعلها تتوزع على شكل خيوط تشبه خيوط النسيج وفق ما تمت دراسته من قبل الباحثين الدوليين برئاسة الدكتور yannick millier في معهد الفيزياء الفلكية في باريس¹ فالأجرام والمجرات تتحرك وتسيح ضمن مادة مظلمة تنتشر في كل مكان من الكون وقد تأكد العلماء حديثاً من وجود هذه المادة باستخدام الكمبيوتر العملاق فهذه المادة تشكل نسيجاً رائعاً تم حيك خيوطه بإحكام وقد وجدت إشارات قرآنية لها وهي أن الأوصاف الدقيقة التي ذكرها القرآن الكريم لنا عن السماء هناك تطابقاً عجبياً بينها وبين ما وصل إليه علماء الكون والتي تدل على أن ما يحاول اكتشافه العلماء هو السماء.²

ووجد العلماء أن الذي يتسع هو المكان بين المجرات وهذا المكان مملوء بالمادة والطاقة فما وجده العلم في شأن المادة المظلمة تحدث عنه القرآن الكريم حيث أن هذه المادة هي التي تتوسع وقد رمز لها القرآن بالسماء.³

¹ الكحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص63.

² الشديفات، الله فاتق الرتق، ص274، وانظر: الكحيل، روائع الإعجاز في الكون، ص19، ص66، ص67، ص63، ص88.

Nasa afinds divect proof of dark matter, nasa release 06 – 297, August 21, 2006.
Look: finding dark matter, www.nasa.gov decem6er19, 2001.

³ الشديفات، مرجع سابق، ص274.

المراجع

- القرآن الكريم

1. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، ت(210 هـ)، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب- بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ/ 2003م.
2. إدريس، جعفر شيخ، الفيزياء ووجود الخالق، مكتبة الملك فهد الرياض، ط1، 2001.
3. أرناؤوط، محمد السيد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت).
4. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، ت(370 هـ)، تهذيب اللغة، تقديم: فاطمة محمد أصلان، إشراف محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1421 هـ/ 2001م.
5. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) ت(502 هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار العلم- دمشق، ط2، 1418 هـ/ 1997م.
6. الأعلمي، محمد حسين الشيخ سليمان الأعلمي، ت(1394 هـ) دائرة المعارف المسماة بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - كربلاء، ط1، سنة 1388 هـ/ 1968م.
7. الألباني، محمد ناصر الدين، مختصر العلو للعلي الغفار، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ط2، 1412 هـ/ 1991م.

8. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد (ت 1270هـ)، روح المعاني، دار الفكر - بيروت - لبنان، 1414/1994م.
9. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، ط2، (د.ت).
10. باركر، باري، الهولوية في الكون، ترجمة علي يوسف علي، المجلس الأعلى للثقافة - الجزيرة - القاهرة، ط1، 2002م.
11. البارودي، عماد زكي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر - (د.ت) (د.ط).
12. بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني - بغداد، 1990م / 1410هـ، الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
13. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، (194 - 256 هـ)، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ط) . (د.ت)
14. البخاري، صحيح البخاري، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي.
15. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، (ت516هـ)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الفكر - بيروت، 1422هـ / 2002م.
16. البغوي، محمد الحسين (ت566هـ) شرح السنة، تحقيق سعيد محمد اللحام، مكتب البحوث والدراسات - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1414هـ / 1994م.
17. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرّج، آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ / 1995م.

18. بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل دراسة في ضوء العلم الحديث، ترجمة عادل يوسف، الأهلية - عمان - الأردن، ط1، 2009م.
19. بيترسون، كارولين كولنز، برانديت، جون سي، رؤية هبل، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1998م.
20. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، تحقيق: علي حسن موسى، نينوى - سورية، ط1، 2003.
21. البيضاوي، الإمام القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر بن محمد الشيرازي، (ت791هـ) تفسير البيضاوي، المُسمّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة، مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، بيروت - لبنان، 1416هـ/ 1996م.
22. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، الأسماء والصفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
23. التركي، عبد الله بن عبد المحسن، الموسوعة الحديثية، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1418هـ/ 1997م.
24. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ابن موسى (279/200 هـ)، جامع الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ/ 1999م.
25. التفتتازي، مروان وحيد شعبان، الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث، دار المعرفة - بيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م.

26. توماس آرنلي، مقدمة في علم الفلك، ترجمة د. أحمد الحصري، دار طلاس - دمشق، ط1، 1998م.
27. ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم الحراني أبو العباس، كتب وفتاوى ورسائل شيخ الإسلام، مكتبة ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي، ط2.
28. الجبار، شاکر عبد، القرآن يفك لغز الأرض، مطبعة أسعد - بغداد، ط1، نيسان - 1985م.
29. ابن جزى الكلبي، محمد بن أحمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي - لبنان، ط4، 1403هـ / 1983م.
30. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد 508، (ت597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ / 2002م.
31. ابن الجوزي، جمال الدين (ت597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1404هـ / 1984م.
32. جون فايفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ترجمة: محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1975م.
33. جوهر، أحمد المرسي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1421هـ / 2000م.
34. الجوهري، إسماعيل بن حماد التركي، (ت393هـ)، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلابي، إعداد: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية - بيروت، ط1، 1975.

35. جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط4، 1412هـ/ 1991م.
36. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (773-852 هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض- جدة، (د. ط) (د. ت).
37. حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار الفكر العربي- القاهرة، ط3، 1997م.
38. حسب النبي، منصور، سباحة الأرض وجريانها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1417هـ/ 1997م.
39. حسين، مصطفى، مع القرآن الكريم في الكون إعجازاً وهداية، بدون دار نشر، بدون بلد نشر، ط1، 1987م.
40. الحسيني، خلف محمد، دليل الحيران في آيات من القرآن، دار نهضة مصر- الفجالة- القاهرة، (د.ت) (د.ط).
41. حسيني، سيد وقار أحمد، العلوم الفلكية في القرآن الكريم، قدم لها مصطفى طلاس، محمود عكام، ترجمة: سمية زيتوني، مراجعة عبد الباسط إبراهيم، دار طلاس- دمشق، 1996م، (د.ط).
42. ابن حنبل، أبو عبد الله أحد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل ت: (164، 241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.
43. حنفي، أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د. ت).

44. أبو حيان، محمد بن يوسف (ت745هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (قرظة عبد الحي الفرماوي)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م.
45. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الأردن - عمان، ط1، 1410هـ/ 1989م.
46. خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: دكتور عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية دون ذكر بلد النشر، ط1، 1390هـ/ 1970م، ط2، 1393هـ/ 1973م.
47. خضر، عبد العليم عبد الرحمن، ثقب الأوزون والخطر المناخي القادم، الدار السعودية، جدة، ط1، 1424هـ/ 2004م.
48. خضر، عبد العليم، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، الدار السعودية جدة - 1984م.
49. خضر، عبد العليم، المنهج الإيماني للدراسات الكونية، الدار السعودية - جدة، ط3، 1407هـ/ 1987م.
50. جمل، عبد الباسط، وجمل، داليا صديق بدون سنة نشر، موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، بدون طبعة، دار غريب- القاهرة.
51. الدباغ، مصطفى، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط1، 1982م.
52. الدراويش، حسين أحمد علي، سباعات في علوم القرآن الكريم، قسم اللغة العربية - كلية الآداب، مطبعة بيت المقدس- القدس، ط1، 1424هـ/ 2004م.

53. الدراويش، حسين أحمد علي، معجم الإكليل المفهرس للوجوه والنظائر في محكم التنزيل، مطبعة دار الأيتام الإسلامية- القدس، ط1، ف1416هـ/ 1995م.
54. دهبية، محمد محمود مصطفى، الجغرافيا الفلكية، مكتبة المجتمع العربي، عمان- الأردن، ط1، 1426هـ/ 2006م.
55. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (ت 276هـ)، أدب الكتاب موقع الوراق.
56. أبو ذياب، خليل إبراهيم، ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1420/ 1999م.
57. الرازي، محمد الرازي بن عمر (ت 604هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، قدم له الشيخ خليل محيي الدين، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1415هـ/ 1995م.
58. الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر (ت 666 هـ)، مختار الصحاح، دار الفجر الجديد، الأردن - عمان، ط1، 1417هـ/ 1996م.
59. رزق، هاني خليل، موجز تاريخ الكون، دار الفكر - دمشق، ط1، 1424 هـ/ 2003م.
60. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فلسفة ابن رشد فصل المقال، وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1402هـ/ 1982م.
61. الرياحي، باسل، نجم الشعري في القرآن الكريم، دار البيارق، بيروت- لبنان، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م.

62. الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1414هـ/ 1994م، (د.ط).
63. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: دكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، ط2، 1418هـ، 1997م.
64. زكي، أحمد، مع الله في السماء، دار الهلال، (د.ت).
65. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، (د.ت). (د.ط).
66. زنداني، عبد المجيد، توحيد الخالق، دار السلام- جدة، ط1، 1985م.
67. أبو زهرة، محمد، (ت1394هـ/ 1974م)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي- مدينة نصر- القاهرة، (د.ت).
68. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م.
69. السعدي، داود سلمان، أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م.
70. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: بن عثيمين، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1421هـ/ 2000م.
71. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت982هـ)، تفسير أبو السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن،

- منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ/
1999م.
72. ابن سلمان، مقاتل بن بشر (150هـ-)، تفسير مقاتل، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ/ 2003م.
73. أبو سمرة، محمود أحمد، والبرغوثي، عماد أحمد، صالح، عبد الكريم، محمود، الإسلام والعلم، جامعة القدس- القدس، مكتبة دار الفكر، ط1، 1426هـ/ 2005م.
74. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت375هـ-)، تفسير السمرقندي، (ت375هـ-)، المسمّى بحر العلوم، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1413هـ/
1993م.
75. أبو سنينة، أشرف، موسوعة عالم الكون، دار أسامة، عمان - الأردن، 2005م.
76. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت581هـ-)، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، مطبعة دار الاعتصام- مكة المكرمة، 1404هـ/ 1984م.
77. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت458هـ-)، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م.
78. سيمالك: كليفوردي، قصة الكون عجب وبهاء، ترجمة: د. عبد القوي زكي عباد، مراجعة د. جمال الدين الفندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م.
79. السيوطي، جلال الدين الشافعي، (ت911هـ-)، الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق: سعيد المنذوه، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1416هـ/ 1996م.
80. شحاتة، عبد الله، إيات الله في الكون، نهضة مصر- الفجالة- القاهرة، ط5، 2005م.

81. شحادة، نعمان شحادة، علم المناخ المعاصر، الإمارات العربية المتحدة - دبي، دار القلم، ط1، 1419هـ/1998م.
82. الشديفات، وصفي أمين مفلح، الله فائق الرتق وطاوي السماء كطي السجل للكتب، عالم الكتب الحديث، اربد، جدارا للكتاب العالمي - عمان، (د.ط.)، 2007م.
83. الشرقاوي، حسن عبد الله، موسوعة ما نعرفه عن الكون، مكتبة جزيرة الورد، (د.ت.). (د.ط.).
84. الشريف، حسن، في رحاب الكون، سلسلة المكتبة العلمية الميسرة، معهد الإنماء العربي، بيروت، (د.ط.)، 1980م.
85. الشريف، عدنان، من علم الفلك القرآني، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1991م.
86. الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنية، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1993م.
87. شمشك، أمير، الانفجار الكبير أو مولد الكون، ترجمة: أورخان محمد علي، دار البشير، ط1، 1419هـ/1998م.
88. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت1393هـ)، أضواء البيان تفسير في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، 1415هـ/1995م.
89. شيخاني، أعلام الحضارة، مؤسسة عز الدين، بيروت - لبنان، 1401هـ - 1981م.
90. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار التراث العربي، القاهرة، (د.ط.). (د.ت.).

91. صوالحة، حكم عبد الجبار صوالحة، الجيولوجيا العامة، كلية العلوم - قسم علوم الأرض والبيئة - جامعة اليرموك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان - العبدلي، ط1، 1426هـ - 2005م.
92. طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح القرآن الكريم، تفسير سورة النور، دار العلم للملايين، ط1، 1993م.
93. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، هذبه وقربه وخدمه صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط1، 1418هـ / 1997م.
94. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك المشهور بتاريخ الطبري، ت(310هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان - بيروت، ط2، 1967.
95. الطوخي، عبد الفتاح السيد، السماء والأرض والفضاء، المكتبة الثقافية، بيروت، (د.ت).
96. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، (د.ت).
97. عباد، عبد الرحمن، من الإعجاز العلمي في القرآن، مطبعة الخضر، دون بلد نشر، ط1، 2007م.
98. عبد الباقي، إبراهيم محمد، الدين والعلم الحديث، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط1، 1384هـ / 1964م.
99. عبد الصمد، محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1990م.

100. عبده، محمد، (ت1323هـ / 1905م)، تفسير القرآن الكريم، (جزء عم). -Wwwarab.com
rationalists.com الجمعية الخيرية الإسلامية منتدى العقلايين العرب مطبعة،
مصر، ط3، 1341هـ.
101. العبيدي، خالد فائق، الفلك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، منشورات محمد علي
بيضون، ط1، 1426هـ / 2005م.
102. عبيدية، فاطمة محمد عايد، الماء في آيات القرآن الكريم، رسالة ماجستير - جامعة
النجاح الوطنية، إشراف الدكتور محمد حافظ الشريدة، 2003.
103. العرابلي، عبد المجيد عثمان عيسى، حقيقة السماوات كما صورها القرآن نور وهدى من
الرحمن، المكتبة الوطنية، عمان- الأردن، 2006م.
104. عراجي، إبراهيم فواز، القرآن وعلوم العصر الحديثة، دار النهضة العربية بيروت،
ط1، 1409هـ / 1988م.
105. عروة، أحمد، العلم والدين مناهج ومفاهيم، دار الفكر - دمشق- سورية، ط1،
1408هـ / 1987م.
106. عظيموف، إسحاق، الحقيقة والخيال، ترجمة الدكتور محمد جمال الفندي والدكتور
جابر عبد الحميد جابر، دار المعارف، مصر، 1965م.
107. عظيموف، إسحاق، الشموس المتفجرة (أسرار السوبر نوا)، ترجمة: د. السيد محمد
عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
108. عمارة، محمد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده (في تفسير القرآن)، دار
الشروق- مدينة نصر، ط2، 1427هـ / 2006م.

109. عمري، حسين، بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، بحث رقم (19/6) 2004م،
جامعة مؤتة- الكرك - الأردن.
110. عمري، حسين يوسف وأبو خرمة، محمود حسين، حبك السماء بالأمواج الصوتية
والإعجاز في قوله تعالى "والسماوات ذات الحبك"، بحث رقم (21/25)، جامعة مؤتة-
الكرك، وجامعة البلقاء التطبيقية، عمان- الأردن.
111. عمري، حسين يوسف راشد، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، جامعة مؤتة،
مؤتة- الكرك، بحث رقم (12/93).
112. عمري، حسين يوسف، خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، (بحث رقم
(19/14) جامعة مؤتة الكرك- الأردن.
113. عمري، حسين يوسف، الكون ومقارنة بدايته مع نهايته، بحث رقم (35)، جامعة مؤتة،
الكرك- الأردن.
114. أبو العينين، حسن سيد أحمد، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مع آيات الله في
السماء، مكتبة العبيكان- الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م.
115. الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد أحمد عبد السلام الكرداني، دار
الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، (د.ط.). (د.ت.).
116. غوري، إبراهيم حلمي، كوكبات النجوم والبروج، دار الشرق العربي- بيروت، مكتبة
البشارة، (د.ت.).
117. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، ت(207هـ) معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف
نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ط.).

118. الفراهيدي، لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (100-175هـ) كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي - دار مكتبة الهلال، (د.ط).
119. الفندي، محمد جمال الدين، القرآن والعلم، دار المعرفة- القاهرة، ط1، 1968م.
120. الفندي، محمد جمال، الله والكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، (د.ط).
121. فولكوف، الأرض والسماء، (د. ت) دون دار نشر.
122. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1415هـ / 1995م.
123. القاسم، محمود بن عبد الرؤوف، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، دار الأعلام، عمان - الأردن، ط1، 1421هـ / 2000م.
124. القاسم، محمود، الإسلام والحقائق العلمية، دار الهجرة - بيروت، ط1، 1986م.
125. قبيسي، دانيال، تنبؤات علمية على ضوء الدين، دار المناهل، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ / 1995م.
126. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، قدم له خليل محيي الدين الميس، دار الفكر، بيروت- لبنان 1415هـ، 1995م
127. قطب، سيد، ت(1966)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط17، 1412هـ / 1992م.
128. كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة نافع أيوب لبس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، 1414 هـ / 1993م.

129. ابن كثير، الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل (774هـ) البداية والنهاية، تحقيق وتخرّيج الدكتور: محيي الدين ديب مستو، دار بن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1428هـ، 2007م.
130. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي، (د.ت).
131. الكحيل، عبد الدايم، روائع الإعجاز في الكون، 2009. www.kaheel7.com
132. كحيل، عبد الدايم، ظواهر كونية بين العلم والإيمان، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1429هـ/ 2008م، www.kaheel7.com
133. الكرداني، أحمد عبد السلام، نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن، مطبوعات الشعب. (د.ت)، القاهرة- والرياض.
134. كعورة، الأمين محمد أحمد، مبادئ الكونيات، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط3، 1979م.
135. كعورة، الأمين محمد أحمد، المجموعة الشمسية ومجال الجاذبية الكونية، القاهرة، المكتب المصري الحديث، (د.ت).
136. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1419هـ/ 1998م.
137. كلوز، فرانك، النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة: الدكتور مصطفى إبراهيم فهمي، مراجعة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، (191).

138. اللبائدي، أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت 1318 هـ / 1900م)، معجم أسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة - القاهرة.
139. اللوح، عبد السلام حمدان، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، آفاق، غزة- فلسطين، ط2، 1423هـ / 2002م.
140. لين، نيكلسون، علم الفلك، ترجمة علي مصطفى بن الأشهر، معهد الإنماء العربي، مكتبة الثقافة العلمية، الميسرة- بيروت- لبنان، (د.ط)، 1983م.
141. ماهر، عبد القادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية، دار المعرفة، الجامعية الاسكندرية، 1988.
142. مجاهد، عماد، الموسوعة الفلكية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002.
143. مجموعة من الباحثين الإيطاليين، قراءة في سطوح السماء، ترجمة مالك مالك، المؤسسة العربية للدراسات- بيروت، ط1، 2005م.
144. محروس، عبد الصمد علي، وسليمان، إقبال زكي، المعجم الكبير، مراجعة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، جمهورية مجمع اللغة- الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط1، 1421هـ / 2000م.
145. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ / 1998م.
146. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي آمان لأصحاب حديث، رقم 2531.

147. مصطفى، أحمد، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي - القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م.
148. مصطفى، محمد رشاد الدين، الميكروكمبيوتر وعلم الفلك، دار الراتب الجامعية، بيروت - لبنان، دون تاريخ - دون طبعة.
149. المصطفوي، المحقق المفسر، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).
150. المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مؤسسة زوز اليوسف، 1427هـ/ 2006م.
151. منصور، زينب، الموسوعة الفلكية، الأهلية، الأردن - عمان، ط1، 2001.
152. ابن منظور ت (711هـ)، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (الأفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر - بيروت.
153. موسى، علي حسن موسى، الأوزون الجوي، دار الفكر، دمشق - سورية - 1999م.
154. موسى، علي حسن، بروج السماء، مطبعة الشام- دار دمشق، (د.ط)، (د.ت).
155. مور، باتريك، موسوعة غينيس في علم الفلك، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م.
156. مؤمن، عبد الأمير، قاموس دار العلم الفلكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 2006م.
157. الميداني، محمود عصام، الأطلس الفلكي، دار دمشق للنشر والتوزيع، 1996م.
158. ميموني، جمال، وقسوم، نضال، قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم، دار المعرفة، الجزائر ، ط2، 2002.

159. النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الآفاق، دار المكتبي سورية - دمشق، ط3، 1428هـ-2007م
160. النجار، زغلول راغب محمد، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، نهضة مصر - الفجالة، ط2، 2007م.
161. النجار، زغلول راغب محمد، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط4، 1428هـ/2007م.
162. النجار، زغلول راغب محمد، قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، نهضة مصر الفجالة- القاهرة، ط2، 2006م.
163. النحاس، أبو جعفر، (ت338هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية والتراث- مكة المكرمة، ط1، 1409هـ/1988.
164. النسائي، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت (303هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001م.
165. النعيمي، حميد مجول، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم- مكتبة الرائد العلمية، ط1، 1421هـ/2000م.
166. نوفل، عبد الرزاق، السماء وأهل السماء، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1394هـ/1974م، (د.ط.).
167. نوفل، عبد الرزاق، الله والعلم الحديث، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.

168. النيسابوري، الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405هـ)، المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم وتبيين ما أشكل من أسماء الرجال في الصحيحين، تحقيق: أ.د. إبراهيم بن علي بن محمد آل كليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ/2002م.
169. هانيلين، أ. روبرت هانيلين، سكان السماوات، ترجمة وتصدير وتقديم الدكتور محمد جمال الدين الفندي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.
170. هوكنز، جيرالد، بدائع السماء، ترجمة: الدكتور عبد الرحيم بدر، مراجعة: الدكتور فؤاد صروف، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- مؤسسة فرانكلين، نيويورك، 1967م.
171. هوكنز، ستيفن، الثقوب السوداء، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي- أبو ظبي، ط1، 1995م.
172. هوكنز، ستيفن، الكون في قشرة جوز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة- مطابع السياسة- الكويت، 1423هـ/2003م.
173. هوكنز، ستيفن، موجز في تاريخ الزمان من الانفجار العظيم إلى الثقوب السوداء، ترجمة: عبد الله حيدر، مراجعة د. محمد دبس. أكاديميا- بيروت- لبنان، ط1، 1990.
174. يحيى، هارون يحيى، القرآن والعلم، تعريب د. إبراهيم الصنافيري، مكتبة الشروق الدولية - روكسي - القاهرة، 1425هـ/2004م.
175. يحيى، هارون، المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

176. اليماني، بهاء الدين الحسيني، الكون في القرآن الكريم، دار النفائس، بيروت- لبنان،

ط1، 1429هـ/ 2008م.

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
123	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	البقرة
68، 14	22	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	
21، 50، 51، 110، 111، 114، 128	29	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	
30	117	﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	
15	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	
171	191	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	سورة آل عمران
162، 163، 164	78	﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	النساء
6	6	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾	الأنعام

		بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿	
15	99	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	
20	185	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۗ فَبِآيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	الأعراف
109، 108، 15	31	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	يونس
،113	101	﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	
16	6	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ- الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	هود
50، 41	7	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾	
116، 5	44	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ- الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	
7	52	﴿وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾	
98	2	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ	الرعد

		عَلَى الْعَرْشِ طَّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٠﴾	
10	12	﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	
126، 5	32	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾	إبراهيم
108	38	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	
50	48	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	
28	14	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾	الحجر
163، 92، 24	17-16	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾	
6	22	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَؤْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَقَيْنَاكُمْوَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	
28	79	﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	النحل
123	1	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾	الإسراء
139	12	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾	
53، 107، 108، 129، 139	44	﴿سَبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	

		إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٨﴾	
48	49	﴿قَالُوا أَنْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	
28	92	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾	
47	51	﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾	الكهف
132	4	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾	طه
16، 45، 47، 52، 54، 80، 112	30	﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء
6، 91، 92	32	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	
18	33	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	
50، 202، 206	104	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	
139	47	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	الحج
92، 97، 100، 101، 120	65	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	
49	14	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	المؤمنون
110، 140، 141، 143،	17	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ	

144		﴿غَفِيلِينَ﴾	
129، 110	86	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	
10، 8	43	﴿وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِئِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾	النور
112	35	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	
178	6	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	الفرقان
166، 163، 20	61	﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾	
144	5-4	﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	الشعراء
6	60	﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾	النمل
69	20	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾	العنكبوت
98	10	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقِيَّ فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾	لقمان
144	5	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	السجدة
109، 108	24	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	سبأ
13	3	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا يَعْصَتُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا	فاطر

		هُوَ فَاتَىٰ تُؤَفِّكُونَ ﴿١٠٦﴾	
106	28	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	
172	41	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِتَنَّهُ وَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	
144، 18	40	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	يس
111	5	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾	الصفات
29	6	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا لَكُواكِبٌ﴾	
67	97	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾	
14	13	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾	غافر
112، 146، 151، 185، 193	57	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	
67	64	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	
24، 28، 39، 42، 45، 53، 54، 70، 80، 110، 113، 116، 129، 142	13-10	﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠٦﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠٧﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠٨﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا فُئِلٌ أَنْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	فصلت
116	12-9	﴿قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن	

		فَوَقَّهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اإِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠﴾	
134	29	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾	الشورى
64، 19، 6	6	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾	ق
3	9	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾	
170، 161	7	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾	الذاريات
16، 6	22	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	
174، 109	23	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾	
4، 30، 63، 81، 89، 165	47	﴿وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	
97	5	﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾	الطور
49	35	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	
5	11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	القمر
97، 89، 79	8-7	﴿وَالسَّمَاءِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾	الرحمن
125	35-33	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾	
84، 81، 79	76-75	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	الواقعة

144	4	﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾	الحديد
67	4	﴿إِنَّ اللَّهَ يُجِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾	الصف
29، 34، 109، 110، 113، 116، 117، 129، 133، 144	12	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	الطلاق
19، 110، 128، 129، 132، 144، 151	3	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	الملك
24، 29	4-5	﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ- كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ- خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿١﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٢﴾﴾	
128	4-6	﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ- كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ- خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿١﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٢﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾	
109	16	﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾	
120	4	﴿نَعْرُجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	المعارج
7	11	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	نوح
110، 140، 152	15	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾	
114، 119، 121، 122، 128، 151	15-16	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾	
110، 140، 158، 173	12	﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾	النبأ

179 ، 165	27	﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَدَّلَهَا﴾	النازعات
11	31	﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾	
164 ، 163 ، 161	1	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾	البروج
180 ، 161	12 - 11	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	الطارق
	19-17	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	الغاشية
100 ، 68 ، 63	7-5	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَدَّلَهَا﴾	الشمس
98	9-6	﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾	الهمزة

مسرد الأحاديث والآثار

الرقم	الحديث	القائل	الصفحة
1	أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء فقال: "كل شيء خلق من ماء."	ابن حنبل	52
2	بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان ... فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال جبريل: قيل من معك؟، قيل محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال: نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيئ جاء ...	البخاري	118
3	فلا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد	الترمذي	ل
4	"اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقلن"	النسائي	133
5	"لو أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها"	الترمذي	88
6	"النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت أتى السماء ما توعده وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"	مسلم	66
	الآثار		الصفحة
1	"إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء"		52
2	"إن الله عندما أراد أن يخلق السماوات والأرض، قبض من صفاة الماء قبضة"		51

مسرد الأعلام

الرقم	الحديث	الصفحة
1	أدوين، هبل: فلكي أمريكي معاصر، 1889-1953، قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار وقام بتصنيفها في مجموعات، أعلن أن الكون أكبر مما كان يتصوره العالم آنذاك	85
2	آلان جث، هو عالم فيزياء، وهو صاحب نظرية التضخم السريع للكون عند خلقه	203
3	آينشتاين، هو عالم فيزيائي، ألماني (1879-1955) شارك بتجديد الفيزياء وكان وجودياً، وضع نظرية النسبية العامة والخاصة .	58
4	البيروني: محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني، ولد في بلدة بيرون من أعمال خوارزم وذلك عام 362هـ 973م، وفي 440 إلى 1048م كان وفاته،	31-30
5	جون فايفر، أحد أئمة كتاب العلوم، وقد كرس نفسه أساساً لتقديم صورة عامة دقيقة عن نتائج البحث العلمي، وكان المحرر العلمي والطبي لمجلة نيويورك.....	77
6	جيرالد هوكنز: ولد في إنجلترا، ودرس في جامعتي نوتنجهام وما نشتر، ونال الدكتوراه في علم الرادار الخاص بالنيازك وهو الآن مدير مرصد جامعة بوسطن، وأستاذ مشارك لعلم الفلك فيها شارك أبحاث في مرصد هارفرد له مقالات علمية عديدة	208
7	كارل ساغان، أستاذ الفلك وعلم الفضاء بمعهد دافيد دنكان، ومدير معمل دراسات الكواكب بجامعة كورنيل، قام بدور بارز في رحلات سفن الفضاء	203
8	كريستيان جهان دوبلر Doppler وهو فيزيائي فلكي نمساوي	207

مسرد المصطلحات العلمية

الصفحة	المصطلح	الرقم	الصفحة	المصطلح	الرقم
86	الطاقة المظلمة	22	207	أثر دوبلر	1
95	الغلاف الجوي	23	6	الأثير	2
168	الكوكبات	24	94	أحزمة فون ألن	3
70	الكواركات	25	57	إشعاع الخلفية الكونية	4
25	الكوازارات	26	94	أشعة جاما	5
101	قانون الجاذبية	27	148	الأفلاك	6
65	القوة الكهرومغناطيسية	28	76	الإلكترونات	7
65	القوة النووية الضعيفة	29	72	الانفجار العظيم	8
65	القوة النووية الشديدة	30	86	الانفتاح العظيم	9
70	المادة المظلمة	31	76	البروتونات	10
22	المجرة	32	177	الثقوب السوداء	11
75	النظرية السديمية	33	148	درب التبانة	12
94	النيازك	34	93	الرياح الشمسية	13
76	النيوترونات	35	146	السباحة الكونية	14
			43	السديم	15
			26	السنة الضوئية	16
			167	السنة الشمسية	17
			26	السماء الدنيا	18
			107	السموات السبع	19
			58	السوبر نوبا	20
			94	الشهب	21